فرع الوزارة بمنطقة المدينة المنورة
إدارة المساجد بمحافظة بدر

فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية

مصدره ، أسبابه ، انتشاره ، علاجه

أ.د . عبد السلام بن سالم السحيمي
استاذ الفقه بالجامعة الإسلامية
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

فكر الإرهاب والعنف

في المملكة العربية السعودية

مصدره، أسباب انتشاره، علاجه

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

فكر الإرهاب والعنف

في المملكة العربية السعودية

مصدره، أسباب انتشاره، علاجه

للأستاذ الدكتور

عبد السلام بن سالم بن رجاء السيحي

أستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كتبت بحثاً بعنوان:

فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية مصدره، أسبابه انتشاره، علاجه

وذكرت كيف نشأ هذا الفكر وتغلل في بلادنا السعودية حرسها الله، ومصدر هذا الفكر وأسباب انتشاره وعلاجه، ذكرت ذلك بالتفصيل، وقد طبع هذا البحث عدة طبعات: أولها في عام ١٤٢٥هـ[١]، وقد خلصت في البحث إلى أن السبب الرئيس لفكر العنف والإرهاب في المملكة هو التأثر بفكر جماعة الإخوان المسلمين.

ومن المعلوم أن هذه الجماعة تأسست عام ١٩٢٨م على يد حسن البنا تعويضاً لسقوط الخلافة وسعياً لإعادتها كما زعموا، ولذا أناطوا بالمرشد العام للجماعة القيام بالدور السياسي، وعقدوا له البيعة، ولا اعتبار عندهم لأي بيعات أخرى لا سيما المتلعقة بالدول الإسلامية القائمة، وإنما تكون البيعة للجماعة، والمرشد يقوم بدور الإمام حتى توجد الخلافة لكي لا تذوب الجماعة روحياً وشعورياً في الدولة المدنية المعاصرة، ولهذا فإن المنتمي لهذه الجماعة فكرياً وتنظيمياً لا قيمة للدولة عنده ولا للوطن، وإنما الولاء والبراء للجماعة، فهي التي تمثل الإسلام في نظرهم ومن يخالفها فليس هو من الإسلام في شيء، ولذا لا يقبلون

(١) وهذه طبعة جديدة أضفت لها هذه المقدمة، وكذلك بعض الإضافات والتعديلات في ثنايا البحث.

دعوة غيرهم مهما كانت منزلتها الدينية - وما لم تكن معترفة بهذه الجماعة - ولذا ألغوا مفهوم الطاعة لولي الأمر[١]، واستبدلوا ذلك بالجماعة وعبُّوا الأتباع بفكرة الخلافة والسعي في إيجادها، وعدم اعتبار الدول الموجودة، وفق خطط استراتيجية مدروسة؛ لحشد الأتباع وكسب الولاءات، والتغلغل في المجتمعات، ومن ثم السعي للسيطرة على الحكم في كل بلد وجدت لهم فيه دعوة، وقد صوروا المجتمع المسلم والعالم الإسلامي كأنه قبل دعوتهم في جاهلية، وبعيد كل البعد عن الإسلام وتطبيقه، بل إن رموزهم وقادتهم لما تغلغلوا داخل البلاد السعودية نقلوا واقع بلدانهم بكل ما فيه من مظاهر فساد عقدي وفكري وأخلاقي وظهور للتيار العلماني فيه، وما كان من صراع بين السلطة وبينهم، نقلوا كل هذا وأنزلوه على واقع البلاد السعودية مع الاختلاف الجذري بين الواقع السعودي المطبق للإسلام وللشريعة سواء من الحكام أو العلماء أو المجتمع، وواقع تلك المجتمعات التي وفدوا منها، كل ذلك من أجل زعزعة الثقة في أهل العلم وولاة الأمر في بلادنا السعودية، ليسهل إلحاقها ببقية بلاد المسلمين من أنها تعيش في جاهلية - وما يقال عن السعودية يقال عن غيرها -.

وقد اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين وما تفرع منها (البنَّائية، والقطبية، والسرورية، والجهاد، والجماعة الإسلامية، والتكفير والهجرة، ثم القاعدة، ثم داعش، والنصرة)[٢] في دعوتها ومنهجها على

(١) فلذا قرروا الخروج والثورة على كل حاكم ليس على منهاجهم مهما كان التزامه بالشرع الحنيف، وروضوا عمن كان موالياً لهم أو مؤيداً لهم مهما كانت مخالفته للإسلام.

(٢) كما أن لجماعة الإخوان مسميات في بعض البلاد العربية والإسلامية مثل الصحوة، ومثل حزب الحرية والعدالة، ومثل الإصلاح، ومجتمع السلم، وجبهة العمل الإسلامي، والحركة الدستورية، أو غير ذلك.

السرية والتكتم والتلون والتقية، والمهادنة حتى توجد عندهم القوة التي يرون أنها كافية، ثم يفاجئون المجتمع بثورتهم، - وقد أوضحت ذلك بالتفصيل في ثنايا البحث -.

يقول الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المنهج الإخواني بجميع فصائله من سرورية وقطبية، وجماعة تكفير، وحزب جهاد، وتحرير وغير ذلك كلها تتفق على الفكرة الحركية الحزبية الثورية، كلهم يدعون إلى التخطيط السري، والخروج المفاجئ عندما يرون قوتهم قد اكتملت، وإن كانوايدعون أنهم من أهل السنة والجماعة، وأن من تتبع تصريحاتهم في الأشرطة والصحف والمقالات والكتب يتبين له منها أنهم جميعاً متفقون على جواز الخروج على الولاة، وإن كانوا مسلمين موحدين يقيمون الصلاة ويُحَكِّمون شرع الله»اهـ[١].

ولا شك جماعة الإخوان المسلمين من أشد الفرق المبتدعة وأخطرها ضرراً على الإسلام وأهله، وأنه كما يقال بأن لكل قوم وارث، فإن هذه الفرقة قد ورثت الخوارج في معتقدها[٢]، وإن اختلف الأسلوب والطرح ولكن الغاية والهدف واحد، وكما أن أسوأ فرقتين وجدتا في تاريخ المسلمين قديماً وهما فرقة الخوارج وفرقة الرافضة قد تأثرا في بداية وجودهما بفكر اليهودي عبد الله بن سبأ، والذي يعتبر شيخاً للفرقتين الخوارج والروافض (إن جاز التعبير)، فإن فرقتي الإخوان المسلمين والخمينية الرافضية في هذا العصر قد تأثرتا بالغرب المعادي للإسلام وأهله، فالخميني قدم من فرنسا، ثم قاد الثورة في إيران، وجماعة الإخوان

(١) «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال» ص ٢٩٢.
(٢) وأخذت من الفرق الأخرى أخبث ما فيها.

المسلمين قد شارك الإنجليز واليهود في تأسيسها، ومد يد العون لها، كما ذكر الشيخ أحمد محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، وأيضاً نجد أن هاتين الفرقتين قد استغلت للنيل من الإسلام وأهله أسوأ استغلال في عصرنا الحاضر، فما يسمى بالربيع العربي والذي كان عرابُه حاكم أمريكا السابق أوباما، فإن تنفيذه كان بيد إيران الخمينية، وجماعة الإخوان المسلمين، ولذا دُمرت كثيرٌ من بلدان العرب والمسلمين من أهل السنة بسبب هاتين الفرقتين، كما أن بينهما تناغُما كبيراً وعملاً مشتركاً من قديم، ولذا استغلهم أعداء الإسلام لتحقيق مآربهم في ديار المسلمين، فقد كانت إيران الخمينية تقدم دعماً عسكريًا ولوجستياً لجماعتي القاعدة وتنظيم داعش، وجماعة الإخوان تقدم لهاتين الجماعتين دعماً فكرياً، إضافة إلى ترغيب الشباب المسلم والتغرير بهم للانضمام إليهما، إذ إن قائدي الجماعتين أسامة بن لادن ثم الظواهري (القاعدة) والبغدادي (داعش) هم من تنظيم جماعة الإخوان المسلمين.

ومع أن جماعة الإخوان المسلمين تَدَّعي فهم الواقع وتتهم غيرها بالجهل به، إلا أن الواقع أثبت خلاف ذلك، فدعوتهم لها ما يقارب قرناً من الزمان، وقد فشلت في كل مكان وجدت فيه؛ لأنها لم تُبن على السّنة، فصارت دعوة فاسدة مفسدة، وينطبق عليها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخوارج إذ قال: «الخوارج إما أن يغلبوا وإما أن يُغلبوا، ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم عاقبة، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنياً»[٢].

---

(١) حيث قال: (حركة البنا وإخوانه المسلمين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدامة ينفق عليها الشيوعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين) «شؤون التعليم والقضاء» ص ٤٨.

(٢) منهاج السنة (٤/ ٥٢٨).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الخوارج أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم؛ لأن معهم ديناً فاسداً لا يصلح به دنيا ولا آخرة»[١].

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، فما ذكره عن الخوارج ينطبق تمام الانطباق على جماعة الإخوان، وما تفرع عنها وتولد منها من فرق وجماعات، فهم الخوارج المعاصرون، وقى الله المسلمين شرهم، وشر كل ذي شر، ورد كيد أعداء أهل السّنة في نحورهم.

أ. د. عبد السلام بن سالم بن رجاء السّحيمي

الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة

والمدرس بالمسجد النبوي

في ٢٦/ ٣/ ١٤٤٠هـ

(١) السياسة الشرعية (١/ ٢١٨).

المقدّمة

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

● **أما بعد:**

فقد منّ الله على أمة نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإكمال دينها، وإتمام نعمته عليها، ورضاه عنها بالإسلام ديناً، لا يقبل من أحد سواه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد؛ فإنه متصل بالله موصل إليه»[(١)].

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٨).

وقد أمرنا الله عند التنازع بالرد إليه، والرد إليه هو الرد إلى كتابه، وأمرنا بالرد إلى رسوله، والرد إلى الرسول هو الرد إليه حال حياته وإلى سنته بعد وفاته، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

«فكلمة شيء هنا نكرة في سياق الشرط تعم كل اختلاف في الأصول والفروع»(١).

«و لو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً، لم يأمر بالرد إليه، إذ من الممتنع أن يأمر الله تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع»(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فتوعد الله من اتبع غير سبيل المؤمنين بنار جهنم وساءت مصيراً، فدلّ على أن اتباع سبيل المؤمنين في فهم شرع الله واجب، ومخالفته ضلال، وأولى المؤمنين الذين يجب اتباعهم هم أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل من الصحابة منيب إلى الله تعالى، فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله»(٣).

---

(١) قاله الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» (١/ ٣٢٣).
(٢) قاله ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٤٩).
(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٠).

وأثنى الله علىٰ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وحذّر من مخالفتهم فقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(١).

ولابد للمسلم أن يجمع بين أمرين هما: الإخلاص لله، وحسن الاتباع لِمَا كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار**»، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ**(٢) **بصاحبه لا يبقى منهم عرق ولا مفصل إلا دخله**»(٣) وفي رواية «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فدلت هذه النصوص وغيرها على وجوب اتباع الكتاب والسنة، ووجوب

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم (٤٢)، وأحمد رقم (١٧١٤٢). وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٧٣٥).

(٢) الكَلَب: داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكَلِب فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحداً إلا كَلِب، وتعرض له أعراضاً رديئة. ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٧)، وأحمد في «المسند» رقم (١٢٢٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨-١٢٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٠٤).

اتباع سبيل المؤمنين - أي: في فهم السلف الصالح للكتاب والسنة -، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصول السُّنَّةِ عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بهم، وترك البدع»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حتى تُعرض على ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها»[٢].

وهذا لأنه متقرر عند الأئمة من السلف الصالح أن أقوال الناس وأعمالهم توزن بالنص والإجماع، فمن وافق نصاً أو إجماعاً قبل منه، ومن خالف واحداً منهما رُدَّ عليه كائناً من كان.

إذا علم هذا، فإن من أبواب الدين التي عظمت فيها الفتنة والمحنة، وطاشت فيها الأحلام، وكثر فيها الافتراق، وتشتت فيها الأهواء والآراء التكفير والتبديع والتفسيق، وهذا؛ لأنّ التكفير يولّد الإرهاب والتفجير والتدمير كما نشاهده حالياً في بلادنا السعودية - حرسها الله -، ولقد سار أهل السنة والجماعة السائرون على منهج السلف الصالح في هذا الباب على التفصيل: وهو أن أهل البدع والمعاصي ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم من هو مقطوع بتكفيره، كمن أتى بقول أو فعل مكفر، وتمت في حقه شروط التكفير، وانتفت موانعه، ومنهم من لا يحكم بكفره؛ لانتفاء ذلك في حقه.

ولم يكن من منهج السلف تكفير من لا يستحق التكفير من المسلمين من

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٧٥-١٧٦).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٢٨).

أهل الكبائر، وهم - أعني السلف - لا يكفرون أحداً من أهل البدع أو يفسقونه إلا بدليل، ويحذّرون أعظم التحذير من التبديع والتفسيق لأحد إلا بدليل، ويَعُدُّون ذلك من فعل أهل البدع، وهم يفرقون بين التكفير أو التفسيق المطلقين كالتكفير أو التفسيق بالأفعال، أو لبعض فرق أهل البدع على وجه الإجمال، وبين تكفير المعين فيقولون: (ليس كل من قال أو فعل الكفر أو الفسق يكون كافراً أو فاسقاً، حتى تثبت الحجة بذلك[١]، وكل ذلك اتباعاً للنصوص الشرعية التي تحذر من ذلك أشد التحذير ومنها :

- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[٢].

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٣].

- وعن هشام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله**»[٤].

- وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رأيت بهجته عليه وكان ردءاً للإسلام انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك**»، قلت يا

---

(١) وسيأتي الكلام عن هذه المسألة مفصلاً.
(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٢)، ومسلم رقم (٦٠).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٨)، ومسلم رقم (٦٤).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٦٢٦٩).

نبي الله : أيهما أولى بالشرك الرامي أو المرمي؟ قال : «**بل الرامي**»[١].

وقد سار على هذا المنهج: وهو عدم تكفير المسلم الذي لا يستحق التكفير، صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعون والأئمة من بعدهم، ومنهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، ثم من جاء بعدهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، ثم من جاء بعدهم كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة من بعده، ثم علماء السنة المعاصرون أمثال ابن باز، وابن عثيمين، والألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ وسماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وغيره من كبار علماء هذه البلاد؛ اتباعاً لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأشهر من عرف قديماً بالتكفير والعنف والإرهاب هم الخوارج الذين حكموا بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وخرجوا على أولياء أمورهم وصاروا شراً ومحنة على الإسلام والمسلمين.

وما زال الفكر الإرهابي التكفيري يمضي بقوة في أوساط شباب الأمة منذ أن اختلقته الخوارج الحرورية لا يرعوي إلا في فترات بزوغ منهج أهل السنة وتألق عقيدة سلف الأمة، ولا أكون مبالغاً في القول: إنه سبب كثرة كاثرة من البلايا والرزايا التي منيت بها الأمة في ماضي الزمان وحاضره، وما هذه التفجيرات المدمرة والسيارات المفخخة والاغتيالات الغاشمة والمذابح الماكرة للمصلين بل للشيوخ والأئمة، ما هذا كله وغيره من فواجع أضرمت القلب وأمرت العيش إلا ثمرة بشعة من ثمرات الفكر التكفيري وعواقبه ولواحقه[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٠١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم(٨٦٥)، وابن حبان رقم (٨١)، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٢٠١).

(٢) ينظر: كتاب (هزيمة الفكر التكفيري).

ولا ريب أنّ هذا الوصف نعيشه اليوم، فهذه الجماعات الثائرة هنا وهناك في أول أمرها كانت متأثرة بفكر الخوارج، ولكن الكثير من الناس لا يعرف الخوارج إلا في حال قتالهم للمسلمين، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ظهرت مخالفتهم للجماعة حين كانوا يقاتلون الناس، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس»[(١)].

هذا في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أي أن أكثر الناس لا يعرفون الخوارج بصفاتهم المعروفة عند أهل العلم، حتى يظهر أمرهم بمباشرتهم لقتال المسلمين، فكيف لو رأى شيخ الإسلام ما نحن فيه اليوم من اغترار فئام كثيرة بأفعال وأقوال خوارج هذا العصر، بل وتمجيد البعض لهم، وإطلاق الأوصاف المبجلة عليهم، واغترار البعض مما لا علم عنده ببعض ما يظهرون من العبادات مع الغفلة عن حقيقة معتقد الخوارج، وقد تفطن أئمة الإسلام لذلك، فقال الإمام أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعته، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي أن نغتر بقراءته، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج»[(٢)].

وقد احتضنت بعض الجماعات المعاصرة[(٣)] فكر الخوارج التكفيري ثم صدّرته للمسلمين، ولقد تأثر بعض أبناء بلدنا بهذا الفكر التكفيري وما تولّد منه من إرهاب، وتفجير، وتدمير، فوقعت أعمال مؤسفة ومؤلمة من فئة ضالة

(١) «النبوات» ص (١٩٣).

(٢) «الشريعة» للآجري (١/ ٣٤٥).

(٣) كجماعة الإخوان المسلمين، وما تولد منها وتفرع عنها كـ: الجماعة الإسلامية، والجهاد، والتكفير والهجرة، ثم القاعدة، ثم ما يسمى الآن بـ داعش، وجبهة النصرة، وبوكو حرام.

مجرمة اعتنقت هذا الفكر، فأحزنت بقبح أفعالها كل مسلم يحب الله ورسوله ودين الإسلام، حيث وقع هذا الاجرام في أقدس البلاد وأطهرها، - المملكة العربية السعودية -، وإنّ ما رأيناه من حوادث فظيعة في بلدنا يحتم على أهل العلم والفكر والرأي، دراسة أسبابها ودوافعها، ومعرفة من أين جاء هذا الفكر، وكيف نشأ وتغلغل داخل بلادنا، ومعرفة أسباب انتشاره، وطرق معالجته، والقضاء عليه، وأن يكون ذلك بصراحة ووضوح؛ لأنّ الأمر جدّ خطير؛ ولأنّ معرفة الداء يساعد على معرفة الدواء المناسب.

من أجل ذلك اجتهدت في دراسة هذا الموضوع؛ محاولة مني للمساهمة في وضع حدّ لما يجري في بلدنا، وأسأل الله التوفيق والسداد.

وإنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خاف على أمته من الأئمة المضلين، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[(١)]، وأنذرها في سياق حديثه عن الدجال بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غير الدجال أخوفني عليكم**»[(٢)].

وسأنقل لك - أيها القارئ الكريم - في هذه الدراسة أنّ أول من أظهر فكر الإرهاب والتكفير قديماً هم الخوارج، وسأنقل لك بعض خططهم ومناهجهم للوصول إلى إيجاد الدولة التي يريدونها حسب فهمهم واعتقادهم المبني على الجهل بدين الإسلام، ثم أنقل لك كيف وُجِدَ فكر الإرهاب والتكفير حديثاً، وأنّ بعض الجماعات المعاصرة قد احتضنت فكر الخوارج، وأنقل لك جملة من عقائد رموز وقادة ودعاة

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٢٥٢)، والترمذي رقم (٢٢٢٩)، وأحمد رقم (٢٢٣٩٣)، والدارمي رقم (٢٢٨)، وابن حبان رقم (٦٧١٤)، والحاكم (٤/ ٤٤٩)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١١٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم (٢٩٣٧).

هذه الجماعات، وبعض خططها ومناهجها في كل بلد وجدت لهم فيه دعوة، من أجل إيجاد الدولة المزعومة والوصول إلى الحكم باسم الدين والجهاد، وكيف تغلغل هذا الفكر ونشا في بلادنا، ثم انتشر ثم حصل بعد ذلك ما يندى له الجبين ويحزن ويغضب كل مسلم يحب الله ورسوله من تكفير وتفجير وتدمير وباسم الإسلام والجهاد، مع أنّ الإسلام والجهاد منه براء، وسترى معي أيها القارئ الكريم - بما أنقله لك - أنّ هذه النوعيات أشد خطراً على الإسلام من الدجال ومن أعداء الإسلام الواضحين، وأنّ هذه الأصناف لا تحارب الإسلام جهاراً نهاراً، وإنما تتظاهر بالإسلام وتحمل شعارات براقة خلابة، وهي تحمل في ثناياها السموم القتالة والموت الزؤام، ومن المؤسف أشد الأسف أن تجد لهذه الأصناف أتباعاً وجنوداً، يعظمونهم تعظيماً يؤدي إلى رفعهم فوق مستوى النقد مهما بلغوا من الضلال والانحراف، ويؤدي إلى استصغار عظائمهم وطوامهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فنعوذ بالله من حال هؤلاء، وإنا لنضرع إلى الله ونضرع أن يعافي المسلمين من هذا البلاء، وأن يأخذ بنواصي من أصابهم هذا البلاء[1].

وقد سميت هذه الدراسة:

فِكْرُ الإِرْهَابِ وَالعُنْفِ فِي المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ مَصْدَرُهُ، أَسْبَابُ انْتِشَارِهِ، عِلَاجُهُ

● **وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة وتسعة عشر مبحثاً:**

- **أما المقدمة** ففي كمال هذا الدين، ووجوب اتباع الصراط المستقيم

(١) من كتاب (نظرات في كتاب التصوير الفني لسيد قطب) للدكتور ربيع بن هادي مدخلي، بتصرف يسير.

الذي سار عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وبيان أسباب منشأ هذا الضلال - أعني فكر الإرهاب والتكفير - وأول من وجد منهم هذا الفكر، ثم احتضان بعض الجماعات المعاصرة لهذا الفكر وتصديره للمسلمين، وذكرت جملة من النصوص الشرعية التي تحذر من التكفير والتفسيق والتبديع بغير دليل، وذكرت أن أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح هم أبعد ما يكون عن ذلك.

ثم ذكرت اسم هذه الدراسة وسبب الكتابة في هذا الموضوع.

وأما المبحث الأول ففي وسطية الإسلام ومحاربته للغلو والتطرف والإرهاب.

- **وأما المبحث الثاني** فبعنوان: واقع البلاد السعودية المشرق.

وأما المبحث الثالث فبعنوان: لماذا نحب وطننا السعودية ولماذا ندافع عنها؟

وأما المبحث الرابع فبعنوان: براءة مناهجنا من فكر الغلو والإرهاب والتطرف.

وأما المبحث الخامس فبعنوان: فكر الإرهاب والتكفير قديماً -الخوارج-.

وأما المبحث السادس فبعنوان: التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج.

وأما المبحث السابع فبعنوان: الإرهاب والتكفير حديثاً، وتأثر بعض أبناء بلادنا بذلك.

وأما المبحث الثامن فبعنوان: جماعة الإخوان المسلمين (وهي أمّ التنظيمات الإسلامية في العالم العربي؛ لأنها أقدمها، وهي التي فرّخت بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانحرافات جاءت من داخل

الإخوان أنفسهم كما شهد بذلك بعض قادتهم)

وأما المبحث التاسع فبعنوان: التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين والقطبيين خصوصاً.

وأما المبحث العاشر فبعنوان: بعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان المسلمون لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة.

وأما المبحث الحادي عشر فبعنوان: دراسة نقدية لبعض المؤلفات التي تؤصل لنقض البيعة وهدم كيان الدولة؛ لأنها ليست شرعية في نظرهم، والتأصيل لذلك باسم الجهاد.

وأما المبحث الثاني عشر فبعنوان: استعمالهم العنف إذا شعروا بالقوة أو لم يتحقق لهم ما خططوا له.

وأما المبحث الثالث عشر فبعنوان: نماذج من كلام بعض قادة ورموز جماعة الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم، يتضح منه المخالفة للسنة بين مقل ومكثر، والخروج على الحكام المسلمين، والتأصيل لذلك باسم الجهاد، كما يفعل الخوارج قديماً.

وأما المبحث الرابع عشر فبعنوان: تحذير العلماء من فكر أسامة بن لادن وأمثاله.

وأما المبحث الخامس عشر فبعنوان: من أين جاء فكر الإرهاب والعنف إلى بلادنا؟.

وأما المبحث السادس عشر فبعنوان: كيف نشأ وتغلغل هذا الفكر في بلادنا؟.

وأما المبحث السابع عشر فبعنوان: نماذج من كلام بعض من يسمون

بدعاة الصحوة في بلدنا، يتضح منه التشابه مع فكر الجماعات الحزبية - التكفيرية -.

وأما المبحث الثامن عشر فبعنوان: مصادر هذا الفكر ومنابعه في بلادنا، وأسباب انتشاره.

وأما المبحث التاسع عشر فبعنوان: بعض الحلول المقترحة لمعالجة هذا الفكر والقضاء عليه.

هذا وقد بذلت في ذلك غاية جهدي، وأمضيت أكثر من سنتين[١] في هذا الموضوع جمعاً، وقراءة، ودراسة، وتحليلاً، وكتابة، وقد رجعت إلى مصادر قديمة، ومراجع حديثة، وإلى كتب ومجلات، وصحف وأشرطة من أجل توثيق هذه الدراسة، والعناية بها وفق ما يقتضيه البحث العلمي من الرجوع إلى المصادر الأصلية، وأن يكون النقل عن أي جماعة أو طائفة أو مذهب أو قول لقائل، أن يكون ذلك من كتبهم ومقالاتهم، واجتهدت أن لا أنقل كلام شخص أو طائفة من غيرها.

أما التحليل للدراسة فبعضه بالرجوع إلى من وجدته سبقني إلى ذلك والبعض الآخر مما اجتهدت فيه برأيي، ولا أدعي لنفسي الكمال، فالكمال عزيز، وأرجو الله أن أكون قد وفقت في ذلك.

وفي الختام فإنني أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإتمامي لهذا البحث، وأذكّر نفسي وإخوتي المسلمين عموماً وأبناء بلدنا السعودية خصوصاً بعد ما وقع من أحداث دامية مؤسفة أضرت بالإسلام والمسلمين من قبل فئة ضالة تقبلت ما صُدّر إليها من جماعات حزبية

---

(١) مع ما أعرفه من خلال قراءاتي بحكم التخصص عن الجماعات الحزبية المعاصرة منذ أكثر من عشرين سنة وإلى الآن.

تكفيرية إرهابية خارج بلدنا متشبعة بفكر الخوارج، أذكّر الجميع لا سيما من كانوا بفكرهم سبباً في انتشار هذا الفكر، أنه لا يجوز السكوت عن ما حصل، ولا التبرير لأصحابه، ولا للجماعات الحزبية البدعية المخالفة للحق، أو كراهة الكلام فيهم، وأذكّر الجميع بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طائفة مبتدعة في زمنه وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتظم المبتدعة قديماً وحديثاً جماعات وأفراداً :

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذبّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظّم كتبهم، أو عُرِف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأنّ هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو من قال إنه صنّف هذا الكتاب ؟ وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإنّ القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فساداً ويصدون عن سبيل الله»[1].

وأذكّر الجميع بأننا في هذه البلاد السعودية المسلمة ننعم - والحمد لله والمنة - بالإسلام والعمل به، والدعوة إليه على هدي من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، تحت ولاية إسلامية تحكم فينا بشرع الله - وليس لأحد أن يزايد عليها في ذلك إلا من سفه نفسه وظلمها - فلا يجوز لأحد من أبناء هذه البلاد أن يوجد حزباً، أو ينشئ جماعة، أو ينضم إلى جماعة مخالفة للمنهج الحق الذي قامت عليه بلادنا وسار عليه علماؤنا، فيشق بذلك الطاعة ويخالف الجماعة ويكون سبباً للفرقة والاختلاف.

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٣٢).

حمى الله بلادنا وولاة أمرنا وعلماءنا وأهل بلدنا من كل سوء ومكروه ورد كيد أعداء هذا البلد في نحورهم، وكفانا وكفى المسلمين شرورهم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د/ عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي
الأستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المبحث الأول

وسطية الإسلام ومحاربته للغلو والتطرف والإرهاب

لقد بعث الله نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للناس ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وجعل أمته أمةً وسطاً ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: عدولاً لا يميلون عن الحق لا إلى غلو ولا إلى جفاء، بل يتوسطون ويعتدلون؛ إذ دين الإسلام قد نهى عن الغلو والجفاء، وأمر بالتوسط والاعتدال في الأمور كلها، وإنَّ من أبرز سمات هذا الدين العدل والإنصاف، وعدم الظلم، والحكم بالقسطاس المستقيم.

ثم إنّ الغلو والتطرف معناهما واحد: وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، ويقع من الأفراد والجماعات والدول، وممن ينتمي إلى الأديان والملل والنحل المختلفة، فعدم التوسط والاعتدال في الأمر يعتبر من الغلو والتطرف سواءً كان ذلك في الدين أو الجحود والإلحاد، فليس الغلو محصوراً على الغلاة في الدين، بل كل مَنْ خرج عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال سواء ضلال بدع أو خروج عن الدين بأكمله، فالغلو والتطرف درجات ويقع من المتدينين، وغير المتدينين إلا أنّه يصبح من المتدينين أكثر من غيرهم، وخطره منهم أشد؛ لأنهم يلبسونه بلباس الدين، والدين منه براء، وقد حذّر منه الإسلام أشد التحذير فقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ...﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو...**»[(١)].

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» رقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه رقم (٣٠٢٩)، وأحمد رقم (٣٢٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ١٧٧).

وأما الإرهاب: فهو إخافة الناس والاعتداء عليهم بالضرب أو بالقتل بغير حق، بل على جهل وقلة بصيرة، يقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإرهابيون هم الذين يقتلون الناس بغير حق وبغير حجة شرعية؛ فيغيرون على الناس أمنهم، ويسببون المشاكل بينهم وبين دولهم»(١).

وقال أيضاً: «الذين يقتلون الناس، ويضربون الناس بغير وجه شرعي؛ هؤلاء هم الإرهابيون هم المفسدون، هم الذين يخلون بالأمن ويفسدون على الناس مجتمعاتهم»(٢).

ويدخل في ذلك استباحة الدماء المعصومة، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، وهذه الأعمال الشنيعة محرمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها(٣).

ومن الأدلة الشرعية المحرمة لذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، ثم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألا هل بلغت اللهم فاشهد**»(٤)،

---

(١) ينظر: «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» ص (١١٢).

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٣) ينظر: بيان هيئة كبار العلماء حول ظاهرة التكفير في دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ، و«الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» جمع وإعداد محمد بن فهد الحصين ص (٦٧).

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٧٤١)، ومسلم رقم (١٦٧٩).

وكان ذلك في حجة الوداع.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل المسلم على المسلم، حرام دمه، وماله وعرضه**»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٢).

وقد توعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فإذا الكافر الذي له أمان إذا قُتِلَ خطأً فيه الدية والكفارة فكيف إذا قتل عمداً؟! فإن الجريمة تكون أعظم والإثم يكون أكبر، وقد صحّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**»(٣).

وإن خير من يمثل الوسطية في الأقوال والأعمال والمعتقدات - الوسطية التي جاء بها الإسلام - خير من يمثلها هم أهل السنة والجماعة؛ الذين تمثلوا الإسلام في جميع أمورهم؛ اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين، اتباعا للكتاب والسنة وفْقَ فهم سلف الأمة، فهم أولى الناس دخولاً في هذه الوسطية وإن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة، فلأهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والنصيب الأعلى، وما ذاك إلّا لأنهم الأنموذج الأمثل للأمة التي جعلها الله أمة وسطاً، وأخبر أنها خير أمة أخرجت للناس؛ إذ هم الطائفة الوحيدة التي حققت المتابعة المحضة

(١) أخرجه مسلم رقم (١٧٤١).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٧)، ومسلم رقم (٢٥٧٩).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنه ما من فرقة ولا طائفة إلّا ولها من الأقوال والاعتقادات ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[١]، لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة وأوسط طوائفها؛ فهم الطائفة المنصورة وهم (الفرقة الناجية)[٢]؛ وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «وسط في النحل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل»[٣].

* * *

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والحق الخالص الذي لا باطل فيه مع أهل السنة والجماعة وهذا معروف بالتتبع في كثير من العقائد والأصول» انظر: طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص (٢٢)

(٢) ينظر: وسطيّة أهل السنة بين الفرق، ص (٢٨٧).

(٣) «الفتاوى» (٤/ ١٤٠).

المبحث الثاني

واقع البلاد السعودية المشرق

لو نظرنا إلى واقع البلاد السعودية المسلمة، لرأينا أنّ الجماعة الشرعية التي توافق ما جاء في الأحاديث الشريفة؛ هي التي عليها المسلمون في هذه البلاد بولاتهم وعلمائهم، فالدعوة التي قامت عليها هذه البلاد، والتي سار عليها الولاة والعلماء هي الدعوة إلى الإسلام بمعناه الصحيح؛ الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وسار عليه السلف الصالح.

وولي الأمر في هذه البلاد المسلمة قد أُعطي البيعة من قبل أهل الحل والعقد، ثم رضي السواد الأعظم بهذه الولاية، فأصبح إماماً للمسلمين في هذه البلاد المملكة العربية السعودية، وأصبحت طاعته في المعروف واجبة للمسلمين جميعاً، وإنّ هذه الدولة منذ الأيام الأولى لقيامها على يد الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تلتزم بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظام حكم ودولة، فالدولة تؤمن بهذا الإسلام والدعوة إليه وتطبيق أحكامه تطبيقاً صافياً في جميع أحوال الناس.

ومع التزامها بهذا الدين أخذت بكل ما هو جديد مفيد من صناعات، واختراعات، ونظم في شتى الميادين طالما أنه لا يتعارض مع الإسلام، فحققت نجاحاً منقطع النظير في جميع الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية، والتعليمية، حتى تكاد تنعدم الأمية في المملكة العربية السعودية.

وكانت تجربة المملكة العربية السعودية في تطبيق الشريعة تجربة كلية،

ونجحت في ذلك نجاحاً باهراً في القضاء على التخلف، والجهل، والإجرام، وحفظ الأمن، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلاً في ربوع هذه البلاد؛ فكان الناس لا يأمنون على أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم، ثم كيف انقلب الحال بعد تولي الملك عبد العزيز وأبنائه من بعده، فساد الأمن، وانتشرت الطمأنينة، وانتهى عهد الخطف والنهب والطمع، وقطع الطرق، وأصبحت الجرائم القديمة أخباراً تروى فلا يكاد يصدقها أحد، ولقد شهد القريب والبعيد والعدو والصديق ما حققه الحكم بالشريعة من أمن وارف الظلال في بلادنا السعودية حرسها الله.

يقول جورج انطنيوس في كتابه (يقظة العرب) : «إننا لا نبالغ إذا قلنا إنّ المملكة العربية السعودية قد بلغت في حفظ الأمن اليوم درجة قد تفوق كافة دول العالم، ولا يستثنى من ذلك أعرقها في الحضارة»(١).

و لقد احتضنت الدولة السعودية في أدوارها المختلفة الدعوة السلفية، إلى أن كان عهد الملك عبد العزيز - يرحمه الله-، فأعاد بناء الدولة من جديد، وأقام هذا الكيان الإسلامي الكبير سائراً على منهج أجداده وآبائه، حمايةً لعقيدة التوحيد، ونشراً لها ودفاعاً عنها، مبيّنا للناس المعنى الصحيح للسلفية، وهو اتباع الكتاب والسنة، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أنا مبشر أدعو إلى دين الإسلام ولنشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح: هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين»(٢).

وقال في خطبة له رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمكة المكرمة :

---

(١) «خطب الملك فيصل» ص (٥٧).

(٢) «الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز» ص (٢١٦).

«يسموننا الوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ نشأ عن الدعاية الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد؛ فعقيدتنا: هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح»[(١)].

وهذا يدل على فهمه الثاقب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للإسلام، وأن امتثال الإسلام بمعناه الصحيح: هو اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فأضاف الله إلى مشاقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اتباع غير سبيل المؤمنين، فدلّ على أنّ اتباع سبيلهم واجب، ومخالفته ضلال، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: ١٥]، وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيلهم، وقد أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، فقال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. . .**» الحديث[(٢)].

ولما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**»[(٣)]، وفي رواية

(١) المصدر السابق، ص (٢١٧).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٢) برقم (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٠١)، والحاكم =

«**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(١)].

والمقصود من إيراد هذه النصوص هو التأكيد على أنّ المنهج الذي سار عليه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، هو الذي دلت عليه النصوص الشرعية، فالمملكة العربية السعودية قامت على الإسلام الحق المبني على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفق فهم السلف الصالح.

فلذا اتسمت سياستها بالحكمة والعدل والتسامح مع المذاهب الفقهية المعتبرة.

وبناء على هذا، فإنّ طلاب كليات الشريعة في المملكة العربية السعودية يدرسون فقه الأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ لأن الخلاف بين هذا المذاهب ليس في العقيدة، وإنما في الفروع الفقهية.

ولذا قال الملك عبد العزيز: «. . . والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح[(٢)]، ولا نكفر أحداً إلا من كفره الله ورسوله[(٣)]، وليس من مذهب

= في «المستدرك» (١/ ٤٧) من حديث عوف ابن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحح إسناده الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٣) ورقم (١٤٩٢)، و«ظلال الجنة» (٦٣).
وأخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٧) وغيرهم من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٩٩)، والآجري في «الشريعة» (٥/ ١٦)، والمروزي في «السنة» (١٨) من حديث عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «السلسة الصحيحة» رقم (٢٠٣) ورقم (١٤٩٢)، و«ظلال الجنة» (٦٣).

(٢) لأنه أعدل الطرق.

(٣) لأنه في مذهب السلف الصالح لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ولأنّ التكفير لابد فيه من دليل شرعي يدل على أن هذا الشيء كفر، ثم إن المعين وإن وجد منه ما يدل على الكفر من قول أو فعل لا يحكم بكفره إلا إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع كما سياتي تفصيل ذلك.

سوى مذهب السلف الصالح[١]، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها، فأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل أئمتنا» ا. هـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو كلام نفيس يمثل المعنى الصحيح للسلفية، الذي هو المعنى الصحيح للإسلام.

وإنه لما اجتاحت العالم الإسلامي الحركات والمذاهب الهدامة من شيوعية وإلحادية وعلمانية وقومية طبقية وإباحية ماجنة، وقف ولاة الأمر في هذه البلاد لهذه المذاهب والحركات بالمرصاد ومنعوا بالقوة كل فكر دخيل أو مذهب هدام أو عقيدة كافرة أو بدعة باطلة.

يقول الملك عبد العزيز عندما تولى أمر هذه البلاد: «نحن لا عز لنا إلا بالإسلام، ولا سلاح لنا إلا بالتمسك به، وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا، وإذا أضعناه ضيّعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله»[٢].

وقال أيضاً: «أحذركم أمرين، الأول: الإلحاد في دين الله، والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة، فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً، ومن رأيت منه زيغاً عن العقيدة الإسلامية، فليس له من الجزاء إلا أشده، ومن العقوبة إلا أعظمها، الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها»[٣].

وقال الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ظهرت الشيوعية وبدت تغزو بعض المسلمين في ديارهم: «إنّ ضرب الشيوعية في صميمها، والعمل على تقويض بنيانها، والإتيان عليها من القواعد أول واجب على كل مسلم، وأول

(١) لأنه المذهب الحق الموافق للكتاب والسنة والمقصود مذهب السلف الصالح الذي دلت عليه الأدلة وليس المدّعى، فهناك من يدّعي السلفية وهو ليس كذلك؛ فلذا نسمع اليوم من يتسمى بالسلفية الجهادية، أو السلفية الحركية، وهو يخالف السلف في المعتقد والمنهج.

(٢) «المصحف والسيف»، ص (١٠١).

(٣) المصدر السابق، ص (١٠٤).

واجب كذلك عليّ، كملك للملكة العربية السعودية التي اختارها الله فاستودع فيها حرميه الشريفين»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موسم حج عام (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) يعلن رفضه للأفكار والمبادئ الوافدة المخالفة للإسلام، قال: «كثير منّا من تنحوا -والعياذ بالله - عن عقيدتهم ودينهم، وتشبّثوا بما يتلقونه من آراء وأفكار ومبادئ غربية كانت أم شرقية، ولكنها كلها تلتقي في نقطة واحدة، وهي محاولة هدم هذا الدين والقضاء على هذه العقيدة الإسلامية؛ لأنهم يشعرون بأن الإسلام هو الحكم الوحيد الذي يقي أبناءه من شر عدوانهم، ومكائدهم للمسلمين، ويمنع كل المسلمين في أنحاء المعمورة من الوقوع تحت رحمة أعدائهم، وتحت سيطرتهم»[٢].

ولا تزال هذه الدولة المباركة تعلن تمسكها والتزامها بالكتاب والسنة النبوية، وتمسكها بما كان عليه السلف الصالح في كل مناسبة على لسان وليّ أمرها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمما قاله في الكلمة التي ألقاها لدى استقباله أعضاء مجلس الشورى في ١٥رجب ١٤٠٤هـ قال: «نحن بلد سوف تتمسك - إن شاء الله - بكتاب الله وسنة رسوله، ولا نحيد عنهما بأي حال من الأحوال»

وبلغ من اهتمام ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية بالدين وتعليمه والعمل به والدعوة إليه وحث الناس على التمسك به، أنهم أنشأوا وزارات وإدارات خاصة تعنى بأمر هذا الدين ونشره والدعوة إليه والدفاع عنه ومن ذلك:

---

(١) «الملك فيصل في قمة التاريخ»، ص (٤٢٩).
(٢) «فيصل في قمة التاريخ»، ص (٤٢٩).

١- وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٢- وزارة العدل.

٣- الإفتاء ورئاسة هيئة كبار العلماء.

٤- الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

٥- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- رابطة العالم الإسلامي.

٧- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

٨- منظمة المؤتمر الإسلامي.

٩- البنك الإسلامي للتنمية.

١٠- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والعناية به بالمدينة النبوية.

ويضاف إلى ذلك وجود جامعات إسلامية متخصصة في الشريعة وعلومها :

١- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ومعظم طلابها من خارج المملكة العربية السعودية)، وهي هدية حكومة المملكة العربية السعودية لأبناء المسلمين في كل مكان.

٢- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- جامعة أم القرى الإسلامية.

ثم إنّ الجامعات الأخرى والتي ليست تخصصاتها شرعية، توجد بها أقسام للدراسات الإسلامية، وهناك الشؤون الدينية بالقطاعات العسكرية، الأمن، والحرس الوطني، والدفاع، والطيران، والدراسة في المدارس

السعودية من الابتدائية وحتى آخر المراحل الدكتوراة وضعت بحيث لا تتعارض مع الشريعة بحال من الأحوال.

وهناك جهود عظيمة تقوم بها المملكة العربية السعودية في الخارج تتمثل في الدعوة، والإغاثة ونشر الكتب النافعة، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية، وإرسال الدعاة في أنحاء المعمورة، ومد يد العون للمسلمين في كل مكان.

وهذه الجهود العظيمة الموفقة لا يوجد لها نظير في أي بلاد أخرى، فالمملكة العربية السعودية تتمثل دين الإسلام، دين الحق، وتعمل به في جميع شئون حياتها، وهي الحاضنة للدعوة الإسلامية السلفية النقية من الانحرافات والشبهات منذ قيامها إلى اليوم، وهذا الأمر لا يجوز لداعية ولا لغيره أن يغفل عنه، لا داخل المملكة ولا خارجها، للإقرار بالفضل بعد الله لأهله، وليس لأحد أن يزايد على المملكة العربية السعودية في هذا الأمر.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد قيّض الله تعالى للإسلام منذ عهد الرسالة حتى اليوم علماء مصلحين نقلوه للناس، وبينوا أحكامه ونافحوا عنه، وعالجوا به قضايا الناس وشئونهم، واستنبطوا الأحكام لكل ما وجد من الوقائع التي لا نص فيها، ومن أبرز هؤلاء الدعاة المصلحين الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مجدد القرن الثاني عشر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفقه الله تعالى للقيام بدعوة إصلاحية عظيمة، أعادت للإسلام في الجزيرة العربية قوته وصفاءه ونفوذه، وامتدت آثار هذه الدعوة المباركة إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، وتأثر بها عدد من العلماء والمصلحين فيه، وكان من أقوى أسباب نجاح هذه الدعوة أن هيّأ الله لها حكّاماً آمنوا بها، ونصروها وآزروا دعاتها، هؤلاء

هم الحكام من آل سعود بدءاً من الإمام المجاهد محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤسس الدولة السعودية ثم أبنائه وأحفاده من بعده . . .» إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الدعوة وإن كانت سلسلة دعوة الإصلاح، ومرتبطة بمذهب السلف الصالح السابق لها، ولم تخرج عنه إلا أنها تستحق المزيد من الدراسة والعناية وتبصير الناس؛ لأن الكثير من الناس لا يزال جاهلاً حقيقتها، ولأنها أثمرت ثمرات عظيمة لم تحصل على يد مصلح قبله بعد القرون المفضلة، وذلك لما ترتب عليها من قيام مجتمع يحكمه الإسلام، ووجود دولة تؤمن بهذه الدعوة وتطبيق أحكامها تطبيقاً صافياً نقياً في جميع أحوال الناس، مما جعل بعض المؤرخين لهذه الدعوة يقول: «إن التاريخ بعد عهد الرسالة والراشدين لم يشهد التزاماً بأحكام الإسلام كما شهدته الجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية التي أيدت هذه الدعوة، ولا تزال هذه البلاد - والحمد لله - تنعم بثمرات هذه الدعوة أمناً واستقراراً ورغداً في العيش، وبُعداً عن البدع والخرافات التي أضرت بكثير من البلاد الإسلامية حيث انتشرت فيها»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رده على المجرمين الذين قاموا بالتفجير في حيّ العليا، عام ١٤١٦هـ قال:

«ليست هذه وسيلة إصلاح حتى يقولوا إنما نحن مصلحون، بل هم المفسدون في الواقع أو حاقدون على هذه البلاد وأهلها؛ لأننا لا نعلم - والحمد لله - بلاداً تنفذ من الإسلام مثل ما تنفذه هذه البلاد»[(٢)].

---

(١) «مجموعة خطب ومقالات الشيخ ابن باز» رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٣٨٣- ٣٨٤)

(٢) من شريط (فتاوى العلماء في الجهاد والعمليات الانتحارية والإرهاب)، وينظر: «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية»، جمع وإعداد محمد بن فهد الحصين، ص (٥٣).

واعترف العلماء الكبار أهل الفضل لدولة التوحيد بالفضل، فإضافة إلى ما ذكره الشيخان الفاضلان العلامة بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ والعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسأل الله تعالى أن يحفظ دولة التوحيد برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وأن يطيل عمره في طاعة وسداد أمر»، وكان هذا في مرض موته الذي أقعده عن الحضور إلى السعودية لاستلام جائزة الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي فاز بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما شهد لدولة التوحيد بالتوحيد؛ لأنه حق لا ينكره إلا حاسد أو حاقد، أو مبتدع منحرف عن التوحيد ؛ لأن التوحيد هو أعظم رابط يربط بين المؤمنين».

وقد أشار علامة اليمن الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالجهود العظيمة والموفقة للدولة السعودية في التمسك بالإسلام والدعوة إليه ونصرة أهله وإعانتهم وبنائهم للمساجد والمراكز الإسلامية، كما أشاد بالأمن الذي تنعم به، وبتقدير ولاة الأمر في هذه البلاد للعلم والعلماء، وقال: (إنه يجب على كل مسلم في جميع الاقطار الإسلامية أن يتعاون مع هذه الحكومة ولو بالكلمة الطيبة)، وقال أيضاً :

«فكما تقدّم قبل أنه يجب على كل مسلم في جميع الأقطار الإسلامية أن يتعاون مع هذه الحكومة، فإن الله يقول في كتابه الكريم : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

ويقول النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» متفق عليه من حديث أبي موسى.

ويقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**

بالحمى والسهر»[١].

وقال الشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني الجزائري بعد إشادته بجهود المملكة العربية السعودية في نصرة الإسلام وأهله، وتحقيق التوحيد والدعوة إليه، قال: «ومما لا ينبغي أن يخفى على بصر المنصفين أنّ البلاد السعودية ترفل في عهد آل سعود في ثوب من الأمن والاستقرار ورغد العيش ما لم يعرف في العهود التي سبقتهم إلا أن يرجع إلى العصور الأولى، ولم يكن هذا إلا ثمرة من ثمار تحكيم الشريعة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦][٢].

* * *

(١) هذه من كلمة للشيخ مقبل الوادعي قبل وفاته بقليل، وهي مسجلة في شريط سمعي بعنوان: (مشاهداتي في المملكة العربية السعودية)، وهي عند بعض التسجيلات بعنوان (براءة الذمة).
ينظر كتاب: (تخليص العباد من وحشية أبي القتاد) ص (٤١٩).

(٢) ينظر: كتاب «تخليص العباد من وحشية أبي القتاد»، ص (٤١٩).

المبحث الثالث

لماذا نحب وطننا السعودية؟ ولماذا ندافع عنها؟

إنّ من حق أي إنسان أن يحب وطنه الذي نشأ فيه، وترعرع على أرضه، وإنّ من حقه أن يفخر بمنجزاته، وما وصل إليه من تقدم ورقي . . . ، ويفرح وتنشرح نفسه عندما يسمع مادحاً له، مثنياً عليه، وأن يتضايق لذام أو قادح، وأن تتفاعل مشاعره وأحاسيسه مع وطنه، فيعلن حبه ودعاءه له، وتفانيه في خدمته، وحرصه عليه وعلى مصالحه، ومصالح أبناء هذا الوطن وتمسكه بوحدته وسلامته، وجدِّه في الوفاء له في كل ما يملك ويستطيع، وأن تستغرب إذا رأيت العكس من ذلك. . . هذا في الوطن أي وطن[1]، فكيف إذا كان هذا الوطن هو السعودية، وقد علمت منـزلتها الرفيعة ومكانتها العالية فيما أوردته لك في المبحث السابق: (واقع البلاد السعودية المشرق)، وكونها أقدس البلاد، وأطهرها؛ فهي تحتضن الحرمين الشريفين، حيث تحتضن مكة المكرمة أشرف البقاع، وأحبها إلى الله، وقبلة المسلمين جميعاً، وتحتضن طيبة الطيبة؛ مهاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومأرز الإيمان، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلقت الدعوة الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها، وهي بلد التوحيد والسنة، وقلب الإسلام النابض، وقلب الجزيرة العربية التي هي أصل العرب، الذين هم معدن الإسلام وحاملوا لواءه مع غيرهم من المسلمين، وإنّ الجماعة الشرعية التي توافق الأحاديث الشريفة هي التي عليها المسلمون في هذه البلاد، وهي رائدة التضامن

(١) ينظر: «حبّ الوطن من منظور شرعي» لفضيلة الدكتور / زيد بن عبد الكريم الزيد، ص (٢٧٧).

الإسلامي، وقد نصرت الإسلام وأهله في كل مكان بما أوتيت من قوة، فكيف لا تحب القلوب هذا الوطن، إنّ هذا الوطن شرف لصاحبه، ومصدر فخر واعتزاز، وعليه أن يدرك خصائصه، وإذا كان حب الوطن مشروعاً -كما هو معروف من أقوال الأئمة العلماء مثل ابن حجر والعيني والمباركفوري رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى وغيرهم[١]- فحب هذا الوطن أكثر مشروعية وأولى بالأفضلية. . . ، وإنّ وطننا وقد خصّه الله بهذه الخصائص الفريدة، فالانتساب له غاية، والانتماء إليه شرف، وحق على كل مواطن فضل بهذه النعمة، ووصل إلى تلك الغاية، ونال هذا الشرف أن يحب هذا الوطن، وأن يتقرب إلى الله بهذا الحب، وأن يتعبد الله بمساندة ولاته، والتكاتف مع أهله ومواطنيه، لصلاح المجتمع وفلاحه في دينه ودنياه»[٢].

وأعود الآن للإجابة عن السؤال: لماذا نحب وطننا السعودية؟ ولماذا ندافع عنه؟

وقبل الإجابة على السؤال أقول: إنه ما كان ينبغي طرح مثل هذا السؤال، أو أن يتطرق أدنى شك لدى أي مسلم في محبته للبلاد السعودية ووجوب الدفاع عنها، لولا ما وقع من أحداث إرهابية مؤسفة في بلادنا مؤخراً، ذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء ورُوّع فيها الآمنون، وأرهب الناس بغير حق، وهذه الأعمال الإرهابية قد سبقت بتهييج وتأجيج ضد هذه البلاد المقدسة من جماعات حزبية ضالة حاقدة على هذه البلاد، وعلمائها، وولاة أمرها، وشعبها، وإنّ المرء ليعجب غاية العجب كيف تقع مثل هذه الأحداث المفجعة الغادرة في هذا البلد الأمين؟! وهذه الأحداث وهذه

(١) المصدر السابق، ص (٤٥) فقد استوفى المصنف في ذكر الأدلة الدالة على مشروعية حب الوطن.
(٢) المصدر السابق، ص (٧٩).

الأعمال التي لا يرضاها كل عاقل فضلاً عن المؤمن، لا يرضاها أحد؛ لأنها خلاف الكتاب والسنة ؛ ولأن فيها إساءة إلى الإسلام في الداخل والخارج ؛ لأنّ كل الذين يسمعون بهذه الأعمال يضيفونها للمتمسكين بالإسلام ثم يقولون هؤلاء هم المسلمون!! هذه أخلاق الإسلام! والإسلام منها برئ!! فهؤلاء المجرمون في الحقيقة أساؤا قبل كل شيء إلى الإسلام»[1].

والجواب عن السؤال: لماذا نحب وطننا السعودية ؟ فلما تقدم في هذا المبحث والذي قبله، وأما لماذا ندافع عنها ؟ فللأسباب المتقدمة الموجبة لمحبتها؛ ولأنها تتعرض الآن لهجمة شرسة من قبل صنفين من الناس، أحدهما : صنف من الكفار وهم: الصهاينة، ومن يدور في فلكهم، والذين يخططون لتفريق المسلمين، وتمزيقهم، وإشغالهم بأنفسهم عن العمل الجاد والمثمر النافع للإسلام والمسلمين، والصهاينة لا يخفون عداءهم للإسلام والمسلمين، والمملكة العربية السعودية هي قلب العالم الإسلامي النابض، وروحه المتقدة، ومشعل الهداية فيه، ولهذا كان عداء الصهيونية لهذه البلاد أشد من أي عداوة لبلاد أخرى.

وأما الصنف الثاني : فبعض المسلمين المنتمين لبعض الحركات الإسلامية المتأثرة بفكر الخوارج، والذين يهدفون للوصول إلى الحكم في كل بلد وُجِدَتْ لهم فيه دعوة، متسترين بالدين للوصول لأهدافهم؛ فكفروا المسلمين، وأرهبوهم، وفجّروا، ودمّروا، فحققوا أهداف الصهيونية، وشاركوها في ذلك حيث أحدثوا في بلاد المسلمين بلايا ورزايا وباسم الدين، وباسم الجهاد؛ وهي ليست من الدين وليست من الجهاد فكانوا سبباً لأن يحقق الكفار عن طريقهم مآربهم في بلاد المسلمين، شعر هؤلاء

(١) ينظر: «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية»، ص (٥١) وهذا الكلام للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ضمن كلامه عن تفجيرات العليا التي وقعت عام ١٤١٦هـ.

بذلك أو لم يشعروا، وما حصل في بلادنا من أحداث أليمة؛ ترجع إلى هذا الفكر الضال لدى تلك الجماعات الضالة، والتي تريد غرسه وزرعه في بلادنا حماها الله.

يقول علامة اليمن الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معرض ثنائه على ولاة الأمر في البلاد السعودية وما بذلوه من جهود عظيمة من أجل الإسلام والمسلمين - يقول: «ومن ذلك تكريمهم للعلماء، وقد أوصاهم والدهم عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك، فهم يجلون العلماء، ويقدرونهم غاية التقدير، ولكن هناك علماء السوء؛ يتكلمون في الحكومة السعودية وربما يكفرونها، فينبغي التمييز بين أهل العلم من كان على عقيدتهم؛ أي: عقيدة التوحيد فينبغي أن يكرم، ومن كان على العقائد البدعية أو الحزبية، هؤلاء هم الحزبيون يا إخوان شرهم يهيئون أنفسهم للوثوب على الدولة، متى ما تمكنوا، فينبغي ألا يمكنوا من شيء، وألا يساعدوا على باطلهم، اللهم إلا إذا كان من باب التأليف إذا علم أنهم سيرجعون»[1] ا.هـ

ويقول الشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني من الجزائر: «فإنني أقول غيرَ مبالٍ بغير الحق: لقد شهد القريب والبعيد، والصديق والعدو ما حققه التوحيد، والحكم بالشريعة من أمن في البلاد السعودية، إلا أن الحاقدين على هذه الدولة، وعلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأبون ذلك، وبدلاً من أن تحظى منهم هذه الدولة بالتشجيع؛ لأنها تعلن بأن شريعتها هي شريعة الإسلام، فإنهم دأبوا على تشجيع من يعمل على إسقاطها، وأيّما خبر يسمع ضدها صدّقوه، ولو لم تقم عليه أدنى البينات، لا سيما وهم لا يفترون عن التباكي على ضياع الخلافة الإسلامية، فإذا

(١) من شريط للشيخ مقبل الوادعي بعنوان (مشاهداتي في المملكة العربية السعودية) قاله قبل وفاته بأيام.

بهم لا يرون الحسنات إلا سيئات»[١].

ويقول الشيخ عبد المالك: «فتحت مجلة الأنصار التي يكتب فيها المشبوه[٢]، وأنا أقلّب صفحاتها إذ وقعت عيني على تكفيره للدولة السعودية، بل واستباحة دماء ولاتها، بل ما وجدته شرق بدولة شرقه بها، من كثرة ما يذكر مثالبها، فقلت في نفسي: إن الذي يكفر هذه الدولة لا بد أن يكفر سائر الدول؛ لأنه مما لا يُختلف فيه أن بلاد التوحيد والسنة - التي هي بلاد الحرمين - إذا لم يشفع لها توحيدها الصافي الذي تدعو إليه رسميّاً، وتبثّه في العالم باعتزاز، فلن يشفع لغيرها من الحكومات دينها، حتى تخرج من دائرة الكفر التي حصرها فيها هذا المشبوه!»

ويقول الشيخ عبد المالك أيضاً عن أبي قتادة: «وهو كغيره من المرضى بورم (حب السلطة)، وعقدة (الحاكمية)، لا يتمالك إذا ذكر هذه الدولة، مع أنّه لو كان يعقل لعلم أن هذه الدولة خير دولة على وجه الأرض اليوم، وإن رغمت أنوف الحركيين، وهي تصرّح بلا خفاء أن شريعتها هي شريعة الإسلام»[٣].

أخي القارئ الكريم ها أنا ذا قد نقلت لك عن شيخين فاضلين؛ أحدهما من أقصى المغرب العربي (الجزائر)، والآخر من أقصى المشرق العربي (اليمن)، ما به عرف أن المعادين لهذه البلاد إنما هم الحاقدون، الضالون، المبتدعة المتطلعون للسلطة، المهيجون لبعض أبناء هذه البلاد؛ ليقوموا بالإفساد الذي زعموه إصلاحاً نيابةً عن متبوعيهم في خارج هذه البلاد.

---

(١) «تخليص العباد من وحشية أبي القتاد»، للشيخ عبد المالك أحمد رمضاني، ص (٤١٦).
(٢) يقصد به أبا قتادة الفلسطيني، وهو ممن يتلقى عنه المفجّرون في بلدنا الفتاوى.
(٣) المصدر السابق ص (٤١٨) مبحث بعنوان (شرق الحركيين ببلاد التوحيد).

وإننا في هذه البلاد السعودية المسلمة - حرسها الله - ننعم ولله الحمد والمنة - بالإسلام، والعمل به، والدعوة إليه على هدي الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، تحت ولاية إسلامية، تحكم فينا بشرع الله، فلا يجوز لأحد من أبناء هذه البلاد أن يوجد حزباً، أو ينشئ جماعة، أو ينضم إلى جماعة مخالفة للمنهج الذي قامت عليه بلادنا، وسار عليه علماؤنا؛ فيشق بذلك الطاعة، ويخالف الجماعة، ويكون سبباً للفرقة، والاختلاف.

حمى الله بلادنا، وولاة أمرنا، وعلمائنا، وأهل بلدنا من كل سوء ومكروه، وردّ كيد أعداء هذا البلد في نحورهم، وكفانا وكفى المسلمين شرورهم.

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع

براءة مناهجنا وما قامت عليه بلادنا من فكر الغلو والإرهاب والتطرف وبيان أنه فكر وافد علينا

تقدم قول الملك عبد العزيز - يرحمه الله - : «والحقيقة أننا سلفيون، محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

وقال أيضاً : «. . . والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح» ا.هـ

وإنّه من المعلوم أنّ الواجب على المسلم: هو اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وهذا هو الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية منذ نشأتها، وإنّ أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح هم أبعد ما يكون عن الغلو والإرهاب والتطرف، فالأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة، من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليوم هو أن الأحكام الأصولية، والفروعية لا تتم إلّا بأمرين هما: وجود الشروط، وانتفاء الموانع[١].

قلت : وهذا أصل عظيم في جميع أحكام الشرع، سواءً كانت أصولاً أم فروعاً، لابد من وجود شروطها، وانتفاء موانعها، فلو وجد الشرط لكن كان هناك مانع، لم يصح الحكم؛ من ذلك مثلاً : آيات الوعيد في حق من ارتكب أموراً محرمة؛ فهو أهل لما جاء في النصوص من الوعيد، لكن قد يكون هناك مانع يمنع من العقاب كالتوبة، أو استغفار المؤمنين، أو المصائب[٢]، أو غير ذلك من مكفرات الذنوب.

---

(١) «شرح القواعد السعدية»، ص (٨٩).

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ومن هذا الأصل: التكفير، والتبديع، والتفسيق (وهو باب، قد عظمت فيه الفتنة، والمحنة، وطاشت فيه الأحلام، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء، والآراء)[١].

وموقف أهل السنة والجماعة، السائرين على منهج السلف الصالح، من تكفير أهل البدع، والعقائد الفاسدة هو التفصيل[٢]:

وهو أن أهل البدع ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم من هو مقطوع بتكفيره، كمن أتى بقول، أو فعل مكفر، وتمت في حقه شروط التكفير وانتفت موانعه، ومنهم من لا يحكم بكفره؛ لانتفاء ذلك في حقه[٣].

ثم إنّ القول في تكفير أهل البدع، والتكفير عموماً مبني على أصلين عظيمين:

أحدهما: دلالة الكتاب والسنة على أن القول، أو الفعل الصادر من المحكوم عليه موجب للتكفير.

وثانيهما: انطباق هذا الحكم على القائل المعيّن، أو الفاعل المعيّن؛ بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع[٤].

---

(١) ينظر: «موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء» (١/ ٢٣٧).

(٢) وهناك قول يرى نفي التكفير نفياً عاماً عن أحد من أهل القبلة، فلا يكفر أحد من أهل القبلة، وقول يرى تكفير أهل البدع تكفيراً مطلقاً، وأنهم كلهم كفار، خارجون عن الإسلام وكلا القولين مجانب للصواب، مخالف للأدلة الشرعية، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطأ من نسب هذين القولين لأحد من أئمة السلف، وأن الصواب هو التفصيل، وهو القول الحق عن أئمة السلف، ينظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٧ - ٤٠)

(٣) (٤) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٢ - ٣٥٤)، (١٢/ ٤٩٧ - ٤٩٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٣٣٨ -٣٤٠)، و«الدرر السنية» (١/ ١٠٠، ٢٤٣) (٣/ ٢٠) (١٠/ ٤٣٤) وغيرها، و«موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي (١/ ١٦٣ - ٢٣٥)، وبيان هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ حول التكفير والتفجير.

وهذان الأصلان أيضاً ينطبقان على الشخص عند الحكم عليه بالابتداع أو الفسق، وهو دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من المحكوم عليه بدعة، وكون القائل المعيّن، أو الفاعل المعيّن تمت في حقه شروط التبديع، وانتفت موانعه(١).

وعلى هذا سار أئمة الإسلام من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وعليه سار الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك والشافعي، وأحمد، وكذلك من جاء بعدهم من الأئمة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، وابن كثير، ثم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده إلى عصرنا الحاضر، ومنهم أئمة الإسلام في هذا العصر الحاضر، ابن باز، وابن عثيمين، والألباني رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ثم علماء هذه البلاد السعودية؛ ومنهم هيئة كبار العلماء، وسأذكر جواب الشيخ الألباني في مسألة التكفير؛ التي ابتلي بها المسلمون في هذا العصر، وأعقبه بتقريظ الشيخ عبد العزيز بن باز لهذا الجواب، وموافقته له، وكذلك تقريظ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكلام الشيخين، ثم تحذير سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، من الدعوات التي تكفر المجتمعات المسلمة، ثم مقال الشيخ صالح الفوزان في الأحداث التي وقعت في بلادنا السعودية مؤخراً، ثم بيان هيئة كبار العلماء في هذه البلاد في التكفير، والتفجير؛ ليتضح للجميع أنهم ساروا على ما سار عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى، وأنّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده لم يأتوا بجديد بالنسبة للعقيدة - إذ الجديد فيها بدعة - وإنما أحيوا ما اندرس من أمر الإسلام؛ فأحيوا السنة، وأماتوا البدعة،

(١) ينظر نفس المراجع المذكورة في الحاشية السابقة.

وعادوا بالناس في أمر عقيدتهم، ودينهم إلى ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه، وما عليه سلف الأمة، فرحمهم الله جميعاً.

وفيما يلي نقل لبعض نصوص شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التكفير؛ ترد فرية من قال بأنّ دعوته فيها تكفير للمسلمين - لا سيما وأننا نقرأ الآن كلام بعض من يسمون بدعاة الصحوة؛ حيث ينسبون فكر الفئة الضالة إلى تأثرها بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ مع أنّ دعوته التي هي دعوة الإسلام براء من ذلك.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما التكفير: فأنا أكفّر من عرف دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ما عرفه سبّه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفّره، وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك»[(١)].

وقال أيضاً: «وإنما نكفّر من أشرك بالله في الهيئة، وكذلك نكفّر من حسّنه للناس»[(٢)].

ولكنه تكفير على منهج أهل السنة والجماعة، تراعى فيه الضوابط الشرعية؛ التي نص عليها أئمة الدعوة في أكثر من مقام، وهذا إنما هو لأهل العلم الراسخين، وأئمة الدعوة يفرقون بين تكفير النوع والعين، فيطلقون الكفر على القول والفعل - كما جاء في الشرع في القرآن والسنة - ولا يلزم من ذلك تكفير كل من وقع فيه.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «الأصل الخامس: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً: ولا يلزم من

(١) «الدرر السنية» (١/ ٨٣).
(٢) المصدر السابق، (١٠/ ١٢٨).

قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما في الحديثان غير مخرجين «**اثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت**»، وحديث: «**من حلف بغير الله فقد كفر**»، لكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق» ا.هـ[١].

ولكن كما أسلفنا لابد من توفر الشروط، وانتفاء الموانع، وبالنسبة للمعين، فدعوة الشيخ محمد في الحقيقة ضيّقت مجال التكفير وفقاً للنصوص الشرعية، وإلّا فالتكفير موجود في كافة المذاهب الإسلامية المنسوبة إلى السنة، فلا تجد كتاب فقه إلا وفيه حكم المرتد، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يكفر بالذنوب كما تفعل الخوارج؛ يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا أكفّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام» ا.هـ[٢] وقال في موضع آخر: «والمسألة الأخرى: يذكر لنا من أعداء الإسلام من يذكر؛ أننا نكفر بالذنوب مثل التتن، وشرب الخمر، والزنا أو غير ذلك من كبائر الذنوب، فنبرأ إلى الله من هذه المقالة»[٣].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يكفّر بالعموم، أو كل من خالفه، أو لم يدخل في طاعته.

قال الشيخ في رسالة لأحد علماء العراق: «ومنها ما ذكرتم أني أكفّر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أنّ أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل، هل يقول هذا مسلم أو كافر، أو عارف أو مجنون»[٤].

وقال الشيخ أيضاً: «وأما القول أنا نكفّر بالعموم؛ فذلك من بهتان الأعداء

(١) «الدرر السنية» (١/ ٤٨٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٢).
(٣) المصدر السابق (١٠/ ١٢٩).
(٤) المصدر السابق (١/ ٨٠).

الذين يصدون عن هذا الدين، ونقول سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم» ا. هـ[١].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يكفّر بالظن، بل لا بد من التثبت، وكذا يعذر الجاهل بجهله، وأنّه لابد من إقامة الحجة، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيّناً ذلك: «وأما ما ذكر الأعداء عني أنّي أكفّر بالظن وبالموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة - فهذا بهتان عظيم - يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله» ا.هـ[٢].

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت، ولا نكفّر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً» [٣].

وقال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف: «فإنّ الشيخ محمداً رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفّر الناس ابتداءً إلا بعد قيام الحجة والدعوة؛ لأنهم إذ ذاك في زمن فترة وعدم علم بآثار الرسالة، ولذلك قال: لجهلهم وعدم من ينبههم، فأما إذا قامت الحجة فلا مانع من تكفيرهم» ا.هـ[٤].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يكفر إلا في المسائل المجمع عليها، قال الشيخ في معرض كلامه عن تارك الصلاة كسلاً من غير جحود: «ولا نكفّر إلا من أجمع عليه العلماء كلهم»[٥].

وبعد هذه النقول يتبين أنّ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده ساروا على المنهج الذي سار عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه،

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٠).
(٢) «الرسائل الشخصية» الرسالة الثالثة، ص (٢٥، ٢٤).
(٣) الدرر السنية، (١/ ٢٣٤).
(٤) المصدر السابق، (١٠/ ٤٣٤).
(٥) المصدر السابق، (١/ ١٠٢).

والتابعون، ومن سار على منهاجهم؛ كالأئمة الأربعة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهم من أهل السنة والجماعة، ولم يخالفهم في شيء من ذلك.

وسأذكر فيما يلي أيضاً جواب علماء هذا العصر عن فكر الإرهاب، والتكفير، والتفجير:

يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في جواب طويل عن ذلك -: فإن مسألة التكفير عموماً - لا للحكام فقط؛ بل وللمحكومين أيضاً - هي فتنة عظيمة قديمة، تبنتها فرقة من الفرق الإسلامية القديمة، وهي المعروفة بـ(الخوارج)، إلا أنّ الخوارج المعاصرين يتسترون بخصلة... ألا وهي التقية؛ فهم يقولون: نحن لسنا بالخوارج، ومن المعلوم أن الاسم لا يغير من حقائق المسميات إطلاقاً، وهؤلاء يلتقون - في جملة ما يلتقون مع الخوارج - في تكفير أصحاب الكبائر، فالآن يوجد في بعض الجماعات الذين يلتقون مع دعوة الحق في اتباع الكتاب والسنة، ومع الأسف الشديد فإن البعض من الدعاة المتحمسين قد يقع في الخروج عن الكتاب والسنة، ولكن باسم الكتاب والسنة.

والسبب يعود إلى ضحالة العلم، وقلة التفقه في الدين.

والأمر الآخر - وهو مهم جداً -: أنهم لم يتفقهوا بالقواعد الشرعية، والتي هي أساس الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي يعد كل من خرج عنها من تلك الفرق المنحرفة عن الجماعة التي أثنى عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير ما حديث؛ بل والتي ذكرها ربنا عَزَّوَجَلَّ، وبين أن من خرج عنها يكون قد شاق الله ورسوله.

إلى أن يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن أصل فتنة التكفير في هذا الزمان، - بل منذ أزمان - هو آية يدندنون دائماً حولها؛ ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ١٤٤]، فيأخذونها من غير فهوم عميقة، ويوردونها بلا معرفة دقيقة.

ونحن نعلم أن هذه الآية الكريمة قد تكررت، وجاءت خاتمتها بألفاظ ثلاثة، وهي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فمن تمام جَهْل الذين يحتجون بهذه الآية باللفظ الأول منها فقط: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أنهم لم يُلِمّوا على الأقل ببعض النصوص الشريعة -قرآناً أم سنة - التي جاء فيها ذكر لفظة (الكفر)، فأخذوها - بغير نظر - على أنها تعني الخروج من الدين، وأنه لا فرق بين هذا الذي وقع في الكفر، وبين أولئك المشركين من اليهود والنصارى وأصحاب الملل الأخرى الخارجة عن ملة الإسلام.

بينما لفظة الكفر في لغة الكتاب والسنة لا تعني - دائماً - هذا الذي يدندنون حوله، ويسلطون هذا الفهم المغلوط عليه.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة التي تدل على ذلك؛ وهو أنّ الكفر قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، وذكر أنّ مما يدل على ذلك: تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

فأقول[1]: لا بد من الدقة في فهم هذه الآية، فإنها تعني الكفر العملي؛ وهو الخروج بالأعمال عن بعض أحكام الإسلام، ويساعدنا في هذا الفهم حبر الأمة وترجمان القرآن، عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ الذي أجمع المسلمون

(١) القائل هو الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

جميعاً - إلا من كان من تلك الفرق الضالة - على أنه إمام فريد في التفسير.

فكأنه طرق سمعه يومئذ ما نسمعه اليوم تماماً؛ من أن هناك أناساً يفهمون هذه الآية فهماً سطحياً، من غير تفصيل، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس الكفر الذي تذهبون إليه»، و: «إنه ليس كفراً ينقل عن الملة» و: «هو كفر دون كفر»[(١)(٢)].

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٣) وقال: «صحيح الاسناد»، ووافقه الذهبي.
وينظر: كتاب (قرة العيون في تصحيح تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ رواية ورعاية) تأليف الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي.

(٢) وقد قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على كلام الشيخ الألباني: «احتج الألباني بهذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكذلك غيره من العلماء الذين تلقوه بالقبول لصدق حقيقته على كثير من النصوص، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» ومع ذلك فإن قتاله لا يخرج الإنسان من الملة، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، لكن لما كان هذا لا يرضي هؤلاء المفتونين بالتكفير صاروا يقولون: هذا الأثر غير مقبول، ولا يصح عن ابن عباس، فيقال لهم: كيف لا يصح؟ وقد تلقاه من هو أكبر منكم، وأفضل، وأعلم بالحديث وتقولوا لا يقبل؟! فيكفينا أن علماء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما تلقوه بالقبول، ويتكلمون به وينقلونه، فالأثر صحيح، ثم هب أن الأمر كما قلتم: إن لا يصح عن ابن عباس؛ فلدينا نصوص أخرى تدل على أن الكفر قد يطلق، ولا يراد به الكفر المخرج عن الملة؛ كما في الآية المذكورة، وكما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت**»، وهذه لا تخرج عن الملة بلا إشكال، لكن كما قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في أول كلامه، قلة البضاعة من العلم، وقلة فهم القواعد الشرعية العامة هي التي توجب هذا الضلال، ثم شيء آخر نضيفه إلى ذلك؛ وهو سوء الإرادة التي تستلزم سوء الفهم؛ لأن الإنسان إذا كان يريد شيئاً لزم من ذلك أن ينتقل فهمه إلى ما يريده، ثم يحرف النصوص على ذلك، وكان من القواعد المعروفة عند العلماء أنهم يقولون: استدل ثم اعتقد، ولا تعتقد ثم تستدل فتضل، فالمهم أن الأسباب ثلاثة:

الأولى: قلة البضاعة من العلم الشرعي. الثانية: قلة الفقه في القواعد الشرعية العامة. الثالثة: سوء الفهم المبني على سوء الإرادة. ا.هـ انظر تعليق الشيخ ابن عثيمين في كتاب فتنة التكفير للشيخ الألباني، ص (٢٤-٢٥).

ولعله يعني بذلك الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم كان من عواقب ذلك أنهم سفكوا دماء المؤمنين، وفعلوا فيهم ما لم يفعلوا بالمشركين، فقال: ليس الأمر كما قالوا، أو كما ظنوا، وإنما هو كفر دون كفر.

هذا الجواب المختصر الواضح من ترجمان القرآن في تفسير هذه الآية هو الحكم الذي لا يمكن أن يُفهم سواه من النصوص التي أشرت إليها قبل.

ثم شرع في بيان الأدلة التي تدل على ذلك، وخلص إلى أنّه لابد من التفصيل وهو: أنّ الكفر قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، وأنّه لا يجوز أن يكفر من لم يحكم بما أنزل الله بمجرد الفعل دون أن يعلم أنّه استحل ذلك بقلبه[1].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تقريظاً لكلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد اطلعت على الجواب المفيد الذي تفضل به صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصرالدين الألباني - وفقه الله -؛ المنشور في صحيفة المسلمون، الذي أجاب به فضيلته من سأله عن: «تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل»، فألفيتها كلمة قيمة أصاب فيها الحق، وسلك فيها سبيل المؤمنين، وأوضح - وفقه الله - أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يُكَفِّرَ من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك

(١) ينظر: كتاب (فتنة التكفير) للعلامة الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، تقريظ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وتعليق فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص (١٣-٤٤) إعداد علي بن حسين أبو لوز.

بقلبه، واحتج بما جاء في ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن غيره من سلف الأمة.

ولا شك أن ما ذكره في جوابه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦]، هو الصواب.

وقد أوضح أن الكفر كفران: أكبر وأصغر، كما أن الظلم ظلمان، وهكذا الفسق فسقان: أكبر وأصغر.

فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله، أو الزنا، أو الربا، أو غيرها من المحرمات المجمع على تحريمها، فقد كفر كفراً أكبر، وظلم ظلماً أكبر، وفسق فسقاً أكبر.

ومن فعلها بدون استحلال، كان كفره كفراً أصغر، وظلمه ظلماً أصغر، وهكذا فسقه، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[(١)]، أراد بهذا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفسق الأصغر، والكفر الأصغر، وأطلق العبارة تنفيراً من هذا العمل المنكر.

وهكذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثنتان في الناس هما بهما كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**» أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض**» أخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]، والأحاديث

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «صحيح مسلم» برقم (٦٧).
(٣) «صحيح البخاري» برقم (١٢١)، و«صحيح مسلم» برقم(٦٥).

في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على كل مسلم - ولا سيما أهل العلم - التثبت في الأمور، والحكم فيها على ضوء الكتاب والسنة، وطريق سلف الأمة والحذر من السبيل الوخيم الذي سلكه الكثير من الناس لإطلاق الأحكام وعدم التفصيل.

وعلى أهل العلم أن يعتنوا بالدعوة إلى الله سبحانه بالتفصيل، وإيضاح الإسلام للناس بأدلته من الكتاب والسنة، وترغيبهم في الاستقامة عليه، والتواصي والنصح في ذلك، مع الترهيب من كل ما يخالف أحكام الإسلام.

وبذلك يكونون قد سلكوا مسلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومسلك خلفائه الراشدين، وصحابته المرضيين في إيضاح سبيل الحق، والإرشاد إليه، والتحذير مما يخالفه عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(٢)، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه إلى اليهود في خيبر: «**ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر**

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٢)
(٢) مسلم برقم (٢٥٧٤).

النَّعَم» متفق على صحته[١].

وقد مكث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى توحيد الله، والدخول في الإسلام بالنصح، والحكمة، والصبر، والأسلوب الحسن، حتى هدى الله على يديه وعلى يد أصحابه من سبقت له السعادة، ثم هاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام.

واستمر في دعوته إلى الله سبحانه، هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والجدال بالتي هي أحسن، حتى شرع الله له الجهاد بالسيف للكفار، فقام بذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أكمل قيام، فأيدهم الله ونصرهم وجعل لهم العاقبة الحميدة.

وهكذا يكون النصر وحسن العاقبة لمن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم القيامة، والله المسؤول أن يجعلنا وسائر إخواننا في الله من أتباعهم بإحسان، وأن يرزقنا وجميع إخواننا الدعاة إلى الله البصيرة النافذة، والعمل الصالح، والصبر على الحق حتى نلقاه سبحانه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[٢].

وقال الشيخ بن عثيمين تعليقاً على كلمتي الألباني وابن باز :

الذي فهم من كلام الشيخين: أن الكفر لمن استحل ذلك، وأما من حكم به على أنه معصية مخالفة: فهذا ليس بكافر؛ لأنه لم يستحله، لكن قد يكون خوفاً أو عجزاً، أو ما أشبه ذلك، وعلى هذا فتكون الآيات الثلاث منزلة على أحوال ثلاث:

---

(١) البخاري برقم (٣٠٠٩) ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة».

١- من حكم بغير ما أنزل الله بدلاً عن دين الله، فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة؛ لأنه جعل نفسه مشرعاً مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولأنه كاره لشريعته.

٢- من حكم به لهوى في نفسه، أو خوفاً عليها، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يكفر، ولكنه ينتقل إلى الفسق.

٣- من حكم به عدواناً وظلماً، - وهذا لا يتأتى في حكم القوانين، ولكن يتأتى في حكم خاص، مثل أن يحكم على إنسان بغير ما أنزل الله لينتقم منه - فهذا يقال إنه: ظالم

فتنزّل الأوصاف على حسب الأحوال.

ومن العلماء من قال: إنها أوصاف لموصوف واحد، وأن كل كافر ظالم، وكل كافر فاسق، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وبقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]. وهذا هو الفسق الأكبر.

ومهما كان الأمر فكما أشار الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الإنسان ينظر ماذا تكون النتيجة؟ ليست المسألة نظرية، لكن المهم التطبيق العملي ما هي النتيجة؟[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواباً على سؤال:

من سوء الفهم: قول من نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: «إذا أطلق الكفر فإنما يراد به كفراً أكبر، مستدلاً بهذا القول على التكفير بآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، مع أنه ليس في الآية أنّ هذا هو الكفر.

وأما القول الصحيح عن شيخ الإسلام: فهو تفريقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين (الكفر) المعرفة بـ(أل) وبين (كفر) منكراً؛ فأما الوصف فيصلح أن نقول فيه: (هؤلاء

(١) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة»، ص (٢٢٦-٢٢٧) نقلاً عن كتاب «كيف نعالج واقعنا الأليم».

كافرون)، أو (هؤلاء الكافرون) ؛ بناءً على ما اتصفوا به من الكفر الذي لا يخرج من الملة، ففرق بين أن يوصف الفعل، وأن يوصف الفاعل.

وعليه فإنه بتأويلنا لهذه الآية على ما ذُكر: نحكم بأن الحكم بغير ما أنزل الله ليس بكفر مخرج عن الملة، لكنه كفر عملي؛ لأن الحاكم بذلك خرج عن الطريق الصحيح، ولا يُفرّق في ذلك بين الرجل الذي يأخذ قانوناً وضعياً من قِبل غيره ويُحَكّمه في دولته، وبين من يُنشئ قانوناً ويضع هذا القانون، إذ المهم هو: هل هذا القانون يخالف القانون السماوي أم لا ؟[1].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ؛ تحذيراً من الدعوات التي تكفر المجتمعات المسلمة، وتدعو إلى الخروج على الأئمة قال سماحته في رده على سؤال في درسه بالمسجد الحرام في كيفية التعامل مع من ينتهج هذا المنهج، قال: «إن الكثير ممن اعتنق هذا الفكر هم جهلة، غُرِّر بهم؛ لقلة علمهم وبصيرتهم، تقبلوا هذه الآراء التكفيرية من قبل فئة اتخذوا هذا النهج، لتحقيق غاياتهم المشبوهة، فجاءوا بهذه الأفكار؛ ليخدعوا بها قليلي العلم، والفهم، والبصيرة، ولكن الواجب على كل إنسان يعرف من يعتقد هذا المعتقد، أن يذكّره بالله، ويبين له بطلان معتقده ومنهجه، فإن ارتدع وعاد إلى رشده فهذا المطلوب، وإن استمر في باطله ولم ينزجر، فلا يترك هؤلاء يفسدون على شبابنا دينهم، ففكرة التكفير خطيئة سيئة، ويوجد وراءها من يريدون الإضرار بالأمة فيسلكون كل سبيل ليحققوا أغراضهم.

فأنصح إخواني بالحذر من الدعوات التي تكفر المجتمعات المسلمة،

---

(١) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة»، ص (٢٢٧) نقلاً عن كتاب «فتنة التكفير»، إعداد علي حسن أبو لوز.

وتدعو إلى الخروج على الأئمة، وحمل السلاح على المسلمين، كما أنني أنصح من يفتي هؤلاء بأن يتقي الله في نفسه، وأن يتقي الله في عباده المسلمين، ويتقي الله في المجتمعات المسلمة، وليعلم أن هذه الجادّة جادّة أهل البدع، فالسلف الصالح أبعد وأسلم عن هذه الجادة الخاطئة، بل كانوا يحثون على السمع، والطاعة، والصبر على الأئمة؛ حتى وإن جاروا أو ظلموا، وينهون عن الخروج على الأئمة؛ حقنا لدماء المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، وتوحيداً لصفهم؛ فاتقوا الله في المسلمين، واحذروا سخط الله وعقابه، ومن لم يتب من هؤلاء المفتين بغير علم، فيجب على أهل الإسلام الحذر، والتحذير منهم، والبعد منهم، وقى الله المسلمين الشرور والفتن، ما ظهر منها وما بطن»[(١)].

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان شاجباً للإعمال الإرهابية الإجرامية التي وقعت في بلادنا مؤخراً :

«الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد :

فلاشك أن توفر الأمن مطلب ضروري، والإنسانية أحوج إليه من حاجتها إلى الطعام والشراب، ولذا قدّمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه على الرزق فقال : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ؛ لأن الناس لا يهنئون بالطعام والشراب مع وجود الخوف، ولأن الخوف تنقطع معه السبل، التي بواسطتها تنقل الأرزاق من بلد لآخر، ولذلك رتّب الله على قطاع الطرق أشد العقوبات، فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى

(١) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة»، ص (١٩٨-١٩٩) نقلاً عن جريدة عكاظ العدد (٦٧٦) بتاريخ (٤/٦/١٤٢٤هـ)

﴿ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وجاء الإسلام بحفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، ورتّب حدوداً صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات، سواءً كانت هذه الضرورات لمسلمين أو معاهدين، فالكافر المعاهد له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل معاهداً لم يَرِحْ رائحة الجنة**»(١) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

وإذا خاف المسلمون من المعاهدين خيانة للعهد، لم يجز لهم أن يقاتلوهم حتى يعلموهم بإنهاء العهد الذي بينهم، ولا يفاجئوهم بالقتال بدون إعلام، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

والذين يدخلون تحت عهد المسلمين من الكفار ثلاثة أنواع:

١- المستأمن: وهو الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم؛ لأداء مهمة، ثم يرجع إلى بلده بعد إنهائها.

٢- والمعاهد: الذي يدخل تحت صلح بين المسلمين والكفار، وهذا يؤمّن حتى ينتهي العهد الذي بين الفئتين، ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه، كما لا يجوز له أن يعتدي على أحد من المسلمين.

٣- والذمي: الذي يدفع الجزية للمسلمين، ويدخل تحت حكمهم.

والإسلام يكفل لهؤلاء الأنواع من الكفار الأمن على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومن اعتدى عليهم فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٢٩٩٥).

والعدل واجب مع المسلمين ومع الكفار، حتى لو لم يكونوا معاهدين أو مستأمنين أو أهل ذمة قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

والذين يعتدون على الآمن: إما أن يكونوا خوارج، أو قطّاع طرق، أو بغاة، وكل هذه الأصناف الثلاثة يُتخَذ معه الإجراء الصارم، الذي يوقفه عند حدّه، ويكفّ شره عن المسلمين، والمستأمنين، والمعاهدين، وأهل الذمة.

فهؤلاء الذين يقومون بالتفجير في أي مكان، ويتلفون الأنفس المعصومة، والأموال المحترمة - لمسلمين أو معاهدين - ويرمّلون النساء، ويتيمون الأطفال، هم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

ومن العجيب أنّ هؤلاء المعتدين الخارجين على حكم الإسلام يّسمُّون عملهم هذا جهاداً في سبيل الله، وهذا من أعظم الكذب على الله، فإنّ الله جعل هذا فساداً ولم يجعله جهاداً، ولكن لا نعجب حينما نعلم أنّ سلف هؤلاء من الخوارج كفّروا الصحابة، وقتلوا عثمان وعلياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهما من الخلفاء الراشدين ومن العشرة المبشرين بالجنة، قتلوهما، وسمَّوا هذا جهاداً في سبيل الله، وإنما هو جهاد في سبيل الشيطان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]،

ولا يُحَمّل الإسلام فعلهم هذا كما يقول أعداء الإسلام -من الكفار والمنافقين-: إنّ دين الإسلام دين إرهاب، ويحتجون بفعل هؤلاء المجرمين، فإن فعلهم هذا ليس من الإسلام، ولا يقرّه إسلام ولا دين، إنما هو فكر خارجي قد حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قتل أصحابه، وقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» ووعد بالأجر الجزيل لمن قتلهم، وإنما يقاتلهم ولي أمر المسلمين؛ كما قاتلهم الصحابة بقيادة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعض المنافقين أو الجهال يزعم أنّ مدارس المسلمين هي التي علمتهم هذا الفكر، وأنّ مناهج التدريس تتضمن هذا الفكر المنحرف، ويطالبون بتغيير مناهج التعليم.

ونقول: إنّ أصحاب هذا الفكر لم يتخرجوا من مدارس المسلمين، ولم يأخذوا العلم عن علماء المسلمين؛ لأنهم يحرّمون الدراسة في المدارس والمعاهد والكليات، ويحتقرون علماء المسلمين، ويجهّلونهم، ويصفونهم بالعمالة للسلاطين، ويتعلمون عند أصحاب الفكر المنحرف، وعند حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام من أمثالهم كما جهّل أسلافهم علماء الصحابة وكفّروهم، والذي نرجوا بعد اليوم أن يلتفت الآباء لأبنائهم؛ فلا يتركوهم لأصحاب الآراء الهدامة يوجهونهم إلى الأفكار الضالة، والمناهج المنحرفة، ولا يتركوهم للتجمعات المشبوهة، والرحلات المجهولة، والاستراحات التي هي مراتع لأصحاب التضليل، ومصائد للذئاب المفترسة، ولا يتركوهم يسافرون خارج المملكة وهم صغار السنّ، وعلى العلماء أن يقوموا بالتوجيه السليم، وتعليم العقائد الصحيحة في المدارس والمساجد ووسائل الإعلام، حتى لا يدعوا فرصة

لأصحاب الضلال الذين يخرجون في الظلام وعند غفلة المصلحين.

وفق الله الجميع للعلم النافع، والعمل الصالح، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه)[١].

وجاء في بيان من هيئة كبار العلماء في التكفير والتفجير:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء - في دورته التاسعة والأربعين - المنعقدة بالطائف، ابتدءاً من تاريخ (٢/ ٤/ ١٤١٩هـ) ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، من التكفير والتفجير، وما ينشأ عن ذلك من سفك الدماء وتخريب المنشآت.

ونظراً إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم: فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضّح فيه حكم ذلك؛ نصحاً لله ولعباده، وإبراء للذمة، وإزالة للّبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أنّ التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير.

وليس كل ما وُصِف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله، لم يجز أن نكفّرَ إلا من دلّ

(١) «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة»، ص (٢٢٨-٢٣٢) نقلاً عن جريدة الرياض، الخميس ٢١/ ٣/ ١٤٢٤هـ.

الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة ؛ فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظنّ ؛ لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة.

وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات - مع أنّ ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير - فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات.

ولذلك حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: «**أيّما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلّا رجعت عليه**»(١).

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أنّ هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره.

وهذا الحكم كغيره من الأحكام، التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها، كما في الإرث، سببه القرابة - مثلاً - وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن، فلا يكفر به.

وقد ينطق المسلم كلمة الكفر ؛ لغلبة فرح، أو غضب، أو نحوهما: فلا يكفر بها ؛ لعدم القصد ؛ كما في قصة الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك ؛ أخطأ من شدّة الفرح**»(٢).

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة، من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم (٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم (٢٧٤٧).

للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة؟.

وإذا كان هذا في ولاة الأمور، كان اشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد.

ولهذا منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منابذتهم، فقال: «**إلّا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»(١).

فأفاد قوله: «**إلّا أن تروا**»: أنه لا يكفي مجرد الظنّ والإشاعة.

وأفاد قوله: «**كُفْراً**»: أنّه لا يكفي الفسوق؛ ولو كبر، كالظلم، وشرب الخمر، ولعب القمار، والاستئثار المحرم.

وأفاد قوله: «**بواحاً**»: أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح؛ أي صريح ظاهر.

وأفاد قوله: «**عندكم من الله فيه برهان**»: أنّه لا بدّ من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة.

وأفاد قوله: «**من الله**»: أنّه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة، إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أنّ التسرع في التكفير له خطره العظيم، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٦٦٤٤)، ومسلم حديث رقم (١٧٠٩).

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ؛ من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت: فهذه الأعمال، وأمثالها محرمةٌ شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم، وأعراضهم، وأبدانهم، وحرّم انتهاكها، وشدّد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته فقال في خطبة حجة الوداع: «**إنّ أموالكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد**»[(١)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه**»[(٢)].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة**»[(٣)].

وقد توعّد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشدّ الوعيد، فقال سبحانه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم (١٧٤١)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٨).

في حق المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قُتِلَ خطأً فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قُتل عمداً ؟! فإنّ الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر.

وقد صحّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**من قتل معاهداً لم يَرِح رائحة الجنة**»(١).

ثالثاً: إنّ المجلس إذ يبيّن حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخطورة إطلاق ذلك؛ لما يترتب عليه من شرور وآثار، فإنّه يعلن للعالم: أنَّ الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأنّ ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات، والمرافق العامة. والخاصة، وتخريب للمنشآت: هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه.

وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرّف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عملُهُ على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المتمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة، ولهذا جاءت نصوص الشريعة بتحريمه، محذّرة من مصاحبة أهله:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم (٣١٦٦).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان، التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة لمسلمين وعامتهم**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»(٢). والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم

(١) أخرجه أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢/ ٢٢٨) حديث رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، حديث رقم (٢٥٨٦).

كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق.

إنّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء[١].

وبما تقدّم من بيان للمنهج الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، وما تقدّم من النقل عن علماء السلف من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده.

وما تقدم من نقل جواب علماء هذه البلاد عن فكر الإرهاب والتكفير والتفجير يتبين بكل جلاء ووضوح أن لا علاقة إطلاقاً بين فكر الإرهاب؛ المولد للتفجير والتدمير، وبين المناهج التي قامت عليها بلادنا، وسار عليها علماؤنا، ويؤكد ذلك اعتراف طائفة من الذين تبؤوا الفكر المنحرف، وخدعوا به أنهم لم يتلقوه من مناهج التعليم التي تدرّس في بلادنا، وإنما أخذوا تلك الافكار عن أصحاب الفكر المنحرف من شواذ المجتمعات الذين يلتقون بهم هنا وهناك.

---

(١) رئيس المجلس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد بن إبراهيم بن جبير، راشد بن صالح بن خنين، صالح بن محمد اللحيدان، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، عبد الله بن سليمان المنيع، حسن بن جعفر العتمي، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، محمد بن صالح العثيمين، محمد بن عبد الله السبيل، ناصر بن حمد الراشد، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، عبد الرحمن بن حمزة المرزوقي، محمد بن سليمان البدر، د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، د/ بكر بن عبد الله أبو زيد، محمد بن زايد آل سليمان، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي.،د/ صالح بن عبد الرحمن الأطرم، د/ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان.
انظر كتاب: فتاوى الأئمة، ص (١٨٣-١٩٦).

وقد بثت وسائل الإعلام المختلفة تلك التصريحات والاعترافات، وممن اعترفوا به: أبو محمد المقدسي[١]، وأبو قتادة[٢]، وكتاب (الظلال) لسيد قطب[٣]، والاعترافات لم تدع مجالاً للشك أنّ مناهجنا - ولله الحمد - بريئة كلّ البراءة من تلك الأفكار الفاسدة، وأنها تعلّم الخير، وحسن المعتقد والسلوك، وتحث على لزوم الجماعة، ووجوب السمع والطاعة[٤]. ويتبيّن أيضاً أنّ دعوتنا التي قامت عليها بلادنا، وسار عليها علماؤنا: بريئة من موجة التكفير على منهج الخوارج الذي انتشر بين شباب الصحوة بسبب بعض الجماعات والأفراد، الغالين في هذا الباب الذي تنضح كتبهم وأشرطتهم بالتكفير العام لكل من لا يوافقهم[٥].

وقبل أن أشرع في ذكر كيفية تغلغل هذا الفكر، ونشأته داخل بلادنا، وأسباب انتشاره، وكيفية علاجه، فإنني أذكر أولاً فكر الإرهاب والتكفير قديماً، ثم أعقبه بذكر فكر الإرهاب والتكفير حديثاً، ومن يقف وراءه ويغذيه؛ لتتضح الصورة ويربط بعضها ببعض، فإنه إذا عرف الداء وشُخّص، أمكن وسَهُل معرفة معالجته.

* * *

(١) (٢) هما من أتباع جماعة الاخوان المسلمين، وسيأتي ما يوضح بعض أفكارهما التكفيرية.

(٣) سيد قطب كان ممن ينظّر للعنف أسلوباً للتغيير، وسيأتي مزيد بيان لتوضيح ذلك.

(٤) من مقال للشيخ صالح الفوزان نُشر بجريدة الجزيرة، العدد (١١٤٣٤) بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٤٢٤هـ.

(٥) من مقال للشيخ محمد بن راشد الحبشان من المعهد العلمي بالرياض نشر بجريدة الاقتصادية، ربيع الآخر عام ١٤٢٥هـ عدد (٣٨٦١)، وقد أصاب في ذلك، وسيأتي في المباحث التالية ما يدل على ذلك ويؤكده.

المبحث الخامس

فكر الإرهاب والتكفير قديماً

إنّ التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره شهد الكثير من القلاقل والفتن من بعض من ينتسب إلى الإسلام ممن لم يحقق المعنى الصحيح للإسلام، وإنّ من أبرز مَن أثار الفتن والمشاكل للمسلمين (فرقة الخوارج)؛ وهم الذين خرجوا على ولي الأمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونتج عن خروجهم قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زاد شرهم وانشقوا عليه وكفروه، وكفروا الصحابة؛ لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم، وهم يحكمون على من خالفهم في مذهبهم أنه كافر؛ فكفروا خيرة الخلق، وهم: صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم لم يوافقوهم على ضلالهم.

ومذهب الخوارج أنهم لا يلتزمون بالسنة والجماعة، ولا يطيعون ولي الأمر، ويرون الخروج عليه من الدين[1]، عكس ما أمر الله به من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فطاعة ولي أمر المسلمين من الدين، والخوارج لا يرون ذلك، كما هي حال

(١) لمعرفة مذهب الخوارج ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٦٧-٢٠٧)، والفرق بين الفرق (٧٣-٧٤)، والبرهان في فرقة عقائد أهل الأديان (١٧)، والملل والنحل (١/ ١١٤) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (١٩/ ٨٩).
وقد عرف الشهرستاني الخوارج: «بأن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان» الملل والنحل (١/ ١١٤)، ويقول أبو حاتم الرازي في كتابه الزينة، ص (٢٨٢): «و أما الخوارج فسموا بذلك؛ لخروجهم على كل إمام، واعتقادهم أنّ ذلك فريضة عليهم، لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا، ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة، وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين حرباً لهم»ا.هـ

بعض الثورات اليوم؛ فالخوراج يرون تفريق جماعة المسلمين، وشق عصا الطاعة، ويرون أن مرتكب الكبيرة كافر، ومرتكب الكبيرة: هو الزاني والسارق، وشارب الخمر، والمرابي، ويرون أنه كافر، في حين أنّ أهل الحق أهل السنة والجماعة يرون أنه مسلم ناقص الإيمان.

والسبب الذي أوقع الخوارج في التكفير هو: أنهم ليس عندهم فقه؛ لأنهم اشتدوا في العبادة، والصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن، وعندهم غيرة شديدة، لكنهم لا يفقهون، وهذه الآفة؛ فالاجتهاد في العبادة والورع، لا بد أن يكون مع الفقه في الدين والعلم، ولهذا وصفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بأن الصحابة يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم، وعبادتهم إلى عبادتهم، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة**»[(١)]، مع عبادتهم ومع صلاحهم، ومع تهجدهم وقيام الليل، لكن لما كان اجتهادهم ليس عن أصل صحيح، ولا على علم صحيح صار ضلالاً وشراً عليهم، وعلى الأمة[(٢)].

ومما عُرِف به الخوارج أنهم يقاتلون المسلمين دائماً؛ فقتلوا عثمان، وقتلوا علي بن أبي طالب، وقتلوا الزبير بن العوام، وقتلوا خيار الصحابة وما زالوا يقتلون المسلمين.

ومن المعروف أنّ الخوارج هم أول من استخدم الإرهاب الفكري في وجه مخالفيهم، ثم قتالهم ثانية، وقد شابهتهم كثير من الجماعات الدينية المعاصرة.

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان: «وواجب على المسلمين - في كل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤)، قال الإمام أحمد: «صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه)، وخرّج البخاري طائفة منها.
(٢) ينظر: لمحة عن الفرق الضالة للشيخ العلامة صالح الفوزان، ص (٣١-٣٧).

عصر - إذا تحققوا من وجود هذا المذهب الخبيث أن يعالجوه بالدعوة إلى الله أولاً، وتبصير الناس بذلك؛ فإن لم يمتثلوا قاتلوهم دفعاً لشرهم»[١].

وقد أُطلق عليهم عدد من الأسماء الأخرى، يسمون بها غير الخوارج منها: الحرورية: سمّوا بذلك لنزولهم (بحروراء) اسم قرية.

والشراة: وقد سُموا بذلك؛ لأنهم يقولون: إنهم شروا أنفسهم من الله بالجهاد.

والمحكّمة: سموا بذلك؛ لإنكارهم التحكيم في صفّين، وقالوا: لا حكم إلا لله.

والمارقة: يطلق عليهم المخالفون هذا الاسم؛ لخروجهم عن الطاعة ومخالفتهم لإجماع المسلمين، وهم لا يرضون بهذا، ويرضون بسائر الأسماء[٢].

❊ ❊ ❊

(١) المصدر السابق، ص (٣٧)، وقد قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - مبيناً حقيقة الخوراج، ومزيلاً اللبس الحاصل في فهم البعض من عدم التكفير مطلقاً، ولو لمن يستحقه قال: «أقول بهذه المناسبة: لما كانت حقيقة الخوارج أنهم يكفرون من المسلمين من ارتكب كبيرة دون الشرك؛ فإنه قد وجد في هذا الزمان من يطلق هذا اللقب - لقب الخوارج - على من حكم بالكفر على من يستحقه من أهل الردة ونواقض الإسلام؛ كعبادة القبور وأصحاب المبادئ الهدامة؛ كالبعثية والعلمانية وغيرها، ويقولون: أنتم تكفرون المسلمين فأنتم خوارج؛ لأن هؤلاء لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا يعرفون نواقضه، ولا يعرفون حقيقة مذهب الخوارج بأنه الحكم بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وأن الحكم بالكفر على من يستحقه بأن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام هو مذهب أهل السنة والجماعة» انظر: فتاوى الأئمة في النوزال المدلهمة ص (٢٤٠) نقلاً عن كتاب أضواء من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

(٢) ينظر: الحور العين للحميري، ص (٢٥٤-٢٥٥).

المبحث السادس

التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج

من خلال قراءة كتاب الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد يوسف أطفيش (١٢٣٦- ١٣٣٢هـ) تأليف: عدون جهلان، نجد أنّه في الفصل الثاني من كتابه والذي جعله بعنوان: أنواع الإمامة، (مسالك الدين) من ص (١٤٨-١٧٥) يقول:

«وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل (مسالك الدين): هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية». . . إلى أن يقول: «فإن لم يتحقق هذا المطلب؛ بأن عدمت شروط إقامة الدولة، وجب حينئذ تصحيح الأوضاع أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر بمختلف الوسائل، والأمور المشروعة، فقد يضطر الموقف لإعلان الثورة ضد الجور والفساد، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين في الخفاء من الإصلاح، وتغيير المنكر بالتي هي أحسن»[(١)].

وقد ذكر عدون جهلان أنّ أنواع المسالك أربعة وهي:

١- الظهور ٢- الدفاع

٣- الشراء ٤- الكتمان

ثم بدأ في تحليل هذا المسالك وفق مذهب الخوراج الإباضية فبدأ:

أولاً: مرحلة الظهور:

فقال بأن الظهور: هو الأصل المأمور به، ويمثل المرحلة الأولى من مسالك الدين، وتعتبر أفضل المراحل وأحسنها، وعادة ما تكون هذه

(١) ص (١٥٠) وانظر: من ص (١٥٠- ١٧٠).

المرحلة تتويجاً للمساعي والجهود للحالات الثلاث : الكتمان، والدفاع، والشراء، وهي الهدف الذي يقاتل ويستشهد في سبيله الإباضية، وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور، ويعني بها (قيام حكومة إباضية وفقاً لتعاليم المذهب الإباضي، تسير على منهج الشرع الإسلامي، فتنفذ أحكام الله. . ، وتحمل دعوة الإسلام إلى بلاد الكفر؛ لأنّ الدولة حينئذ تكون قد ظهرت على غيرها، بعد أن تكاملت فيها جميع الوظائف العامة والأساسية، ويكون المجتمع الإسلامي فيها حراً مستقلاً ذا سيادة لا تخضع لأجنبي بوجه من الوجوه، ولا يستبد به حاكم، ولا يطغى عليه ذو سلطان.

ومرحلة الظهور هذه لا تتحقق إلا بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله، وحقوق العباد، ولا يزول إمامها إلا بإحداث في الإسلام أو زوال عقل أو عدم نفع.

ثم ذكر الشروط الواجب توافرها لإعلان الظهور وإقامة الدولة.

ثم ذكر أنه من الملاحظ أن هناك نوعين من الظهور:

الأول: الظهور الكامل حيث تتحقق الإمامة العادلة، مثّل له بالدولة الرستمية.

والثاني: الظهور الناقص أو الضعيف، وفيه تكون الأمة ظاهرة مستقلة ذات سيادة، لكنها لا تحقق كل الأهداف المرجوة، ولا تبلغ كمال الظهور ولا الإمامة العظمى[1].

ثم ذكر العلاقة بأهل الخلاف في مرحلة الظهور، فقال: وهي أن يدعو إلى ترك ماخالفوا به، فإن أجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على

(١) المصدر السابق، (١٥٠- ١٥٤)

المسلمين، أما إذا امتنع منهم عن أداء الواجبات عوقب بما يرده إلى سواء السبيل.

ثانياً: مرحلة الدفاع:

مرحلة الدفاع بعد الظهور أقل مرتبةً، ودرجةً، وفضلاً، سمّيت بالدفاع؛ لأن المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنفسهم، ودينهم، ومكتسباتهم عن إقامة الدولة، والظهور على الأعداء.

ويكون المسلمون قد ضعفوا وتخلفوا عن شرف الظهور لنقص إمكانياتهم وقلة عددهم، ويجب عليهم في هذه المرحلة ألّا يهادنوا بل يصبح الدفاع واجباً؛ فيلجأون به إلى اختيار إمام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم، وتدعى إمامته بإمامة الدفاع.

ثم يذكر أنّ من موجبات الدفاع ورفع رايته:

١- مداهمة العدو للأمة، وقد يكون العدو من خارج الدولة، وقد يكون من الداخل.

٢- تفشي الفساد، وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انحراف الإمام عن الجادة، وتخليه عن الإمامة... الخ.

حينئذ يجمع المسلمون على إمام ينصبونه، وتجري عليه الأحكام التي تقع في حالة كونه إماماً للظهور، وتجب عليهم طاعته؛ فيعلنون الدفاع عن الدين والأمة، ويسمى قائد الثورة إمام الدفاع، له على الأمة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت واستقرت الأوضاع، أصبح واحداً من أفراد الأمة تزول إمامته بزوال الثورة، فتتجدد له أو لغيره لحادث.

ثم ذكر نتائج الدفاع فقال:

«والثورة لا تهدأ إلا بأحد أمرين: الانتصار أو الفشل:

أولاً: تنتصر الأمة الثائرة، وترجع الأمور إلى نصابها وتستقيم الأوضاع، وفي هذه الحالة تحتمل نتيجتين:

أولاً: تستجيب الدولة الباغية إلى الرشد، وتنضم إلى أهل الحق، وفي كلا الحالين لا يكون لزعيم الثورة حق في الإمامة.

ثانياً: تفشل الثورة ولا تحقق أهدافها، وتحتمل نتيجتين كذلك:

١- يستشهد الثوار عن بكرة أبيهم بعد أن أدوا واجبهم، وهذا مطلب عظيم أجره، ونتيجة مرغوب فيها.

٢- تبقى أقلية من الثوار لا حول لهم ولا قوة؛ فيختارون بين أمرين: إما الاستراحة وطريق السلم، فيدخلون في مرحلة الكتمان، وإما تجديد العزم والدخول في مرحلة الشراء...

ثالثاً: الشراء:

يقول أيضاً: «تأتي هذه المرحلة ثالثة من مسالك الدين، تتفق هذه المرحلة مع مرحلة الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر[١]، وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة[٢]، لكن تختلف وإياها في أسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات، حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة، والمباغتة، والعنف من أجل تغيير المنكر، وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة»[٣].

---

(١) بخلاف أهل السنة والجماعة من عدم جواز الخروج على السلطان المسلم، وإن كان جائراً؛ لما يترتب على الخروج من مفاسد، ثم إنّ الخوارج يرون الخروج على الإمام الجائر من وجهة نظرهم الخاطئة، وإلا فقد يكون الإمام الذي اعتبروه جائراً ليس كذلك، كما هو الحال مع عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) هذا من وجهة نظرهم أيضاً.

(٣) لاحظ ما ذكره هنا وما قبله، وقارنه بما يحصل الآن في بعض بلاد المسلمين من فتن وثورات.

ونقل عن الشيخ يحيى معمر (١٩١٥- ١٩٧٩) قوله : «إنّ هذا التنظيم يشبه أن يكون شغباً على دولة ظالمة مسلمة، أو مسالمة راضية بالذل حتى لا تطمئن إلى تنفيذ خططها الجائرة، وقد لا تكون لها نتائج غير القلق يخيم على الظالمين»[١].

والذين يتولون هذه المهمة يسمون الشراة؛[٢] لأنهم باعوا أنفسهم بالجنة، ولشراء أنفسهم من النار، أو لشراء الجنة بأنفسهم؛ فإنّ الشراء يطلق على البيع، قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧] وقال في آية أخرى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]

ثم ذكر شروط مرحلة الشراء:

ومنها أن يكون عددهم عند خروجهم أربعين[٣]، وأما الشروط أثناء الخروج فذكر أنها قاسية، ولا يتقبلها إلا الفدائيون الذين وهبوا حياتهم لحياة الأمة.

قال: ويمكن حصرها في هذه الشروط :

١- لا يعود الشراة إلى ديارهم بعد الخروج إلا في حالات استثنائية.

٢- يعتبر العائد إلى منزله لمهمة غريباً، وفي حكم المسافر.

٣- أن لا يستقروا في مكان واحد، ولا يركنوا إلى الراحة؛ لأن مهمتهم تقتضي التنقل الدائم، واليقظة المستمرة؛ استعداداً لمباغتة العدو في كل لحظة.

---

(١) الفكر السياسي عند الإباضية، ص (١٦٠) وانظر : الإباضية في موكب التاريخ، ص (١٤) (الحلقة (١) ص (٩٤).

(٢) تأويل للنصوص وحملها على غير ما يجب أن تحمل عليه في الجهاد المشروع.

(٣) يرى سيد قطب أنّ عدد ٧٠ فرداً يكفي، كما سيأتي في مبحث التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين ص٩٧.

٤- أن لا يتخلوا عن رسالتهم؛ حتى ينتهي بهم الأمر إلى النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرين لهم[١]، وذكر شروطاً أخرى، ثم ذكر أهداف الشراة وقال: «الغاية القصوى التي خرج من أجلها الشراة تتمثّل في إعلان الثورة ضد الظلم والفساد، وتغيير نظام الحكم إن لم يحكم الرعية بمقتضى الشرع، أو كان الحاكم من غير الملة أصلاً؛ حينئذ ينشد الشراة أهدافاً مرحلية تكون مطية لبلوغ الهدف الأسمى، وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:

١- قطع المواصلات على السلطة الظالمة.
٢- هدم قلاع الطغاة وحصونهم.
٣- الاستيلاء على مخازن الذخيرة والعتاد.
٤- إثارة الشغب في أوساط أجهزة الدولة.
٥- ضرب منافع ومعاقل السلطة الجائرة، وزعزعة هيئتها؛ حتى تشعر الأمة الإسلامية أن هناك قوة روحية أقوى وأشد من القوة المادية الحاكمة التي وصلت إلى الحكم[٢].

ثم يذكر أنّ للشراة مهمة حتى في حالة السلم، وتحت الدولة . . . وهي مراقبة السلطة في تسيير شؤونها، ومتابعة الأئمة وأعوانهم في تنفيذهم لأوامر الله، وإقامة حدوده «أنهم يمتحنون الأئمة والعمال»، فيراقبونهم في أعمالهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، ولا يخفي الشراة نتائج تحرياتهم؛ بل يعلنون كل شيء وجدوه، فيطلعون الرعية بذلك . . . الخ[٣].

---

(١) ينظر ص (١٦٢) نقلاً عن يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ (١/ ٩٥). وانظر - رعاك الله - هذه الأمور الأربعة، وقارنها بما يحصل الآن في بلدنا من بعض الخوارج المارقين.
(٢) ص (١٦٢).
(٣) المصدر السابق، ص (١٦٣).

ونقل عن يحيى بن معمر قوله : «والواقع أنّ نظام الشراء عند الإباضية يشبه إلى حد كبير حركة ثورية مبدؤها مقاومة الظلم؛ إما بالدعوة السلمية، أو بالقوة إن اقتضى الأمر ذلك»[١].

ويقول عدون جهلان نقلاً عن فاروق عمر : «وتتميز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لها، وتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة»[٢].

رابعاً : الكتمان :

ويقول عدون جهلان : «المرحلة الرابعة من مسالك الدين : هي الكتمان، وهي أدنى درجات الجهاد في سبيل الله، وفيها تفتر القوة، وتضعف النفوس؛ فيعجز المسلمون عن رد المظالم، وإنكار المنكر إلا بالقلب؛ فترضى الأمة بالواقع، وتستسلم لحكم الجبابرة، ولا تجد سبيلاً للثورة ضد الحكم؛ فيضطر ذوو الغيرة على الدين؛ لكتمان أمرهم وانعزالهم بعيداً عن المجتمع الفاسد، ويوجهون نشاطهم لأمورهم الداخلية، ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان : وهو تنظيم خاص للمجتمع الذي عجز عن إقامة الدولة؛ لعدم توفر الشروط الكافية للظهور، وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ، وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الإباضية على التنظيم . . . إلى أن يقول : كما تدل مرحلة الكتمان على النضج السياسي، فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة، إنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة»[٣].

(١) المصدر السابق، ص (١٦٤). وينظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية، لعلي يحيى معمر، ص (٢٩٨).

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، ص (١٦٤) وانظر التاريخ الإسلامي في القرن العشرين لفاروق عمر، ص (٤٠).

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية، ص (١٦٤) وانظر : نشاط الحركة الإباضية في المشرق العربي لمحمد طالب، ص (٢٩٢).

ثم ذكر أنه في مرحلة الكتمان يتركز النشاط على جانبين :

الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني، والاجتماعي، والتربوي، والاقتصادي.

الثاني: العلاقات الخارجية للمجتمع بغيره من الطوائف[١].

وذكر أنّ المهم في هذه المرحلة التركيز على إنشاء الجمعيات، والمؤسسات الخيرية التي تتكفل بإرشاد الناس، وتهذيب نفوسهم، وتربية النشء تربية دينية، ونشر الوعي الديني بين طبقات الشعب، . . . والتعاون بالمساعدات المادية، والمعنوية عن طريق الحملات التطوعية لصالح البلدة والمجتمع؛ فهي على سبيل المثال التعاون على بناء المشاريع الخيرية العامة مثل : المدارس، والمساجد، والنوادي، والسدود، والتعاون على إقامة الأعراس، والتعاون على تعليم النشء، وتربيتهم، وتوجيههم.

ثم ذكر أنهم يتشكلون على عدة تنظيمات، ومن عدة حلقات، والحلقة تتألف من اثني عشر عضواً لكل مهامه الخاصة، وقد يرتفع عدد الأعضاء إلى أكثر من ذلك حسب ما تتطلبه الحاجة الدينية والاجتماعية.

أما شروط الأعضاء فكثير أهمها : أن يكون المرشح إباضياً متفانياً في خدمة مذهبه واتباعه، وأن يكون حافظاً للقرآن الكريم، زاهداً في الدنيا، وإذا تحدد الشخص جُعِل له رقيب؛ ليراقب سلوكه وتصرفاته[٢]، وذكر تنظيمات أخرى لعدد من الأوجه والنشاطات التي يقوم بها المرتبطون بالتنظيمات[٣]، وفيما يلي

(١) المصدر السابق ص (١٦٥).

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، ص (١٦٩) وانظر : التنظيمات السياسية والادارية لعوض محمد خليفات، ص (١٥).

(٣) ينظر : الفكر السياسي عند الإباضية، ص (١٦٩- ١٧٤).

خلاصة لمسالك الدين حسب ما رسمها وأوردها صاحب الفكر السياسي[١]:

	الظهور	الدفاع	الشراء	الكتمان
الهدف	إقامة الدولة العادلة	الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد	الثورة ضد الحكم الجائر	المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع
دليل المشروعية	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	وجاهدوا في سبيله لعلك تفلحون	إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	أدلة مشروعية التقيّة
الشرط الموجب	توفر القوة الكافية في العدد والعدة	انتشار الفساد أو ظهور عدو	تسلط حاكم جائر أو مستعمر كافر	أقلية ضعيفة في دولة مخالفة
نوع السلطة	إمام منتخب وحكومة عادلة	إمام ينعزل بانتهاء الحرب	قائد مؤقت ينتصر أو يموت	سلطة اجتماعية (نظام العزابة)
أسلوب العمل	تسييس الرعية وإنفاذ أحكام الشرع	المجابهة بالقوة بعد النصح والتحذير	الثورة عند الظلم أو المراقبة في السلم	النشاط الديني والتربوي والاجتماعية
الإمكانيات	السلاح والعلم والمال والرجال	السلاح والرجال	ما يحتاج إليه الفدائي من قوة الإيمان	العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية

وأنا لست بصدد الرد على هذه المسالك، وبيان مخالفتها للشرع فهي في الجملة تدخل فيما يسميه العلماء الشرع المبدّل، والذي يدخل فيه - أعني في الشرع المبدّل - الكذب على الله ورسوله، أو على الناس، ويدخل فيه الأحاديث الموضوعة، والتأويلات الفاسدة، والأقيسة الباطلة والبدع المحدثة.

ولا ريب أن هذا هو مسلك الخوارج من قديم، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفاً إياهم: «. . ثم خرجوا يتسللون وحداناً؛ لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا

(١) ص (١٧٥).

الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود من السماوات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات؛ وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنَّبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فَرَّ بعد ذلك، فلحق بالخوارج، فخسر إلى يوم القيامة. .»[1].

والمقصود من إيراد هذه المسالك، هو بيان أنّ بعض الجماعات الحزبية المعاصرة جعلت هذه المسالك أو بعضها طريقاً لها، ومسلكاً تتبعه لتحقيق غاياتها، وقد يكون بعبارات وأساليب مختلفة الألفاظ، لكنها متفقة معها في المعاني مع عدم الإشارة إلى أنّ هذه الطرق مما ابتدعه الخوارج ورسموه لأنفسهم.

ومما يلاحظ أن الخوارج هنا سلكوا مسلك التقية على عكس ما كان عليه الخوارج الأولون.

ثم إنّ هذا المسلك - وهو التقيّة - صار سلماً يعبر عليه المتأثرون بالجماعات الحزبية المخالفة لمنهج السلف الصالح من أجل تحقيق غاياتهم، وسيتضح ذلك جلياً عند ذكر مسالك بعض الجماعات الدعوية الحزبية المعاصرة، ومنها جماعة الإخوان المسلمين على مختلف توجهاتها، فهي كما يقول علي عشماوي أحد قادة الإخوان المسلمين: «إنّ الإخوان كانت أم التنظيمات الإسلامية في العالم العربي؛ لأنها أقدمها وهي التي فرّخت بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانحرافات جاءت من داخل الإخوان أنفسهم» ا.هـ كلامه في

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨١).

التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، ص (٣-٤).

فمن الجماعات التي فرختها الإخوان؛ الجماعة الإسلامية، والجماعة المسماة «جماعة الجهاد»، وجماعة التكفير والهجرة، ثم القاعدة، ثم ما يسمى الآن بداعش، وجبهة النصرة.

* * *

المبحث السابع

فكر الإرهاب والتكفير حديثاً
وتأثر بعض أبناء البلاد السعودية بذلك

عرفنا مما تقدم فكر الخوارج المتقدمين، وكيف أنه ألحق الضرر الفادح بالمسلمين عبر العصور المختلفة، فهو فكر إرهابي مدمر مخالف لحقيقة الدين الإسلامي الصحيح.

وإنّ المتأثر بهذا الفكر يصعب منعه من تنفيذ مآربه؛ لشدة ضلاله وانحرافه، والتاريخ خير شاهد، وقد عانت بعض البلاد الإسلامية من بعض من تأثر بهذا الفكر، كما حصل في مصر ثم الجزائر وأخيراً في البلاد السعودية، ذهب ضحية ذلك الكثير من الأبرياء.

وإنّ من أسباب هذه الأعمال الإرهابية؛ هو تأثر بعض أبناء هذه البلدان بالفكر التكفيري الخارجي نسبة (للخوارج)، وإنّ من أسباب وجود هذا الفكر في هذا العصر؛ هو وجود الكثير من المؤلفات المعاصرة والتي اتخذت مسميات عديدة، وأساليب متنوعة لكنها في النهاية إنما هي خلاصة للفكر الخارجي التكفيري.

وهذه المؤلفات تتبع لفكر جماعات إسلامية ذات تنظيمات سرية، وتتسم دعوتها بالتكتم والخفاء والتلون وعدم إظهار حقيقة أمرها.

وإنّ من أعظم ما ابتلي به المسلمون في هذا العصر من هذه الجماعات، جماعة الإخوان المسلمين بتوجهاتها الثلاث[1]؛ فهي أمّ التنظيمات

(١) سيأتي التعريف بكل توجه من هذه التوجهات.

الإسلامية في العالم العربي؛ لأنها أقدمها، وهي التي فرّخت بقية التنظيمات بعد ذلك؛ وبداية الانحرافات جاءت من داخل الاخوان أنفسهم[١].

البنائية: نسبة لمؤسس الجماعة حسن البنا.

والقطبية: نسبة لسيد قطب.

والسرورية: نسبة لمحمد سرور.

والتي يتضمن فكرها الخروج بأسوأ معنييه: الخروج عن السنة[٢]، والخروج على الجماعة.

فأما الخروج عن السنة فإنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل عن الفرقة الناجية قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٣].

وأمر باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين، فقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . . . وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» الحديث[٤].

وهذا الخروج عن السنة ظاهر في كتبهم ومؤلفاتهم؛ ومقالاتهم؛ فقد حوت الكثير من المخالفات للسنة، والذم لأهلها السائرين على منهج السلف الصالح، كما تضمنت الكثير من البدع والمدح لأصحابها.

---

(١) قاله أحد زعماء الاخوان وهو العشماوي في كتابه (التاريخ السري لجماعة الاخوان المسلمين) ص (٣-٤).

(٢) المراد بالسنة موافقة الكتاب وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه سواءً في أمور الاعتقادات أو العبادات، ويقابلها البدعة.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٤٧)، والآجري في الشريعة ص (١٥)، والمروزي في السنة ص (٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٦٤، ١٦٥)، والحديث صحيح بشواهده.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦-١٢٧) والترمذي (٢٦٧٦) وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجة في المقدمة (٣٤) وغيرهم، وهو حديث صحيح.

وثانيهما: عدم طاعة ولي الأمر المسلم، والخروج عليه، وتهييج العامة والغوغاء ضده في كل بلد وجدت لهم فيه دعوة، وتأويل النصوص التي تأمر بطاعة ولي الأمر المسلم، أو تحث على لزوم الجماعة، ولزوم ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، بأن لها معنيين عن السلف - هكذا زعموا -:

الأول: أنّ الجماعة هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره؛ وهو الإمام الموافق للكتاب والسنة، وهذا هو المعنى الحسي للجماعة، وأحياناً يسمى: السياسي.

الثاني: أنّ الجماعة هم من كان على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، سواءً وُجِد الإمام أو لم يوجد، وهذا المعنى العلمي أو الروحي للجماعة[١].

ثم قالوا: ومن ثَمَّ فليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام بالمعنى الحسي[٢].

ولذا قالوا: فليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام بالمعنى الحسي، مع علمهم بوجود الدولة السعودية التي تطبق الشرع، ووجود دول إسلامية أخرى يصعب الجزم بكفر ولاتها، ولكن من أجل التمويه والخداع، وليسلموا من هذا المأزق أوّلوا النصوص وحرفوها على أن الدولة المعتبرة فقط: هي دولة

---

(١) ينظر: كتاب (الثوابت والمتغيرات) للدكتور صلاح الصاوي، ص (١٩).

(٢) ينظر: كتاب (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة دراسة حول الجماعة والجماعات)، للدكتور/ عبد الحميد هنداوي، ص (٥١)، وينظر: كتاب (جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها) للدكتور/ صلاح الصاوي، وكتاب (أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى) لمحمد عبد الهادي المصري، وكتاب (الطريق إلى جماعة المسلمين) لحسن محمد علي جابر، فهي تؤصل لهذه المعاني، ومعظم كتابات الإخوان تدور حول هذا، بحيث يرون أنّه لا توجد دولة مسلمة، وبالتالي لابد من إيجاد هذه الدولة المسلمة التي تحكم جميع المسلمين.

الخلافة أو الدولة التي يعلن ولي أمرها أنه ولي لجميع المسلمين، فوقعوا في مخالفات كثيرة منها: تأويل النصوص الشرعية تأويلاً باطلاً، ومنها مخالفتهم لإجماع العلماء، ومنها: مخالفتهم للواقع، وبعضهم كان جريئاً في الباطل فحكم بكفر ولاة أمر هذه البلاد وغيرها من بلاد المسلمين، كأبي قتادة، والمقدسي، ومحمد سرور وغيرهم.

ولذا يقول الصاوي: «والأصل في ذلك كله أنّ الحركات الإسلامية اليوم بمثابة الجيوش التي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف نحلها ومشاربها لدفع فتنة الكفر والردة ودرء خطرهما عن دار الإسلام، فهي البديل عن الدولة الإسلامية»[١].

قلت: وسيأتي المزيد من الإيضاح لهذه التأويلات التي كانت سبباً للخروج عن السنة وعلى أولياء الأمور في كثير من البلاد الإسلامية.

وإنّ من أبرز المؤلفات التي شحنت بعض الشباب المتدين في بلادنا شحنته بالفكر الخارجي، هي بعض مؤلفات سيد قطب ومن تأثر بفكره ممن جاء بعده، مثل: محمد قطب[٢]، ومحمد سرور[٣]، والترابي، ومحمد أحمد الراشد (اسم حركي)، وصلاح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق، وجمال سلطان، وغيرهم، فقد أثّروا بفكرهم على بعض من يسمى بدعاة الصحوة في بلادنا.

وإنّ سيد قطب يعتبر ممن أحيا فكر الخوارج التكفيري في هذا العصر؛ ولهذا تعتبر مؤلفاته هي الأخطر؛ لأنها المرجع التي يرجع إليها المتأثرون بهذا الفكر من أبناء هذه البلاد وغيرها؛ لأنه قلّ أن تخلو مكتبة عامة أو

(١) كتاب الثوابت والمتغيرات، للدكتور / صلاح الصاوي، ص (١٩).
(٢) وقد ظهر تأثيره المباشر في بعض مؤلفات تلاميذه من أبناء هذه البلاد.
(٣) وهذا كسابقه؛ بل أسوأ.

خاصة من كتب سيد قطب، بل قل أن توجد مدرسة متوسطة أو ثانوية للبنين أو البنات إلّا وتوجد بها كتب سيد قطب، وقلّ أن توجد كلية من الكليات أو جامعة إلا وتوجد بها كتب هذا الرجل، بل يُحَث الطلاب على الرجوع إليها والاستفادة منها، وقلّ أن يوجد من يحذّر من الأخطاء التي حوتها مؤلفاته، بل إنّ قادة الجماعات المتطرفة ومنظريها، جعلوا كتب سيد هي الأساس التي يربى عليها الشباب.

يقول الدكتور سعيد مراد: «المرحلة الثالثة - من مراحل جماعة الإخوان المسلمين - تنظيم ١٩٦٥م (القطبيون): أتباع سيد قطب، هذه المرحلة من أخطر المراحل التي مرت بها جماعة الإخوان المسلمين إذ أنها اتجهت بشكل سافر إلى تنظير العنف أسلوباً للتغيير»[١].

وهناك إرهاب فكري منظّم لدى الجماعات الحزبية، يتضمّن محاربة كل من ينتقد فكر الجماعات الحزبية عموماً، وفكر سيد قطب خصوصاً.

وهذه الجماعة بتوجهاتها الثلاث انتهجت منهجاً يخالف منهج السلف في أبواب من العلم والعمل.

* * *

(١) الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً، (٣٧٠). وهذا ما تقوم به القاعدة وداعش والنصرة ممن انتهجت هذا المنهج المدمر.

المبحث الثامن

جماعة الإخوان المسلمين

وقبل أن أذكر أمثلة ونماذج من كلام قادتها ومنظّريها، سأذكر أولاً ما ذكره الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي عن مناهج هذه الجماعة في كتابه (الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية)، وهو الخبير بها وبالجماعات الحزبية، وله المؤلفات النافعة والمفيدة في العقيدة والفقه والدعوة، مع المعرفة الجيدة بالمناهج الدعوية المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجماعة الإخوان المسلمين[1] هم أتباع حسن البنا، ومنهجهم عليه ملاحظات أهمها ما يلي:

١- التهاون في توحيد العبادة الذي هو أهم شيء في الإسلام، ولا يصح إسلام عبد إلا به.

٢- سكوتهم وإقرارهم للناس على الشرك الأكبر من الدعاء لغير الله والتطواف بالقبور، والنذر لأصحابها، والذبح على أسمائهم، وما إلى ذلك.

٣- إنّ هذا المنهج مؤسسه صوفي، له علاقة بالصوفية؛ حيث أخذ البيعة عن عبد الوهاب الحصافي على طريقته الحصافية الشاذلية.

٤- وجود البدع عندهم وتعبدهم بها، بل إنّ مؤسس المنهج يقرر بأنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر مجالس ذكرهم، ويغفر لهم ما قد مضى من ذنوبهم في قوله:

صلى الإله على النور الذي ظهـر ... للعالميـن فـفاق الشمس والقمرا
هذا الحبيب مع الأصحاب قد حضرا ... و سامح الكل فيما قد مضى وجرا

(١) وفق التوجه البنائي، نسبة لحسن البنا.

٥- دعوته إلى الخلافة، وهذه بدعة، فإنّ الرسل وأتباعهم ما كلفوا إلا بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٦- عدم الولاء والبراء عندهم أو ضعفه، ويتبين من ذلك دعوتهم للتقريب بين السنة والشيعة، وقول المؤسس: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»(١).

٧- كراهيتهم لأهل التوحيد وأصحاب الطريقة السلفية، وبغضهم لهم، ويتبين ذلك من كلامهم في الدولة السعودية التي قامت على التوحيد، وتدرس التوحيد في مدارسها، ومعاهدها، وجامعاتها.

٨- تتبعهم عثرات الولاة، والتنقيب عن مثالبهم سواءً كانت صدقاً أو كذباً، ونشرها بين الشباب الناشئ؛ ليبغضوهم عندهم، وليملؤا قلوبهم حقداً عليهم.

٩- الحزبية الممقوتة التي ينتمون إليها، فيوالون من أجل هذا الحزب ويعادون من أجله.

١٠- أخذ البيعة على العمل للمنهج الإخواني بالشروط العشرة التي ذكرها المؤسس، وهناك ملحوظات أخرى ا.هـ. كلام الشيخ ص (٥٢)، وهو كلام الخبير بهم وبمؤلفاتهم، وإنّ ما سطروه يدل على صحة جميع ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

---

(١) ولم يقيدوا ما يعذر فيه بما كان في الفروع دون الأصول لم يقيدوه لا في مؤلفاتهم ولا في واقعهم العملي.

(٢) وينظر: مذكرات حسن البنا ص (٢٤، ٢٣، ٢٢)، وحسن البنا بأقلام تلاميذه ومعاصريه ص (٧١، ٧٢) وقافلة الإخوان المسلمين (١/ ٤٨)، وشهيد المحراب، ص (٢٣) وتصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية ص (٢٣) وغير ذلك. وانظر: مبحث نماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري جماعة الإخوان المسلمين، ومن تأثر بهم من ص (١٠٥) إلى (١٤٦).

وقال الشيخ أيضاً: «القطبيون[١]: هم قوم قرأوا مؤلفات سيد قطب، وأخذوا ما فيها من حق وباطل، فتجدهم يدافعون عن سيد قطب إذا انتقده أحد، ولو كان الحق مع المنتقد، ومعلوم أنّ سيد قطب ليس من رجال العلم الديني، والأصل أنّه أديب، ثم هو يأخذ بالمذهب الأشعري، وعنده أخطاء فاحشة وفادحة[٢]. قد تصدى له رجال من أهل العلم فبينوها، فلما بينوها؛ ثارت القطبية عليهم بالنقد والكلام والتجريح فيهم - فحسبنا الله ونعم الوكيل -.

فالأصل أن الرجال يعرفون بالحق، وليس الحق يعرف بالرجال، فيجب علينا أن نأخذ بالحق، وأن ندين به لله رب العالمين، وأن نترك كل من نهج منهجاً مبتدعاً، ونجعل أسوتنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلفاءه، وأصحابه، والتابعين لهم أئمة الهدى»ا.هـ[٣].

ثم إنه تفرع عن هذه الجماعة القطبية عدة جماعات؛ منها: جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، و(حزب التحرير الإسلامية)، و(الجماعة الإسلامية)، و(الجهاد الإسلامي)، وكلها جماعات متطرفة تقوم على فكر سيد قطب المبني على فكر الخوارج، وتؤمن بتكفير الحكام المسلمين

---

(١) يقصد أتباع سيد قطب، وهم من نتاج جماعة الإخوان المسلمين، وممن تولد عنهم.

(٢) من أخطرها وأشدها ضرراً على المسلمين: إحيائه لفكر الخوارج التكفيري، كما سياتي في الأمثلة من كتبه.

(٣) ص (٥٣)، والتسمية بالقطبية هم سموا أنفسهم، يقول الصاوي في كتابه مدى شرعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية، ص(١٧١)، : «أما القطبيون؛ فقد قام منهجهم ابتداءً على بلورة قضية التشريع وبيان صلتها بأصل الدين، وبيان أنّ الخلل الذي تعيشه أنظمة الحكم في مجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد، ومعلوم أنّ الكتب التي تمثل هذا الاتجاه وتعبر عن منهجه هي كتب الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في مجال الدعوة والمخاطبة العامة» ا.هـ

وقلب أنظمة الحكم، وترى أنّ الحكم في جميع البلاد الإسلامية هو حكم كافر، وتعلن الجهاد لتغيير الحاكم الكافر في نظرهم، وأنّ إقامة الدولة الإسلامية فرض عين، والجهاد هو الطريق لإقامة الدولة الإسلامية ؛ لأنه لا يجوز - في نظرهم -موالاة الكفار، والأنظمة كلها كافرة عندهم[١].

ثم قال الشيخ :

السرورية :

«السرورية : قوم أو حزب ينتمون إلى محمد سرور زين العابدين؛ وهم عندهم شيء من السنة، وشيء من البدعة[٢]، وأهم الملاحظات عليهم ما يلي :

١- أنهم يقدحون في الولاة، ويتكلمون فيهم بما ينتج عنه شر وفتنة وخطورة، والظاهر أنهم يكفرون الولاة، لكن هذا إنما هو مأخوذ من لسان حالهم، ولم يؤخذ من لسان مقالهم[٣]؛ لأن الطريقة التي سلكوها هي طريقة الخوارج أو قريبة منها، علماً بأن النصوص توجب السمع والطاعة لولاة الأمر، وولاتنا في هذا البلد مسلمون[٤] - ولله الحمد -، يحكمون بشرع الله، ويقيمون الحدود، فتكفيرهم أو الكلام فيهم الذي يوجب الخروج عليهم، ويوجب التمرد عليهم يعد فساداً عظيماً؛ لذلك

---

(١) ينظر : الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً، ص (٣٩٧- ٤٢٤)

(٢) فخلطوا الحق بالباطل؛ فراج باطلهم على كثير من الناس.

(٣) الشيخ يقصد السرورية في بلادنا السعودية، وإلا فمحمد سرور وأتباعه خارج هذه البلاد، يصرحون بتكفير ولاة هذه البلاد، وهذا ظاهر في كتابات محمد سرور، والمقدسي، وأبي قتادة، وغيرهم ممن أعمى الله بصائرهم، ولم يروا الحق بل ران على قلوبهم ما صدها عن سبيل الله.

(٤) هذا يؤكد ما سبق أنه يقصد المتأثرين بمنهج محمد سرور من أهل بلدنا.

ينبغي الحذر من أصحاب هذا المنهج أو التبرؤ منهم، ولا سيما وهم قد تناولوا علماء هذا البلد بالسب، والشتم المقذع، واتهامهم بالخيانة للدين، وهذا أمر يدل على ما وراءه.

٢- أنهم يدعون إلى الجهاد، وليس مرادهم جهاد الكفار، ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة[١][٢]، علماً بأننا لا نبرئ الدولة من الخطأ، ولا ندعي لها العصمة، ولكن نقول تجب طاعتهم ومناصحتهم بطريقة سرية[٣]؛ لأنهم مسلمون، والشارع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد منع الخروج على الولاة إلا أن يرى الخارج كفراً بواحاً معه من الله فيه برهان.

٣- أنهم يزعمون أنّ العلماء في هذا البلد لا يفقهون الواقع، ويُرَد عليهم بأن المفتين والقضاة لم يفتوا في مسألة واحدة، ولم يحكموا في مسالة أيضاً إلا بعد أن يعرفوا واقعها الذي يحيط بها من سبب ومناط للحكم[٤] ومؤثرات فيه، ومن يزعم أنّ هؤلاء العلماء وهؤلاء القضاة لا يفقهون الواقع فقد ظلم نفسه، وقال ما لا يجوز له أن يقوله، أما معرفة مكائد الأعداء، وما إلى ذلك؛ فهذه من خصائص الجيش في كل بلد[٥]. ا.هـ.

---

(١) وهذا ظاهر في طروحات من يسمى بالحركات الجهادية، وسيأتي لذلك أمثلة من كتب الصاوي وغيره.

(٢) ووضح بشكل جلي من قيام أتباع تنظيم القاعدة بالتكفير والتفجير في بلدنا، وهذا التنظيم من نتاج فكر الإخوان لا سيما السرورية والقطبية

(٣) كما وردت السنة بذلك.

(٤) الذين تكلموا في علماء هذه البلاد واتهموهم بعدم فقه الواقع، هم في الحقيقة من أبعد الناس عن العلم بالسنة، وعن معرفة فقه الواقع، ومن أجهل الناس، وقد أثبتت الوقائع والواقع جهلهم بما يدّعون علمه.

(٥) ص (٥٤)، أي أنّ ولي الأمر يتولى أمر ذلك، ويختار من يثق به في معرفة هذا الأمر من الجيش أو غيره.

ثم إنّ جماعة الإخوان المسلمين بتوجهاتها الثلاث وما تفرع عنها من جماعات لها تنظيمات سرية تقوم بالأعمال العسكرية، ولها تنظيمات سياسية وهي المعلنة غالباً.

يقول أيمن الظواهري في مذكراته التي نشرت في جريدة الشرق الأوسط، عدد (٨٤٠٦): «إن تركيبة الإخوان المسلمين عجيبة؛ فالقيادة الظاهرة كان يمثلها المرشد العام أمام الناس وأمام النظام، أما القيادة الحقيقية؛ فكانت بيد مجموعة من النظام الخاص» ا.هـ

وقال محمد أحمد الراشد في كتابه (صناعة الحياة)[١]: «الدعوة دار لها داخل وظاهر، فالظاهر يسع كل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الداخل، وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء فقط؛ لأنه موضع اتخاذ القرار واتخاذ الخطة والأسرار» إلى آخر الكلام المفيد للتنظيم السري التدميري.

وسأذكر في المبحثين التاليين :

١- التنظيم السري عند الإخوان المسلمين عموماً والقطبيين خصوصاً.

٢- وبعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة، ما يوضّح هذا الأمر ويبرزه بجلاء.

* * *

(١) ص (١٣).

المبحث التاسع

التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين عموماً والقطبية خصوصاً

قال علي عشماوي في كتابه التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين[١]: «في هذه المرحلة ينبغي على الأفراد المنتظمين للحركة أن ينفصلوا شعورياً عن المجتمع، وأن لا يشاركوا في شيء بينهم وبين أنفسهم، ولا يجهرون بذلك حتى يكتمل نضجهم، وتتم تربيتهم، وتتم توسعة رقعتهم وزيادة أعدادهم على قدر الإمكان، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى، هي مرحلة المفاصلة وهي: أن يقف رجالات هذه الدعوة (ويفاصلوا) المجتمع، ويقولوا: إن هذه طريقنا وهذه طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر، ولكل أن يتخذ ما يراه من موقف في هذه الحالة، وحين يفصل الله بين الطرفين بشيء أو بآخر، فإما أن ينصر الله الفئة المؤمنة وتأخذ بزمام الأمور، وإما أن يكون العكس، ويكون في قضاء الله أن تذبح هذه الفئة المؤمنة[٢]، كما حدث لأصحاب الأخدود الذين (فاصلوا) قومهم، ثم قضى عليهم عن طريق دفنهم في الأخدود، كما جاء في القرآن الكريم. . . .

وإضافة لذلك كان الأستاذ سيد قطب يرى أن للحركة الإسلامية قواعد وأحكام فقهية مختلفة كثيراً - وفي كثير من الحالات - عما هو مقرر في

---

(١) ص (٩٤، ٩٥، ٩٩).

(٢) اقرأ هذا وقارنه في المبحث المتقدم بعنوان التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج.

الفقه الإسلامي العادي، وسمعنا منه لأول مرة (فقه الحركة)، وكان يقول: أحكاماً قائمة على فقه الحركة مخالفة - إلى حد ما - الأحكام العامة.

وفي كتابه الذي لم ينشر: (معالم الطريق) - الجزء الثاني - كان يفرد جزءاً كاملاً سماه: (فقه الحركة)، ولكنه عندما أخذ رأيي في نشر هذا الكتاب رجوته أن لا ينشره؛ لأنه سيثير انقسامات واختلافات كثيرة، وسيثير الدنيا علينا، وسيقولون: إن سيد قطب قد ابتدع في الإسلام بدعة، ووافق على رأيي، ولم ينشر الكتاب، ولا أعرف مصيره بعد ذلك.

وقد أخبرنا الأستاذ سيد قطب أن هذه الرؤية قد اتضحت له أثناء وجوده في السجن، عندما اعتقل عام (١٩٥٤) وحكم عليه بعشر سنوات قضاها في السجن، وكان يتأمل ما حدث، ووافقه في هذا التأمل الأستاذ (محمد يوسف حواش) الذي أعدم في أحداث (١٩٦٥)، وشاركه في الرأي.

وقال: إن الأستاذ (محمد يوسف حواش) يجب أن نعتبره الشخص الثاني بعده؛ فإذا أصابه مكروه فلنلجأ إليه، وأنه هو - تقريباً - الفكر نفسه، والرأي نفسه، والمشورة نفسها. . . .

تم الاتفاق على أن يكون ما سبق هو الخط الفكري العام للتنظيم الذي نحن بصدده، وأن نبدأ فوراً في إعادة تشكيله وصياغة أفكار الناس - الأخوة المنتظمين معنا - حسب ما قال الأستاذ سيد قطب، وما رآه، وقد اقترح علينا مجموعة من الكتب نبدأ بها ومنها على سبيل المثال: (هل نحن مسلمون)، (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، (معالم في الطريق)، (الغارة على العالم الإسلامي)، (الاتجاهات الاجتماعية في الإسلام)، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد حسين)،

(العقائد)، (الإسلام في طور جديد) للأستاذ البنا، (الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) للأستاذ عبد القادر عودة.

وكان سيد قطب يرى - بعد أن سألنا عن عدد الأفراد الذين في أيدينا، وأخبرناه أنهم حوالي الثلاثمائة - كان يرى أن سبعين منهم - على الأقل - سيكونون قادة مبرزين أو إيجابيين أكثر، وقال: يجب أن نبحث عن هؤلاء السبعين، وأن نعمل على إعطائهم جرعات أكثر من الفكر، وأن نبدا بتدريب هؤلاء تدريباً خفيفاً حتى يكون ذلك بداية لتأهيلهم في أن يكونوا قادة العمل الذي نحن بصدده في المستقبل القريب[1].

تمت إعادة تشكيل المجموعات، وكانت المجموعة بين ثلاثة إلى خمسة أفراد، واتفق على أن يكون لكل خمس مجموعات قائد، وكل قائد على علاقة مباشرة برئيس المنطقة التي يقوم بالعمل فيها، وبهذا نتمكن من عزل أي مجموعات يتم كشفها، أو القبض على أحد أفرادها بتهريب المسؤول عن هذه المجموعات، وبهذا لا يتم كشف التنظيم كله، كما كان يحدث سابقاً في أغلب تنظيمات الأخوة «الهرمية» التي كانت إذا اعتقل أحد الإخوة يتم الاعتراف على باقي التنظيم، ومعرفة كل أفراده بسهوله شديدة، وبدأ العمل في تجنيد مجموعات جديدة من الشباب المتحمس للإسلام. . .»ا.هـ

واقرأ ما كتبه محمد محمد بدري في مقاله المنشور في مجلة البيان عدد (٨٣) الصادر في رجب عام (١٤١٥هـ) تحت عنوان: (روح الفريق

(١) اقرأ هذا وقارنه بما تقدم في مبحث التنظيم عند الخوارج، وتحديداً ما يسمى بمرحلة الشراء؛ لتتضح لك الصورة، أن المسألة هي إحياء لمذهب الخوارج المتقدمين بالأفكار نفسها، وإنما الاختلاف في الخطط وفي الأسلوب المتبع لتحقيق الهدف.

والمبادرات الذاتية) حيث قال[١]: «ولا تستطيع أمة من الأمم أن تحقق أقصى الفعالية في الداخل والخارج إلا إذا كان النظام الجماعي هو الذي يسير خطوات أفرادها، ومن هنا كان الواجب الأول لجميع فصائل العمل الإسلامية المعاصر هو بداية مسيرة التعاون؛ من أجل بناء الأمة الإسلامية القوية التي تستطيع مواجهة كل أعدائها وحمل رسالتها الحضارية إلى كل البشرية، تلك الرسالة التي لا يمكن أن يحملها فرد أو مجموعة أفراد، إنما تحملها مجموعة متعاونة تعمل وفق خطة تكاملية مدروسة تقوم على أساس من «روح الفريق والمبادرات الذاتية»ا.هـ

وقال محمد أحمد الراشد في كتابه «صناعة الحياة»[٢]:

«فالدعوة دار لها داخل وظاهر، فالظاهر يسع كل أمة محمد، لكن الداخل حرم؛ وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء الأمناء فقط؛ لأنه موطن اتخاذ القرار، واختيار الخطة والأسرار، وأي تساهل في ذلك قد ينتج عنه الانحراف؛ ولذلك لن يصل له إلا القديم الولاء العابد المتواضع...، ولابد من وجود الصفوف الخلفية التربوية حيث أهل النقاء والالتزام، وحيث الثوابت والاستقرار، بل وفي معظم الأحوال يجب استتار هذه الصفوف بسبب الضرورات الأمنية حتى في الغرب...

والحل الذي هو خير من ذلك كله: أن يبقى مصنع الرجال الخلفي مستتر لا يمسه ترخيص ولا إعلان، ولا تبديل، ولا تسهيل، وأن يبقى مصدراً للقرار، وأن تكون هناك واجهة من بعض المقيمين على شكل حزب أو جمعية...، وأهمية القيادة في العمل الإسلامي، وأن جودة عمل صناع الحياة لا يلغي دورها، ولا بد من طاعتها والصدور عن أمرها...، فهي

(١) في ص (٤٤).
(٢) ص (١١٣- ١١٦).

قلب العمل وأداة الانسجام والتناغم وطريق المناقلة وحزام الربط . . . ، وكل البراهين الشرعية والعقلية، كوجوب العمل الجماعي تصدق على وجوب طاعتهم - أيضاً -، ووجوب بروزها وشخوصها وسيطرتها على العمل».

واقرأ ما جاء في نشرة مركز بحوث تطبيق الشريعة الإسلامية[١] حيث جاء فيها قولهم: «إن الجهاد لنصبة الإمام، وإقامة الدين، وتحكيم الشريعة فرض على الكافة في هذه الحالة، ولا سبيل إلى ذلك مع الشتات والتناثر، وإن إقامة الفرائض الجماعية من استفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتناصح بين المسلمين، وإعداد العدة للجهاد ونحوه فرائض متعينة؛ لأن سقوط الولاية الإسلامية لا يعني سقوط التكليف بهذه الواجبات، ولا سبيل إلى أدائها كذلك مع الفرقة والتهارج، فما هو المخرج إذن ؟

في هذه المرحلة يأتي دور الجماعات الإسلامية باعتبارها تجمعات مرحلية في الطريق إلى جماعة المسلمين.

إن الصورة المثلى - كما سبق - أن يجتمع أهل الحل والعقد؛ لتصفح أحوال أهل الأمة، وتقديم أكثرهم فضلاً وأكملهم شروطاً؛ ليعقدوا له الراية، وليجمعوا كلمة الأمة حوله، ليكون للناس جنة يتقى بها ويقاتل من ورائه.

فإذا عسر ذلك، أو طال أمده، أو وقفت دونه بعض العوائق من: تعدد الاجتهادات، وتفاوت الأساليب المقترحة للتغيير، أو التنازع على بعض المسائل العلمية أو العملية؛ كتلك التي تتعلق بتوثيق الواقع أو تكييفه، فهنا يأتي - كما ذكر - دور الجماعات الإسلامية، وغاية هذه الجماعات أن تتولى إعداد الطليعة المجاهدة الإيمانية الصلبة التي تجعل من قضية

(١) عدد (٤) ص (٣٤) .

الإسلام همها الأول، وشغلها الشاغل الأكبر في هذه الحياة، وذلك في إطار من البرامج المنظمة، والروح الجماعية التي تشجع على المسارعة إلى الخير، والتنافس في أداء الواجبات؛ فهي بمثابة المحاضن الإيمانية لهذه الطليعة المجاهدة، تدفع عنها - بإذن الله - غوائل الشبهات والشهوات، وتعمق في نفوسها حقائق التوحيد والإيمان، وتخلصها من بقايا الجاهلية، وموروثاتها، وتطبع عقلها وروحها بطابع الإيمان والجهاد»ا.هـ

واقرأ أيضاً[١] قولهم: «إن البيان والتذكير فريضة ثابتة في الحالتين، إذ الفرض أن الأولى تحوم في إطار الإسلام بخلاف الثانية؛ فإنها تتحرك في إطار علماني أدار ظهره للإسلام، وتنكر لأصوله المجملة، والأصل في ذلك كله أن الحركات الإسلامية اليوم بمثابة الجيوش التي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف مذاهبها ومشاربها؛ لتدفع فتنة الكفر، ورد خطره عن دار الإسلام.

فهي البديل عن الدولة الإسلامية التي كانت تجند كافة المسلمين إذا داهم العدو دار الإسلام، فلا تحجب أحداً ممن ثبت له عقد الإسلام من الاشتراك في هذا الجهاد، ولا تمنعهم من الغنيمة والفيء مادامت يده مع المسلمين، هذا هو الإطار الذي يجب أن توضع فيه الحركات الإسلامية عندما تكون في مرحلة الدفاع[٢]، والمواجهة والتصدي لمن تقاسموا على حرب الإسلام وإبادة أهله، وهي في معظم أحوالها كذلك مادامت السيادة لغير الإسلام في بلاد الله، ومادام جنده محجوبين عن الشريعة في هذه البلاد، ذلك أنه بسقوط الخلافة الإسلامية، وانعدام شرعية الراية في أغلب بلاد المسلمين؛ نظراً لانعقادها على العلمانية، وتحكيم القوانين الوضعية، والتحاكم إلى أحوال

(١) في عددهم رقم (١٢) ص (١٦).

(٢) اقرأ هذا وما قبله وما بعده وقارنه بالمبحث المتقدم «التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج».

الأمة بدلاً من التحاكم إلى الكتاب والسنة، أخذت الحركات الإسلامية على عاتقها مهمة الجهاد[١] لاستئناف الوجود الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية، والوقوف في وجه الكفر القادم من الغرب ومن الشرق» ا.هـ

وقال محمد قطب في كتابه (واقعنا المعاصر) حول أهمية التربية والرد على من يستطول طريقها، ويريد قطف الثمرة قبل استكمالها[٢]: «وأما الذين يسألون إلى متى نظل نربي دون أن (نعمل)؟ فلا نستطيع أن نعطيهم موعداً محدداً، فنقول لهم: عشر سنوات من الآن، أو عشرين سنة من الآن، فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح، وإنما نستطيع أن نقول لهم: نظل نربي حتى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول» ا.هـ.

ثم إنّه يقصد بالعمل الخروج على النظام، وإلا فإنّ التربية عمل.

وانظر إلى ما قاله أحد دعاة الصحوة في بلادنا في شريطه (الإسلام والحزبية)، حيث قال: «أما الكلام في البيعة التي توجد عند بعض الجماعات الإسلامية... الذي أراه أن أقلّ أحوالها أن تكون مكروهة، لما فيها من التشبه أو مشابهة النذر» ا.هـ.

ومن المعلوم بأن حكم النذر ابتداءً: الكراهة، لكن إذا أقدم عليه الشخص وجب، فإذا كان كذلك فبيعة الجماعات الإسلامية - عندهم - ابتداءً مكروهة كالنذر، لكن إذا التزمها الشخص وجبت في عنقه، ولزمه الوفاء بها، كالنذر بعد إقدامه عليه.

* * *

(١) ويقصدون بها: قتال المسلمين، حيث أنهم يكفرون مخالفيهم ومن لا يرضى بتنظيمهم.
(٢) ص (٤٨٦).

المبحث العاشر

بعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة

وبعد أن ذكرنا جملة من النقول عن بعض رموز وقادة الإخوان المسلمين في التنظيم، والبيعة، واعتماد السرية، أذكر جملة أخرى من النقول تبين بوضوح المنهج الذي سارت عليه هذه الجماعة ورسمته لأتباعها من أجل تطبيق دعوتها(١).

ومع أنّ أصل دعوة أصحابها صحيح؛ وهو الدعوة إلى الإسلام والدين، لكن الخطأ والخَطَل في أساليب هذه الدعوة وطرقها وما احتوت عليه من مخالفات، أوقعت الأتباع وغيرهم في فتن كثيرة؛ لمخالفتها في كثير من الأمور للمنهج الذي سار عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه(٢).

وستكون جميع النقول التي أوردها مأخوذة من كتبهم، ومقالاتهم، ومحددة بالصفحة، والجزء، والعدد من هذه الكتب والمقالات؛ ليقف المسلم الناصح لدينه والمتبع لسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموقف الشرعي الصحيح، وهو الحذر والتحذير من مسالك المبتدعة، والتمسك بالسنة،

---

(١) وقد سار عليه أتباع هذه الجماعة في كل بلد من بلاد المسلمين وجدت لهم فيه دعوة، بما في ذلك أتباعهم في بلادنا السعودية - حرسها الله - وبعضهم ممن يسمون بدعاة الصحوة.

(٢) فالإخلاص لا نستطيع أن ننفيه عنهم، ولكن هذا الشرط لا يصح إلا إذا اقترن به الشرط الآخر، وهو تجريد المتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي أن يكون وفق الشرع، وهذا ما افتُقِدَ كثيراً في أسس ووقواعد ومسالك دعوة الإخوان، وإلا فالإخلاص حتى الخوارج يوصفون به وهم من أشد الناس إخلاصاً لمعتقدهم، ومن أشد الناس ضلالاً لمخالفتهم هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذب عنها، والدعوة إليها، وإن رغب عنها من رغب، وأعرض عنها من أعرض، فالسنة كما يقول العلماء سفينة نوح؛ من أخذ بها نجا، ومن خالفها هلك وعطب.

فمن المناهج والخطط التي رسموها لأصحابهم للسير عليها والتقيد بها ما يلي:

- **أولاً: من طرق دعوتهم مدحُهم وإطراؤُهم لرؤوس الجماعة ورموزها ومن لهم شأن فيها، ودعوتهم الناس للدخول في تلك الجماعة، وتصويرها بأنها هي التي يجب تعليق الآمال عليها، وفيما يلي نقل لبعض كلامهم في ذلك:**

قال أحد كتَّابهم وهو (عبد الله ناصح علوان) في كتاب (عقبات في طريق الدعاة)[١]، قال: «من يريد أن يعمل للإسلام يبحث عن الجماعة التي لها في كل العالم امتداد، وفي العالم الإسلامي فروع، ولها في كل قطر تنتمي إليه تنظيم، هذه الجماعة بهذا الامتداد وهذا الشمول وهذه الأهداف قائمة موجودة منتشرة في العالم الإسلامي - والحمد لله - وهي الجماعة التي أسسها ووضّع معالمها، ووضع نظامها[٢]، وأقام في المجتمع المصري صرحها الإمام حسن البنا، والجيل المسلم اليوم في المشارق والمغارب يعلق عليها آمالاً جساماً».

ويقول في معرض مدحه لأعضاء الجماعة[٣]:

«كأمثال الإمام حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشيخ مصطفى

---

(١) (١/ ٢٦١).

(٢) لاحظ التعبير فإنه يدل على حزبيتها، وأنها ليست دعوة تجديدية لما اندرس من هذا الدين، وإنما حزب من الأحزاب الساعية للوصول إلى الحكم.

(٣) (١/ ١٩٦).

السباعي، والمرشد الوقور حسن الهضيبي، فهؤلاء سيبقون للتاريخ أعلاماً»[١].

- **ثانياً: دعوتهم للتنظيم، وإعطاء الطاعة والولاء للجماعة، ووضع كل إنسان من الجماعة في الوضع اللائق به[٢] حتى لا ينصدع بناء الجماعة، وإليك بعض كلامهم في هذا الشأن:**

قال صاحب (العقبات)[٣]:

«فقضية التنظيم هي من القضايا الهامة التي ينبغي على الحركات الإسلامية والجماعات الدعوية أن يعيروها اهتماهم، وأن يعطوها كل جهودهم؛ لأن أي خطأٍ في التنظيم، وأي خلل في البنا يعرّض الجماعة إلى هزات عنيفة، وتصدّعات خطيرة».

ويقول[٤]:

«ومن الخلل القيادي عدم الأخذ بما تقتضيه المرحلة الحالية في بناء الجيل، وإعداده دعوياً وتربوياً».

ويقول[٥]:

«الحركة الإسلامية الواعية الناضجة: هي الحركة التي تعرف قدرات أفرادها، وميولهم، ومواهبهم...، ومن خلال ذلك تختار لكل فرد ما يتناسب مع قدراته وميوله وحركته وطبيعة مزاجه».

---

(١) وقد أشاد بعض من يسمون بدعاة الصحوة في بلدنا بهؤلاء وأثنوا عليهم، كما في شريط (تقويم الرجال) و(رسالة هذه سبيلي) و(كتب في الساحة الإسلامية) وغيرها.

(٢) في نظرهم وتصورهم.

(٣) (٢/ ٥١٢).

(٤) في (٢/ ٥١٧).

(٥) في (٢/ ٥٦٣).

ويقول[١]:

«فالتربية على الانضباط: هي إعطاء الولاء لقيادة الجماعة، وتنفيذ أوامرها، والتزام كل ما يصدر عنها دون أن يكون في الشباب تردد، ودون أن يعتريهم فتور».

- **ثالثاً: اعتناؤهم بالتجميع الفاسد بين أصناف الفرق الإسلامية من غير فرقان تحت عنوان (نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)[٢]، يقول صاحب العقبات في هذا الشأن (١/ ٣١٢):**

«أن تعمل كل جماعة في مجال اختصاصها في تربية الجيل المسلم وتعليمه وتكوينه، على أن يعملوا فيما اتفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه...، فهذه دعوة إلى تزكية النفوس، وأخرى تقوم بمهمة التثقيف والتعليم، وثالثة تخوض غمار العمل السياسي، حيث يتمم بعضهم بعضاً في تكوين الشخصية الإسلامية».

- **رابعاً: سُبُل هؤلاء في مواجهة الضغوط الموجهة إليهم، وكيفية العمل في مثل هذه الظروف، حتى تضمن الحركة نجاح مسيرتها، وإليك بعض كلامهم في هذا الشأن:**

قال صاحب العقبات (٢/ ٥٩٦):

«حين تبتلى الحركة الإسلامية بحاكم إرهابي لا ديني، متسلط يعتقل الدعاة تكون الخطة على الشكل التالي:

---

(١) في (٢/ ٤٨٤).

(٢) هذه القاعدة مع ما فيها من مخالفة للشرع، أيضاً هم إنما يعذرون من وافقهم في التنظيم مهما كانت مخالفته للشرع، أما من لا يوافقهم في التنظيم، فلا يقيمون له أي وزن مهما كان علمه أو تقواه وورعه، كما صرح بعض قادتهم بذلك.

- الاقتصار في تبليغ الدعوة على السر، وذلك بالدعوة الشخصية، والاتصال الفردي.
- الانتماء الظاهري إلى الجماعات التي تعتني بالتربية الروحية، وتقصر دعوتها على تزكية النفوس.
- الارتباط بجمعيات تعليم القرآن، ومؤسسات البر والتعليم للعمل للإسلام، وللدعوة تحت مظلتها.
- العمل الدائب، والسعي الحثيث ليصل الداعية إلى استلام درس في مسجد، أو خطبة على منبر، أو تعليم في مدرسة.

ويقول في (١/ ٣٠٦) :

«وهل أدركوا أن من إيجابيات هذه المرحلة أن يتدرجوا مع هؤلاء المنفذين على مراحل من التعامل بدءاً بالقناعة، فإن لم تجد فالمداراة، فإن لم تجد فبالدعوة السرية».

ويقول في (٢/ ٣٩٣) :

«ولكن لن يعدم العاملون للإسلام في كل بلد الوسيلة ولن تعجزهم الحيلة، قد يكون من بنود العمل: الاتصال الفردي، أو تغيير الطريقة كالانتظام في سلك جمعيات العلماء؛ لتعمل الجماعات الملاحقة باسمها وتدعو إلى الله تحت مظلتها، أو العمل على تشكيل جمعيات لتعليم القرآن وتحفيظه، لتقوم الفئات الدعوية بأداء رسالتها لتجميع أبناء المسلمين تحت رايتها».

● **خامساً: اعتمادهم على القاعدة الشعبية، وتغلغلهم في أفراد الشعب، وتكوين اللجان الدعوية المختصة، وإليك كلامهم في هذا :**

يقول صاحب العقبات في (٢/ ٣٦٨) :

«وحين يصل المسلمون إلى مرحلة إيجاد القاعدة الشعبية، وتمتد حركتهم في الجموع الزاخرة من أبناء الأمة الإسلامية، وتتغلغل في الشعوب المؤمنة في كل مكان؛ تأتي مرحلة التنفيذ ولحظة الحسم»[١].

ويقول أيضاً (٢/ ٤٠٨) :

«إنه لا يمكن للإسلاميين أن يصلوا إلى إقامة حكم[٢] عن طريق الانقلابات العسكرية، ولم يبق أمامهم من حل واقعي ومعقول سوى الاعتماد على الثورة الشعبية».

ويقول في (٢/ ٢٠٩) :

«تكوين القاعدة الشعبية التي تشمل جميع طبقات الشعب وسائر فئاته»

ويقول في (٢/ ٣٨٨) :

«ولا يمكن أن نقول عن القاعدة: إنها كثيرة حتى تتغلغل في أوساط المثقفين، والعمال، والمواطنين، والأطباء، والمهندسين، والأغنياء والعلماء، وعلى العموم أن تتغلغل في كل البيئات، وعلى كل المستويات؛ فهذه لجنة دعوية في محيط الطلاب، وأخرى مسؤولة عن قطاع النساء والطالبات، وخامسة مهمتها في مجال القرى والأرياف، وسابعة في ميدان العوائل الكبيرة والأحياء».

ويقول أحد دعاة الصحوة في بلدنا في شريط له بعنوان (الأمة الغائبة):

(١) المقصود بالحسم؛ أي الثورة الشعبية كما صرّح بها فيما بعد، والخروج على الحاكم.

(٢) تصريح بحقيقة دعوة هذه الجماعة: وهو الوصول للحكم.

«كل قضية نريد لها أن تنجح علينا أن نحشد لها جماهير الأمة بقلوبهم وعقولهم ومشاركتهم».

- **سادساً: توزيع الأعمال وتقاسم المهام كل على حسب اختصاصه وعمله، وإليك كلامهم في هذا:**

يقول صاحب العقبات في (٢/ ٥٦٤):

«إن على الحركة أن تصنف طاقات عناصرها بحسب اختصاصهم وكفائتهم، ففريق يفرز للشؤون المالية والاقتصادية، وفريق يفرز للشؤون الرياضية، وفريق يفرز للطلاب»

ويقول أيضاً (٢/ ٥٢٣):

«وعلى كل من يكون في صف القيادة أن يكونوا متفرغين للدعوة ومكملين بعضهم في الاختصاصات، فهذا يعمل في مجال التنظيم، والآخر يعمل في مجال الرياضة ووسائل القوة، والرابع في مجال الأجهزة الإدارية والتربوية؛ ليتم التعاون والتكامل».

- **سابعاً: وسائلهم الدعوية، وإليك النص من كلامهم فيها:**

يقول صاحب العقبات (٢/ ٣٨٢):

«من هذه الوسائل: وسيلة الجلسة المفتوحة؛ وفيها تطرح الأسئلة الهادفة، ومن هذه الوسائل: وسيلة الشريط الإسلامي، حيث يختار من الأشرطة الدعوية أعلاها وأقواها، ومن هذه الوسائل: نشر الكتاب الإسلامي؛ حيث يختار من الكتب الفكرية والدعوية والتاريخية ما هو أفضلها».

ويقول (٢/ ٣٨٢):

«ومن هذه الوسائل: وسيلة المحاضرات العامة؛ وذلك بالدعوة النشطة لسماع المدعوين محاضرة داعية تعالج قضايا المسلمين، وسيلة نشر المجلة

الإسلامية، والصحيفة الدعوية، والنشرات الفكرية في أوساط الشباب، وسيلة الدعوة إلى سماع محاضرات ذكريات الإسلام كغزوة بدر، وسيلة إعداد الزيارات، والرحلات، والنزهات...، وسيلة تداول الأناشيد الدعوية، والتاريخية، والإرشادية...، وسيلة المسرحيات الإسلامية، والتمثليات التاريخية».

- **ثامناً: اعتمادهم على التخطيط الاداري وطريقتهم في ذلك، يقول صاحب العقبات (٢/ ٢٧٦):**

«فالحلول الايجابية في تلافي الأخطاء الإدارية للجماعة إذن هي :

- توظيف كافة الأفراد في العمل الدعوي.
- محاسبة الأعضاء فيما يتسلمون من أعمال ومسؤوليات.
- حسم مشكلات الحركة بسرعة ودقة وإحكام.
- حل مشكلات أي فرد بعناية واهتمام.
- الوقوف من مثيري الدسائس والفتن بحزم، وحسم، وقوة».

- **تاسعاً: طرقهم في الإعداد التكويني للشباب، وبرامج هذه المراحل، واعتناؤهم بالدعوة النسائية، وإليك كلامهم في هذا الشأن:**

يقول صاحب العقبات (٢/ ٥٧٩) :

«أن يبدأ الدعاة عملهم بالتكوين التربوي والإعداد الروحي، وأن يكون التركيز في هذا التكوين، في الدرجة الأولى على المستجدين ممن دخلوا في الدعوة حديثاً من المراهقين والشباب؛ وفي هذه المرحلة ينتقى من فوج المستجدين من هو أطلقهم لساناً، وأظهرهم نباهةً ولباقةً، وأقواهم إندفاعاً، بعد التأهيل والتخرج، يفرز هؤلاء على حسب نضجهم وثقافتهم ومواهبهم ؛ ليأخذوا مواقعهم».

ويقول في برامج الأشبال (٢/ ٥٣٣) :

«ففي برامج الأشبال يراعى فيها التعريف بالدعوة، عوامل النهوض بها، كيف تربي الأشبال إيمانياً وأخلاقياً، مواقف من التأريخ من سير الأشبال».

ويقول في شأن الدعوة النسائية، (٢/ ٥٨٠) :

«وينبغي على الجماعات الدعوية أن لا تغفل دور النساء في تبليغ الدعوة باعتبارهن نصف المجتمع».

ويقول الراشد في كتاب (المسار)[١] :

«فإن الناشئة هم المورد الرئيس للنوعية الصلبة؛ ولسنا نعني الصغير الذي يتعب، وإلا لتحولت الدعوة إلى رياض أطفال؛ وإنما هم الذين ناهزوا الحلم، ننتقي منهم العفيف المؤدب الاجتماعي المخالط الرياضي المتحرك المجد في دراسته، فتحبب لهم لزوم المساجد، وتدعهم يتبارون في فرق ألعاب، وترحل بهم في الضواحي الخضراء، حتى إذا رشد أحدهم وكان على أبواب الجامعة، وجدته داعية وافر العفة والحياء دون هواجس تساورك نحوه».

- **عاشراً: دعوتهم أفراد الجماعة للتكيف حسب الظروف المحيطة بهم، ثم التغلغل في المجتمع على حسب هذه الظروف، وإليك كلامهم في هذا :**

قال صاحب العقبات (٢/ ٦٠٠-٦٠١):

«إنّ على العاملين في الحقل الإسلامي حين يضعون للحركة الإسلامية خطتها ومنهجها في مسيرة العمل الدعوي، أن ينظروا طبيعة الظروف التي هم فيها ووضع الحكومات التي يعيشون تحتها، فإن كانت الظروف قاسية، والحكومات طاغية؛ فالأمر يتطلب أن تكون الخطة على المنهج الذي سار

(١) ص (١٤٥).

عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وهم في المرحلة المكية» - يعني الرجوع للتنظيم السري -.

ويقول كذلك في (٢/ ٦٠١) :

«و إن كانت الأحوال والظروف قائمة على التغاضي والتياسر من قبل حكومات معتدلة في تعاملها، فإنّ الخطة تكون أظهر انفتاحاً، وأعظم انطلاقاً؛ فلا بأس أن يكون من وسائل الخطة :

- فتح مدارس خاصة.
- الإقبال على التدريس، والمعاهد، والمساجد.
- إقامة حفلات في مناسبات إسلامية.
- إقامة سهرات مفتوحة مع الشباب.
- إهداء الكتاب الإسلامي، أو إعارة الشريط الدعوي.

ويقول صلاح الصاوي - وهو من كبار منظري الإخوان القطبيين في كتابه الثوابت والمتغيرات -، والذي يعتبرونه هو فقه المرحلة عندهم، ويستقون منه بروتوكولاتهم، يقول[١]:

«ولا يبعد القول بأنّ مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية، ويظهر عليها النكير آخرون، ولا يبعد تحقيق ذلك عملياً إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلة الرشد، أمكنه معه أن يتفق على الترخص في شيء من ذلك، ترجيحاً لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين في هذه المجالس بغير تشويش ولا إثارة».

ونحوه في ص (٢٨١- ٢٨٥) من الكتاب المذكور، وقد قال قبل ذلك في

---

(١) في ص (٢٦٥).

ص (٢٦٤) عند قوله: «عدم التورط في إدانة الفصائل العاملة للإسلام إدانة علمية تحت شعار الغلو والتطرف مهما تورطت فيه هذه الفصائل من أعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد...»

قال: «اللهم إلا إذا كان ذلك كما سبق بتنسيق مسبق وتوزيع متبادل للأدوار».

ومما سبق يظهر أنهم يجوزون لفريق منهم القيام بالتفجير والتدمير -الذي يسمى جهاداً - والتبرير لذلك، ويقوم فريق آخر بإظهار النكير على هذه الأعمال من أجل استمرارهم ومصلحتهم وبقائهم قريبين من الحكومات، ويكون ذلك بتبادل للأدوار بينهم، ويتضح من ذلك أنّ الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وأنّه لا فرق عندهم بين دولة متسامحة، ومعتدلة، وقائمة على الدعوة الإسلامية الصحيحة، أو أي دولة أخرى، وإنما الذي يسعون إليه هو الوصول للحكم بغض النظر عن الدولة التي يقيمون فيها، ولو كانت تطبّق الشريعة».

- **الحادي عشر: وصفهم الكتّاب الذين ينتقدون أخطاء الجماعات، ويبينون للأمة خطورة أفكارها، بأنهم عملاء للسلطة، وأنهم جبلوا على الحسد والحقد، واعتبارهم عملاء وجواسيس، وأنهم معرضون عن فقه الأئمة، وأهل تجهيل وتضليل للمسلمين، وهذا الكلام في معظم كتاباتهم وأشرطتهم ومقالاتهم ومحاضراتهم، وإليك بعض كلامهم في هذا:**

قال صاحب العقبات[١]:

«أما الرجل العميل للسلطة، فإنه في تقمصه ثوب العلماء والدعاة فالسلطة تستخدمه؛ ليقوم بدور خسيس، ومهمة دنئية، تستخدمه السلطة ليكون بوقاً لها

(١) (١/ ١٠٧).

ويبرر لها إجرامها في محاربة الإسلام ومطاردة الدعاة تستخدمه لملاحقة الجماعات الإسلامية المخلصة، ومطاردة الدعاة المخلصين».

ويقول كذلك[١]:

«وجماعة تركز في تربية من ينتمي إليها على تلقين عقيدة السلف[٢]، والاجتهاد من الكتاب والسنة، والإعراض عن فقه الأئمة، والنقد الذاتي للجماعات الإسلامية، والتجهيل، والتضليل لكافة المسلمين».

- **الثاني عشر: أنهم لا يرون غيرهم على الحق، ولا يرون صحة البيعات الشرعية الموجودة في العالم الإسلامي؛ قال توفيق الواعي في كتابه (دور المسلم)[٣] نقلاً عن حسن البنا في رسالته إلى الشباب:**

«ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي، فمصر وسوريا والعراق والحجاز، وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره، وإنقاذه، وخلاصه، وضم أجزائه بعضها إلى بعض».

- **الثالث عشر: اعتمادهم على التعددية الفكرية والسياسية للوصول إلى أهدافهم:**

وإليك بعض كلامهم في هذا:

يقول عصام البشير في مجلة المجتمع، العدد (١٢٣١) في هذا الشأن:

---

(١) (٢/ ٥٢٨).

(٢) لو ربوهم على عقيدة السلف الصحيحة ما احتاجوا إلى هذه التنظيمات السرية، وإنما هذا من باب التضليل والتلبيس، وأحسن الأحوال الجهل بحقيقة العقيدة السلفية، إذ هم أكثر الناس مخالفة لها، وطعناً فيها وفي حامليها على الحقيقة.

(٣) ص (٥٧).

«وهناك كوادر في الساحة لا تقف في موقع الخصم للتيار الإسلامي، وهي محبة لقضايا وطنها، ومن هنا فإنه ينبغي أن يستفاد من كل القوى والشرائح في المجتمع من خلال مؤسسات المجتمع المدني، لتشكل عامل تأثير على الحكام».

- **الرابع عشر: تركيزهم على النوادي التي تقام رسمياً من قبل الدولة، مثل المراكز الشبابية، ومراكز الخدمات الاجتماعية، ومراكز الأحياء الخيرية، وذلك بالمشاركة فيها واستقطاب الشباب من خلالها، وإليك كلامهم:**

يقول عباس السيسي - أحد دعاتهم - في كتابه (من المذبحة إلى ساحة الدعوة)[١] :

«أشار بعض الأخوة إلى فكرة جديدة، تتمثل الفكرة في أن نتقدم كأعضاء مشتركين في النادي الرياضي الاجتماعي - وقد بُنِيَ حديثاً - على أن يملأ فراغ الشباب الثقافي والفني والرياضي تحت إشراف وزارة الشباب، وبدأت إدارة النادي تفتح لنا صدرها وتتعاون معنا . . . ، وظلت السفينة تسير بعون الله . . . ، ومن خلال مؤسسة رسمية وقانونية».

وقال أحد دعاتهم (عبد البديع صقر) في كتاب (كيف تدعو الناس)[٢]:

«ولهذا يلزم أن يسهم الدعاة في الخدمات الاجتماعية على أنها واجب، وأنها من الوسائل إلى إنجاح الدعوة العامة».

---

(١) ص (٤٢).

(٢) ص (١٢٢).

- **الخامس عشر: رؤيتهم أن المحذر من البدع يعتبر ساعياً في تعطيل أسباب نصر المسلمين، وإليك المنقول في ذلك:**

قال فتحي يكن في كتاب (احذروا الإيدز الحركي)[١]:

«ماذا يريد هؤلاء، يريد هؤلاء تعطيل كل الأسباب والمناخات والمناسبات التي يمكن أن يسخرها المسلمون اليوم ليتعلموا إسلامهم...، بحجة أنها بدعة، فإذا أقيم احتفال بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج...، قالوا: هذه الاحتفالات بدعة، وإذا أقيم احتفال بذكرى غزوة بدر، قالوا: إنّ ذلك بدعة».

- **السادس عشر: طعنهم في علماء الأمة بأوصاف التنقص تمهيداً لقبول الناس دعوتهم؛ والسبب هو الغلو السياسي، وإليك كلامهم:**

قال يوسف القرضاوي في كتاب (أين الخلل)[٢]:

«كما أن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم».

ويقول المودودي في كتاب (واجب الشباب) ص (١٥-١٦) في معرض كلامه على العلماء وبعدهم عن السياسة، قال: «وإن مهمتهم في الحياة الاجتماعية الحاضرة لا تعدوا وظيفة الفرملة لجهاز السيارة، حيث يحولون إلى حد ما دون سرعة الحياة الاجتماعية».

ويقول القرضاوي في مجلة البعث الإسلامي العدد الثالث، ص (٥٧) في معرض كلامه عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولكنها لم تعرف بالتجديد والاجتهاد؛ لهذا سماها الدكتور/ محمد

---

(١) ص (٣٢-٣٣).

(٢) ص (٢٤).

عمـارة، (السلفية النصوصية)، يقصد بالنصوصية: الحرفية في فهم النصوص. . . ، وقد يكون عذر هذه الحركة أنها نشأت في مجتمع بسيط بعيد عن معترك الحضارة تغلب عليه حياة البداوة».

وللأسف أنّ هذا - وهو الطعن في العلماء المعتبرين كهيئة كبار العلماء في السعودية - يقوم به بعض من يسمون بدعاة الصحوة في بلدنا.

- **السابع عشر: أنّ لهم أكثر من وجه أمام الأنظمة المختلفة كل بما يناسبه، ليضمنوا بقاء حزبهم أو جماعتهم حتى تحين ساعة الصفر:**

يقول أيمن الظواهري في مذكراته عدد الشرق الأوسط (٨٤٠٦): «إن تركيبة الإخوان المسلمين عجيبة؛ فالقيادة الظاهرة كان يمثلها المرشد العام أمام الناس والنظام، أما القيادة الحقيقية فكانت بيد مجموعة من النظام الخاص»[(١)].

وهذه الخطط والمناهج قامت بناءً على عدم اعتبارهم شرعية البيعات الموجودة في العالم الإسلامي، وأنّ لا بيعة شرعية في نظرهم إلا إذا بايع المسلمون خليفة واحد لجميع المسلمين.

وقد حرفوا النصوص الشرعية من أجل ذلك، ثم بنوا على هذا التحريف والتأويل للنصوص وجوب الخروج على الولاة، ووجوب جهادهم لإيجاد الدولة المزعومة، ومن أجل تحقيق ذلك استغلوا كل وسيلة حتى لو كانت غير مشروعة، حتى أعلنوا وجوّزوا التحالف مع العلمانيين - والذين هم كفار في نظرهم من غير تفصيل - من أجل تحقيق غايتهم، والمؤسف حقاً أنهم زعموا أنهم على منهج أهل السنة والجماعة، بل بعضهم زعم أنه

(١) النظام الخاص: هو تنظيم مسلح سري أنشأه حسن البنا، انظر جريدة الوطن، عدد (١٢٢٥) الجمعة (١٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ) مقال للدكتور خالص جلبي.

على منهج السلف، وهم أبعد ما يكون عن ذلك، ولتتضح الصورة أكثر، فإنني أقدّم دراسة نقدية لبعض مؤلفاتهم في ذلك؛ أعني عدم اعتبارهم شرعية البيعات الموجودة في العالم الإسلامي، واعتبار أنّ الجماعات الإسلامية تقوم مقام الدولة في ذلك إلى أن توجد دولة الخلافة.

* * *

المبحث الحادي عشر

دراسة نقدية لبعض المؤلفات التي تؤصل للمنهج الإخواني

لا سيما تلك التي تقوم على نقض البيعة وهدم كيان الدولة ؛ لأنها ليست شرعية في نظرهم، وزعمهم أنّ منهجهم هو منهج أهل السنة والجماعة، والتنسيق بينهم فيما يسمونه تبادل الأدوار، والذي يتفق مع قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة).

- **من هذه الكتب :**

- أولاً : كتاب (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة دراسات حول الجماعة والجماعات)

اسم المؤلف : د. عبد الحميد هنداوي، كما هو مُدوَّن على غلاف الكتاب.

وقد جاء على غلاف الكتاب : قرّظه وأثنى عليه فضيلة الشيخ محمد عبد المقصود عفيفي، وقرظ موجزاً له : أ.د. سعود الفنيسان، عميد كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. هكذا جاء على الغلاف.

الناشر: مكتبة التابعين بالقاهرة، الطبعة الثانية لعام ١٤١٨هـ.

موضوع الكتاب: تحدث فيه المؤلف عن معنى الجماعة والإمامة، وعن الجماعات الإسلامية المعاصرة، وعن الواجب على المسلم في هذا العصر تجاه الجماعة والإمامة، وعن مدى انطباق معنى الجماعة والإمامة على المسلمين في هذا العصر، وتحدث أيضاً عن حكم العُزلة والخُلطة في غياب الخلافة، وعن مشروعية العمل الجماعي.

● **أهم الملحوظات التي تلاحظ على الكتاب.**

أولاً: أنه أشاد في المقدمة بمن استفاد منهم في هذا البحث، أو قرأوه وأثنوا عليه، ومن الذين أشاد بهم الدكتور صلاح الصاوي، وأشاد بكتابه (جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها)[١]، وأشاد بآخرين.

ومعظم الذين أشاد بهم وبمؤلفاتهم[٢]، معروفون من خلال كتاباتهم بانتمائهم الفكري لجماعة الإخوان المسلمين، والتي تعتبر العباءة والغطاء لمعظم الجماعات الدعوية المعاصرة، سواء التي تعلن التكفير، أو التي تستتر ولا تعلن ذلك، فالسرورية، وجماعة الجهاد، وجماعة التكفير، وغيرها كلها نتاج لجماعة الإخوان المسلمين، ومنهج جماعة الإخوان المسلمين قابل لأن يدخل فيه كل أحد طالما أنه يعلن الإسلام ولو كان نفاقاً، أو يستتر لمآرب يريدها، وأخطر ما في كتابات هؤلاء المتقدم ذكرهم وغيرهم كمحمد سرور زين العابدين، أخطر ما في كتاباتهم أنهم يكتبون ويتحدثون باسم أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، مما يجعل كتابتهم تروح وتنطلي على الكثير، ولو كتبوا باسم جماعة الإخوان المسلمين، أو أفصحوا عن حقيقة أمرهم لعرفوا، لكنهم جعلوا كتاباتهم ومقالاتهم باسم أهل السنة

(١) هذا الكتاب لا يقل خطورة عن كتاب «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة»، وسأذكر في نهاية البيان موجزاً عن هذا الكتاب.

(٢) وقد ذكر الدكتور بكر أبو زيد، وأرى أن ذكره للدكتور بكر، إنما هو من باب التلبيس على القراء، وإلا فكتابات فضيلة الدكتور بكر ترد على هذا الفكر لا سيما ما ذكره في كتابيه: (حكم الانتماء للجماعات والأفراد)، و(من أصول أهل السنة والجماعة الرد على المخالف)، ففي هذين الكتابين رد على ما في هذا الكتاب وأمثاله، كما أن الدكتور بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف بعلمه وسلفية معتقده، وحسن منهجه، هكذا أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً.

والجماعة، وخلطوا الحق بالباطل في كثير من الأمور على طريقة المبتدعة، قال بعض السلف : «لو كان صاحب البدعة إذا جلست يحدثك ببدعته، حذرته وفررت منه، ولكن يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتى تخرج من قلبك؟»[١].

ومؤلف الكتاب الذي أتحدث عنه وهو الدكتور عبد الحميد هنداوي، سلك المسلك نفسه، فإنه جعل حديثه وكلامه باسم أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فإنه تكلم باسم السلف، ومنهج السلف، وأكثر النقول عن أئمة السلف، لكنه أول بعض هذه النقول على غير معانيها الصحيحة في كتابه هذا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل الذي لم يرده الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده»[٢].

إذاً فملخص ما جاء في المقدمة :

أ - الإشادة ببعض من عرفوا بمنهجهم المنحرف، وإظهارهم على أنهم علماء يقتدى بهم.

ب - الانتماء الفكري لجماعة الإخوان المسلمين.

ج - التلبيس على الناس بالكتابة باسم منهج أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، وهم من أبعد الناس عن ذلك.

ثانياً : أنه قسم معنى الجماعة في منهج السلف إلى معنيين: حسي وعلمي، وزعم أن الأقوال الواردة عن السلف الصالح في معنى الجماعة تدل على هذا، ورتب على هذا أموراً خاطئة، وسأنقل بعض كلامه، يقول

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٢/ ٤٤٤) .
(٢) «إعلام الموقعين»(٤/ ٢٥٠).

(ص ١٥) : «الأقوال الواردة عن السلف في معنى الجماعة ترجع عند التحقيق إلى قولين اثنين :

القول الأول : إن الجماعة : هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره؛ وهو الإمام الموافق للكتاب والسنة، وهذا هو المعنى الحسي للجماعة وأحياناً يسمى السياسي.

القول الثاني : إن الجماعة هم من كان على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه سواء وجد الإمام أو لم يوجد، وهذا هو المعنى العلمي أو الروحي للجماعة».

ويقول عن الإمامة : «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية . . .» إلى أن يقول : «ومن خلال النظر في واقع المسلمين نتبين أن المسلمين اليوم ليس لهم جماعة بالمعنى الحسي للجماعة؛ وذلك لعدم اجتماعهم على إمام موافق للشرع قد اجتمعت عليه بيعة أهل الحل والعقد، ولا يوجد كذلك إمام مستخلف ولا متغلب على الخلافة يحمل الكافة على مقتضى الشرع، ومن ثم فليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام بالمعنى الحسي».

ويقول أيضاً : «الجماعات الإسلامية المعاصرة باستثناء الجماعات الشاذة عن أصول أهل السنة والجماعة كالتكفير[1] مثلاً، يتحقق لها وصف ملازمة جماعة المسلمين بالمعنى، وذلك لملازمتها في الجملة أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة والمنهج . . .»، إلى أن يقول :

(١) الأسماء لا تغير من الحقائق، وما يطرحه الدكتور عبد الحميد هنداوي هنا ما هو إلا من نتائج التكفير، وإلا ما معنى عدم اعتبار أي بيعة موجودة ما لم تكن للخليفة الأعظم لجميع المسلمين؟، وما معنى أن تقوم الجماعات ببيعتها الحزبية المبتدعة مقام الإمام؟! لا شك أنّ ذلك نتيجة تكفير الحكام الموجودين، وإن كانت العبارات ليست صريحة في ذلك.

«لزوم الجماعة بالمعنى العلمي في واقعنا المعاصر لا يشترط له الدخول في جماعة من الجماعات الحالية، وإنما يتحقق ذلك بلزوم ما أجمع عليه أهل الحل والعقد، ولزوم ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العقيدة والمنهج، ويكون ذلك بمتابعة علماء السنة والجماعة بغير تحيز ولا تقصد لجماعة بعينها من الجماعات. . .». ويقول أيضاً: «لزوم الجماعة بمعناها الحسي في واقعنا المعاصر يكون بلزوم ما أجمع عليه أهل الحل والعقد في الأمة، أو لزوم ما اتفق عليه جمهورهم . . .».

ويقول[١]: «فالحق أن من يستقرئ واقع المسلمين اليوم، يستطيع أن يتبين أن المسلمين اليوم جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ليس لهم جماعة حسب المعنى الأول للجماعة، وهو الحسي، أو ما يسميه البعض بالمعنى السياسي، بمعنى أنهم ليسوا مجتمعين على طاعة إمام واحد، وبالتالي فإنهم ليس لهم إمام أو خليفة، وذلك أن كلا الأمرين ملازم للآخر، بحيث إذا وجد الإمام وجدت الجماعة، وإذا وجدت الجماعة وجد الإمام، فهما أمران متلازمان لا يوجد أحدهما دون الآخر، إذ أنه لا جماعة بلا إمام، وذلك بالمعنى الحسي للجماعة، أما ملازمة الجماعة بمعنى ملازمة المنهج الذي كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فإن هذا المعنى باق إلى قيام الساعة. . .».

إلى أن يقول: «فالمسلمون الآن جميعاً[٢] بلا جماعة ولا إمام، وقد يعترض البعض على هذا بوجود دولة مثل دولة أفغانستان، إذ أن لها حكومة إسلامية، وراية إسلامية قائمة على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومواجهة قُوى الكُفر والطغيان المُحادَّين لله

(١) في (ص ١٠١).
(٢) لاحظ كلمة جميعاً.

تعالى، ولكن الحق أن دولة أفغانستان وإن كانت مسلمة كانت نتاج جهاد إسلامي رائع . . . ، إلا أن دولة أفغانستان لم تُعلن أنها دولةُ الخلافة ولم يُعلن رئيسها أنه خليفة للمسلمين، ولا طلب بيعة أهل الحل والعقد له، ولا بايعه أهل الحل والعقد من المسلمين، فمثل هذا ليس خليفة ولا إماماً للمسلمين يقيناً، حتى وإن كان مُستحقاً للإمامة مستجمعاً لصفاتها، ولو حدث أن دعا إلى نفسه وتمت له البيعة لأمكننا أن نقول: إن المسلمين قد صارت لهم دار خلافة، وصار لهم جماعة وإمام يجب أن يرجعوا إليه وأن يأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه، وتكون الهجرة إليه واجبة . . .»، إلى أن يقول: «ولكن الحقيقة التي يؤيدها الواقع أن ذلك لم يحدث، ومن ثم فإن التوصيف الصحيح لجماعة المسلمين في أفغانستان أنها جماعة من المسلمين المجاهدين في سبيل الله يجوز للمسلم أن يهاجر إليها، وأن يعمل تحت رايتها، كما يجوز أن يعمل مع غيرها من الجماعات التي تعمل لنصرة دين الله . . .»، إلى أن يقول: «ومن ثم فإذا تقرر أن دولة مثل أفغانستان المسلمة ليست دولة الخلافة ورئيسها ليس هو خليفة المسلمين، فمن باب أولى يكون حكم الدول التي هي دونها ممن تعلن تطبيق شرع الله[1] والالتزام به على الجملة، وإن كانت تشوبها بعض الشوائب خاصة، وأنه ليس هناك دولة من الدول تعلن أنها دولة الخلافة أو يُعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين أو يبايعه الناس على ذلك، فإن هذا لم يحدث في بلد من البلدان، ولو على مستوى القطر نفسه، وإنما هي ملكية وراثية أو انتخابات على الرئاسة لا على الخلافة.

ومادام وصف الجماعة منتفياً عن تلك الدول التي لا يخالف أحد أنها دولة

(١) يا ترى أين هذه الدول التي تطبق شرع الله سوى المملكة العربية السعودية

إسلامية، مثل دولة أفغانستان، أقول[١]: مادام وصف الجماعة منتفياً باتفاق عن هذه الدول[٢] التي تعلن الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهجاً؛ لأنها لم تدع للخلافة، ولا بويعت بها، فمن باب أولى أن ينتفي وصف الجماعة عن تلك الدول العلمانية. . .»، إلى أن قال: «هذا وينبغي أن يفهم أنه مع انتفاء وصف الجماعة عن تلك الدول التي تعلن التزامها بالإسلام التزاماً تاماً، عقيدةً وشريعةً ومنهجاً ما لم تعلن إقامة الخلافة؛ فلا ينتفي عنها وصف الجماعة بمعنى الملازمة لما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه[٣]، وأن ذلك لا يمنع دخول المسلم فيها والالتزام بها، بل إن ذلك يبقى مستحباً بقدر التزام هذه الدولة بشريعة الإسلام ومنهجه على الحقيقة. . .»، ثم إنه يقرر كما في ص (١٠٦-١٠٧) بأن من كان له بدار الكفر دور دعوي أو جهادي، وهو قادر على إقامة دينه؛ فهذا يبقى حكم هجرته إلى هذه الدولة التي تعلن الالتزام بالإسلام على الحقيقة يبقى على الجواز فقط؛ لأن هذه الدولة لم تعلن أنها دولة الخلافة، لذا فلا يتعين عليه الهجرة إليها دون غيرها، بل يكون مقامه في هذه الحال في داره التي هي من ديار الكفر داعياً إلى الله . . . جائز كذلك، خاصة إذا كان ذلك مع جماعة المؤمنين، إذ لا فضل لجماعة على جماعة، إلا أن تكون جماعة الخلافة اهـ.

بل إنه ذكر في ص (٨٥/ ٨٦) أنه لا يجوز عقد الإمامة لشخصين في وقت واحد، وإن اتسعت دار الإسلام، ونقل ذلك عن بعض العلماء، فأنت ترى أنه لا يفرق بين الدولة المسلمة المحكمة للشريعة، وبين أي جماعة من

(١) الكلام للمؤلف.

(٢) من أين له الاتفاق الذي زعمه.

(٣) أي المفهوم العلمي لا الحسي على ما بينه، أنه لا اعتبار بوجود إمام، أو أمير، أو رئيس دولة، ما لم يكن خليفة لعموم المسلمين.

الجماعات الدعوية ؛ لأنه لا يرى شرعية الدولة المسلمة، ولا إمامتها ما لم تعلن الخلافة.

ويمكن تلخيص الملحوظات على ضوء قراءتي للكتاب فيما يلي:

أولاً: أنه زعم أن المنقول عن السلف يدل على أن للجماعة معنيين:

أ - حسي /ب - ومعنوي، كما تقدم ذكره، ولا يخفى أن هذا التقسيم ليس ثابتاً عن السلف بهذا المعنى الذي ذكره، إنما الثابت هو قولهم: «ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وليس التقسيم الذي ذكره».

وقالوا: إنّ الجماعة: هم أهل الحق، والفرقة الناجية، وهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى أهل الحديث والفقه في الدين، العاملون بالسنة والمجتمعون عليها، وأنّ المعنى الأظهر لكلمة الجماعة التي وردت في أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: إنّ المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث البيعة فقد خرج من الجماعة»[(١)].

ثانياً: أنه ربط الشرعية لأي دولة مسلمة بوجود الخلافة العظمى، فإذا لم يدعُ رئيس الدولة، أو ولي أمرها الناس إلى البيعة العظمى، ولم يبايع على ذلك فتنتفي الإمامة عنه وعن دولته، وبالتالي لا تلزم بيعته ولا طاعته، وإنما يتعاون معه كما يتعاون مع أي جماعةٍ تدعو إلى الإسلام، يتعاونون جميعاً من أجل إيجاد الإمام ودولة الخلافة.

وهذا الذي ذكره من ربط الشرعية لأي دولة مسلمة بوجود الخلافة، وأنه

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٧) و(١٣/ ٣١٦) وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٠٩) والاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٢).

ليس هناك دولة من الدول تعلن أنها دولة الخلافة، أو يعلن رئيسها أنه خليفة، أو يبايعه الناس على ذلك، وأن ذلك لم يحدث في بلد من البلدان ولو على مستوى القطر نفسه، ،وإنما هي ملكية وراثية،أو انتخاب على الرئاسة، وبالتالي فلا دولة ببيعة شرعية ولا إمام،هذا الذي ذكره مخالف لقول النبيﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم**»، والطائفة هي ليست كل الناس بل هي بعض الناس.

ودل الحديث على أنها على الحق إلى قيام الساعة، هذا يدل على وجود هذه الجماعة بإمامها.

وأيضاً ما ذكره مخالف للإجماع، ومخالف للواقع؛ أما مخالفته للإجماع، فقد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب : «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمامة في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصلح إلا بالإمامة العظمى»[(١)].

وقد ذكر الإمام الصنعاني كلاماً مثل المنقول عن الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقال : «بأنه لم يجتمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية، بل استقل كل إقليم بقائم بإمورهم».

وقد ذكر هذا المعنى الإمام الشوكاني وقال: «وأما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته، وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه صار في كل قطر أو أقطار، الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته؛ فلا

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٣٩).

بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي تنفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا يجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته؛ لتباعد الأقطار؛ فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها، ولا يدري من قام منهم أو مات؛ فالتكليف بالطاعة - والحال هذا - تكليف بما لا يطاق، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد. . . ، فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لما تدل عليه الأدلة، ودع عنك ما يقال في مخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام، وما هي عليه الآن، أوضح من شمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة؛ لأنه لا يعقلها»[١] أ.هـ.

وعلى هذا فإنه يثبت للأئمة المتعددين ما يثبت للإمام الأعظم يوم أن كان موجوداً فيقيمون الحدود ونحوها[٢] ويسمع ويطاع لهم، وليس شرطاً أن يكون الواحد منهم ينادي بالخلافة العظمى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق. . . »[٣].

أما مخالفته للواقع، فكما تقدم أنه من العصر العباسي وإلى اليوم لم

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار(٤/ ٥١٢).
(٢) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة ص٢٨
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٥-١٧٦).

يجتمع المسلمون بكافة أقطارهم تحت خليفة واحد.

إذاً فربط الشرعية للدولة المسلمة بوجود الخلافة العظمى أمر غير مُسَلَّم، ومخالف للإجماع والواقع، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أن الخلافة ثلاثون سنة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، وأما ما نقله المؤلف عن بعض العلماء من عدم جواز تعدد الأئمة، فإن المقصود به تعدد الخلفاء في الإمامة العظمى أو في دولة واحدة، بعد مبايعة أحدهم وثبوت ذلك له.

ثالثاً: أنه أَوَّل النصوص الشرعية التي تأمر بطاعة ولي الأمر، وتحذر من الخروج عن طاعته على أن المراد بها الإمام الأعظم، ولا يخفى ما يترتب على هذا التأويل من مفاسد؛ من أعظمها تأويل النصوص على خلاف ما تدل عليه، ومنها تسويغ الخروج على ولي الأمر ما لم يكن خليفة لعموم المسلمين، وعدم اعتبار بيعته وشرعية إمامته ولزوم طاعته، وغير ذلك من المفاسد، وقد تقدم كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ على أن التأويل للنصوص هو أصل خراب الدين والدنيا.

رابعاً: أنه قرر أن الجماعات الدعوية المعاصرة هي على منهج أهل السنة والجماعة في الجملة باستثناء جماعة التكفير، وبالتالي على المسلم الانضواء تحت فكرها ومنهجها، وإن لم يكن منتسباً إليها، ولا يخفى ما في هذا من تلبيس وتدليس، فحال الجماعات وتعددها وتباين مناهجها واختلاف عقائدها، شاهد على مخالفتها لعقيدة أهل السنة والجماعة خصوصاً في باب الحاكمية، وباب طاعة ولي الأمر المسلم وغير ذلك، وتعدد الجماعات نفسه ليس من الدين؛ لأن الدين أمر أن يكون المسلمون أمة واحدة وجماعة واحدة.

خامساً: مساواته للدولة المسلمة التي تحكم الشرع ولها ولي أمر

بالجماعات الدعوية، بل بأقل من ذلك، فإنه ذكر جواز وجود جماعة من المؤمنين ولو كانوا في بلد الكفار يدعون إلى الإسلام، أنهم مثل أي جماعة أخرى ولا فضل لجماعة على جماعة إلا أن تكون جماعة الخلافة، هكذا قال، ولا يخفى ما في هذا الأمر من خطأ، وما يترتب على ذلك من مفاسد من أعظمها عدم اعتقاد البيعة لولي الأمر في أي قطر من الأقطار ما لم يكن خليفة لعموم المسلمين.

سادساً: أنه قرر عدم وجود خليفة أو إمام للمسلمين، وعلى المسلم أن يتعاون مع الجماعات الموجودة، ويأخذ برأي أهل الحل والعقد إذا لم يكن منتسباً لإحدى الجماعات، ولا يخفى أن هذا الأمر يجعل من السهل على المنتسب إلى الجماعات الدعوية ولو فكرياً في حل[1] من طاعة ولي أمره في القطر الذي هو فيه.

والكتاب من حيث الجملة دعوة إلى فكر جماعة الإخوان المسلمين، والذين يزعمون بأنهم يسعون لإيجاد الدولة المسلمة، والخليفة المسلم، ولا يرون شرعية البيعات الموجودة في الدول الإسلامية، ولكن كما ذكرت أن هذا الكاتب مثل غيره من الكتَّاب المنتمين لفكر هذه الجماعة والجماعات المتولدة عنها، لبَّسوا على كثير من الناس بكون كتاباتهم تطرح باسم أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة؛ لإدخال الجماعات الإسلامية في جماعة واحدة؛ مما جعل كتاباتهم تروج وينخدع بها من لا علم عنده، وكثيراً ما يجعلون كلامهم مجملاً محتملاً، وأشبه ما يكون بالكلام السياسي، ولا يخفى خطورة هذا المسلك، وهو الإجمال وعدم التوضيح والبيان فيما يحتاج

(١) أي يكون من السهل عليه ترك البيعة والطاعة وينتقل لأخرى؛ لأنه لا فرق بين جماعة ودولة ما لم تكن جماعة الخلافة.

إلى ذلك.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم التي هي في الحقيقة جهليات، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى، والإجمال في اللفظ يوجب تناولها بحق وباطل، فبما فيها من الحق يقبل ما فيها من الباطل؛ من أجل الاشتباه والالتباس...، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها...، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل...»[(١)] ا.هـ.

ثانياً: أنّ هناك كتباً أخرى لا تقل خطورة عن هذا الكتاب، وسلكت المسلك نفسه في كثير من الأمور منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- كتاب (أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى) لمحمد عبدالهادي المصري

٢- (الطريق إلى جماعة المسلمين) لحسين محمد علي جابر، والذي قال فيه[(٢)]: «هدف البحث أن أبين للأمة الإسلامية أن جماعة المسلمين غير موجودة، وأن واجب المسلمين كافة إقامتها حتى تقوم دولة الإسلام وتترعرع».

٣- كتاب «الثوابت والمتغيرات» للدكتور صلاح الصاوي.

٤- كتاب «جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها» للدكتور صلاح الصاوي أيضاً، وهذا الكتاب الأخير يعتبر أصلاً لكتاب «كيف الأمر إذا

(١) انظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٢٥-٩٢٨).
(٢) (ص ١١).

لم تكن جماعة» الذي تحدثنا عنه، فإنه بنى كثيراً من كلامه على ما ذكره الصاوي، ولا يختلف عنه إلا في الأسلوب، وفي القليل من الأمور من باب وجهات النظر.

وهذه الكتب الأربعة والكتب التي بمعناها تسعى - كما يقول أصحابها - إلى إيجاد جماعة المسلمين ومن ثم إمامهم ودولتهم، كما أنهم يجعلون الجماعات الإسلامية خطوات مرحلية في الطريق إلى جماعة المسلمين، كما أنهم لا يرون صحة أي بيعة في أي قطر من الأقطار الإسلامية، وإن كانت تعبيراتهم تختلف في التعبير عن ذلك حسب الظروف، كما أنهم يرون أن النصوص الشرعية التي توجب طاعة ولي الأمر وتحذر من مخالفته، أو الخروج عليه، إنما هي في الإمام الأعظم الذي يكون خليفة لعموم المسلمين، وليس لمن كان دون ذلك ولو كان يحكم بلداً إسلامياً بشرع الله.

يقول الصاوي (ص/ ١٢٢) في كتابه (جماعة المسلمين): «الأصل في واقعنا المعاصر هو التزام الطاعة لجماعة أهل الحل والعقد، ويتحقق الانتساب إلى الجماعة في إطارها السياسي بالانتظام في الصف الإسلامي العام، والالتزام المرحلي بالطاعة لتجمع من التجمعات القائمة، والسعي من خلاله لإقامة جماعة المسلمين[١]، ويختار من هذه التجمعات ما يكون فيه أرضى لله وأعبد له، وأنفع لدينه وعباده المؤمنين».

ويقول في معرض رده على من يرى عدم شرعية التجمعات إلا بعد التمكين ونصبة الإمام: «إن كان مقصودهم أن الجماعة المرادة في النصوص هي جماعة المسلمين فذاك، ولكن لا يعني تحريم التعاون على البر والتقوى...» إلخ

(١) فالبيعات الموجودة في الدول ليست واجبة، وليست ملزمة للشخص المبايع، وإنما هي مرحلة زمنية، ويتحلل منها بكفارة يمين إذا اقتضى الأمر ذلك - كما يزعم - كما سيأتي بعد أسطر من كلامه.

فهو يرى النصوص الشرعية الواردة في الإمامة وفي الطاعة إنما تكون لجماعة الخلافة؛ أي: الإمامة العظمى، ومفهوم كلامه أن وجود دولة إسلامية ولو كانت تحكم بالشريعة ما لم تكن هي دولة الخلافة، فلا تدخل في هذا المعنى.

وبعد ما قرر أن الجماعة المرادة بلزوم الطاعة هي جماعة الخلافة، وليس إلى تجمَّع آخر مهما كان، يقول[1]: «لا يعني هذا انحلال عقد التجمعات القائمة ويقترح - أي الصاوي - عدة أمور منها: إعادة النظر في فقه هذه التجمعات من حيث البيعة وحدود الطاعة ونحوه، ويقول: «فهذه التجمعات لا تستند في تأسيسها إلى النصوص الواردة في لزوم الجماعة ووجوب البيعة في السنة المطهرة إلا على سبيل الاستئناس، وإنما إلى النصوص العامة التي تحض على التعاون على البر والتقوى وتنهى عن الفشل والتنازع...، إلى أن يقول: والبيعة المعقودة لهذه التجمعات بمثابة النذر أو العهد، ويكون التحلل منها عند الاقتضاء بكفارة يمين...» اهـ.

وكلامه وإن كان فيه إجمال مقصود بناء على الأصل الذي ذكرناه سابقاً في منهج هؤلاء، إلا أنه يفهم منه أن أي بيعة ولو كانت لدولة مسلمة، إنما هي بيعة مرحلية مؤقتة، يمكن التحلل منها بكفارة يمين، وهذا المعنى جعل كثيراً من الشباب المسلم المتحمس الغيور على دينه بغير فقه ولا بصيرة، لا ينظر إلى البيعة المعقودة في بلده النظرةَ التي يقتضيها الشرع من لزوم الطاعة في المعروف لولي الأمر، وعدم الخروج عليه بالسنان أو اللسان، أو أي وسيلة أخرى تؤدي إلى ذلك، بل جعل النظرة إلى أن وجوده - أي وجود الإمام أو الحاكم - مثل وجود من يقود جماعة من الجماعات، يتعاون

(١) (ص ١٢٥).

معه حسب المصلحة إلى أن يوجد الإمام أو الخليفة المزعوم.

وعلى هذا المنوال سار محمد أحمد الراشد في مؤلفاته لا سيما كتابه المسمى: (المسار)، وكذلك جمال سلطان، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد قطب، وفتحي يكن، والقرضاوي، والبيانوني، وعلى هذا المنوال سارت المجلات المتحدثة باسمهم: كالسنة، والبيان، والسمو، والمجتمع، والأصالة وغيرها.

وتعتبر مجلة السنة[١] هي من مصادر الأخبار التي يستقي منها (شباب الصحوة) أخبار العالم، وقد جمعت في عشها البريطاني رويبضات الزمن، وتجرأت على النيل من السنة وعلمائها مع أن اسمها السنة (وهي مليئة بالبدع)، وحقيقة بأن تسمى بالبدعة كما قال علامة اليمن الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثاً: ذكر بعض النقول من كتاب الثوابت والمتغيرات للدكتور الصاوي توضح ما سبق ذكره من عدم اعتبار شرعية الدول الإسلامية المعاصرة، ووجوب إعلان الجهاد عليها، وبعض الخطط التي تتبع لتحقيق الدولة المسلمة المزعومة عندهم، وسوف يكون تعليقي في الهامش، وكلام الصاوي هو المتن لوضوح مخالفته للحق، ولكي آتي بكلامه كاملاً.

يقول الصاوي، في ص (١٩): «والأصل في ذلك كله أن الحركات الإسلامية اليوم بمثابة الجيوش الإسلامية[٢] التي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف نِحلها ومشاربها؛ لدفع فتنة الكفر والردة ودرء خطرهما عن دار الإسلام، فهي البديل عن الدولة الإسلامية التي كانت تجند

(١) التي تقوم بنشر فكر التكفير وتأصيل منهج الخوارج.

(٢) لكونه لا يرى شرعية البيعات القطرية الموجودة في العالم الإسلامي، وأن البيعة المعتبرة عنده وعند الإخوان عموماً هي إذا كانت للسلطان الأعظم الذي يحكم جميع بلاد المسلمين.

المسلمين كافة إذا داهم العدو دار الإسلام، ولا تحجب أحداً ممن ثبت له عقد الإسلام من الاشتراك في هذا الجهاد، ولا تمنعه من الغنيمة والفيء ما دامت يده مع المسلمين».

ويقول تحت عنوان (لزوم جماعة أهل الحل والعقد إذا انتظم عقدها واجتمع أمرها في بلد من البلاد)[١]: «إذا شغر الزمان عن الإمام، وخلا عن حاكم يحمل الأمة[٢] على مقتضى النظر الشرعي، وأقيمت الحكومات على أساس العلمانية وتحكيم القوانين الوضعية، فالأمور موكولة إلى أهل الحل والعقد في الأمة؛ وهم أهل العلم وأهل القدرة الذين يفزع لهم في المهمات والمصالح العامة ممن لا يزالون على أصل التزامهم بالإسلام وإيمانهم بشريعته، وإنكارهم على الخارجين عليها، ودعمهم للدعوة إلى تحكيمها.

فإذا اجتمعت كلمة هؤلاء، وانتظم أمرهم حول متبوع مطاع صار اتباعهم فريضة محكمة، وصار السعي من خلالهم لإقامة الدين واجباً متعيناً لا حيلة لأحد في دفعه، وهؤلاء حينئذ يمثلون الجماعة التي جاءت النصوص بلزومها، وحذرت من مفارقتها، وتوعدت الخارج عليها[٣].

إلى أن يقول[٤]:

«والأصل في ذلك كله، ما تمهد في الأصول من أن السلطة للأمة، كما أن

---

(١) ص (٢٣٧).

(٢) وهذا يؤكد ما ذكره مراراً من أن أهل الحل والعقد في نظره هم البديل للحكام عند عدم وجود الخليفة الأعظم.

(٣) تأويل للنصوص التي تأمر بطاعة ولي الأمر الحاكم المسلم على أن المقصود بها من يقود الجماعة أو التنظيم.

(٤) ص (٢٣٨).

السيادة للشرع في المجتمع الإسلامي، فالأمة هي وحدها صاحبة الحق في تولية حكامها، وفي مراقبتهم، وفي عزلهم عند الاقتضاء»[١].

ومما يؤكد أن الغاية عندهم تبرر الوسيلة عقد البيعة للأحزاب والجماعة وتعددها والتعامل معها، إذا كان ذلك يحقق لهم مصلحة.

يقول الصاوي[٢] تحت عنوان:

تقييد البيعة والتقايل منها، والجمع بين أكثر من بيعتين في وقت واحد:

«الأصل في البيعة التي تعطى للجماعات الإسلامية أنها اتفاق رضائي، يهدف إلى التأكيد على ما أوجبه الله ورسوله من التعاون على البر والتقوى، والتزام صاحبها بالتعاون مع فريق من الناس على ما انتصبوا للقيام به من الدعوة والجهاد، وهي لا تجب ابتداء على كل أحد، ولا تلزم إلا من التزم بها، وفي الحدود التي يتم الاتفاق عليها.

وعلى هذا يمكن النظر في أمر تقييد هذه البيعة بزمن أو بلد، أو التقايل منها عند الاقتضاء، أو الجمع بين أكثر من بيعتين لجماعتين، إن لم يكن بينهما تعارض، ولم يؤد الجمع بينهما إلى الإضرار بإحداهما، وكل ذلك من موارد الاجتهاد، وعلى الجماعات والأفراد أن يختاروا من ذلك ما يرونه محققاً لمصلحة الدعوة والجهاد في الزمان والمكان الذي يراد فيه إمضاء هذه الاجتهادات.

ولا يحتج على ذلك بأن البيعات التي أعطيت في تاريخ الإسلام لم تعرف التقييد ولا التعدد؛ لأن القياس هنا مع الفارق، فالبيعات العامة هي التي

---

(١) هذه هي الديموقراطية التي ينادي بها الإخوان، وهي تعني الخروج على السلطة التي لا يرونها تحقق أغراضهم ومطالبهم، فأين الاتباع للشريعة؟.

(٢) في ص (٢٤٨).

تكون على عموم النظر في مصالح المسلمين، ويجب الدخول فيها على الأمة كافة، ويحرم فيها التعدد[١].

أما هذه البيعات فهي رضائية اتفاقية، مصدرها العقد، ونطاقها المهام التي عقدت من أجلها، ونفوذها في حق الذين ارتضوا بها وتعاقدوا عليها، ولهذا فإن لهم أن يضعوا لها من الشروط والقيود ما يشاؤون، شريطة أن لا يخالفوا في ذلك شرطاً في كتاب الله، وإلا كان شرط الله أحق، وقضاؤه أوثق.

ويقول في ص (٢٦٤-٢٦٥) مشيراً إلى عدم الإنكار على الأخطاء والمخالفات التي تقع منهم، أو ممن يدور في فلكهم مهما عظمت، فيقول:

«عدم التورط في إدانة الفصائل الأخرى العاملة للإسلام إدانة علمية، تحت شعار الغلو والتطرف، مهما تورطت هذه الفصائل في أعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد والنضج، فإن كان لا بد من حديث للتعليق على بعض هذه الأعمال الفجة، فليبدأ أولاً بإدانة الإرهاب الحكومي في قمع الإسلام، والتنكيل بدعاته، والذي كان من نتائجه الطبيعية هذه الأعمال، التي تبدو غالية وحادة، والتي تمثل رد فعل متوقع لما تمارسه الحكومات من تطرف في معاداتها للإسلام، وغلو في رفضها لتحكيم شريعته، وأنه لا سبيل إلى حسم هذه التداعيات وسد الذريعة إلى التطرف من الفريقين، إلا بتحكيم الشريعة وإقامة كتاب الله في الأمة، فيردع الغلاة والجفاة.

وذلك لأن الإدانة المطلقة لهذه الأعمال الجهادية ستكرس بطبيعة الحال الخصومة مع هذه الفصائل، وتملأ ساحة العمل الإسلامي بالفتن والتهارج، اللهم إلا إذا كان ذاك - كما سبق - بتنسيق مسبق وتوزيع متبادل للأدوار.

---

(١) فهو يجوز التعدد في الإمارة للجماعات، ولا يجوزها للدول.

وإن الجاهلية لأحرص ما تكون على استنطاق الإسلاميين في هذه المجالس، لإدانة الأعمال الجهادية التي تقوم بها الفصائل الأخرى، تحت شعار نبذ الإرهاب ومحاربة التطرف، وسوف تمارس من الضغوط في ذلك ما لا يقوى على لأوائه الصابرون، وقد تتهمهم بالتواطؤ مع المتورطين في هذه الأعمال، إن لم يصدر عنهم إدانة لها، وبراءة ظاهرة من أصحابها، وهي بذلك تحقق أهدافها بكل دقة، فتشقق التيار الإسلامي وتؤجج الفتن بين فصائله من ناحية، وتنكل بهذه الاتجاهات الجهادية بكل شرعية من ناحية أخرى، ومن هنا تأتي ضرورة الحرص البالغ والدقة المتناهية فيما يصدر عن الإسلاميين في هذه المجالس، من تصريحات ومقولات تمس إحدى هذه الفصائل، هذا ولا يبعد القول بأن مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية[١]، ويظهر النكير عليها آخرون[٢]، ولا يبعد تحقيق ذلك عملياً إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلة من الرشد، أمكنه معه أن يتفق على الترخيص في شيء من ذلك، ترجيحاً لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين في هذه المجالس مع غير تشويش ولا إثارة». ا. هـ كلام الصاوي.

---

(١) أي التدمير والتفجير مما يظن به نكاية للنظام القائم.

(٢) من باب تبادل الأدوار بتنسيق مسبق كما ذكر، ويندرج تحت قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، ولكي لا ينكشف الأمر؛ فبعضهم ينكر التفجيرات والتدمير الذي قام به البعض، والبعض يؤيد، مما يدل على أن لجماعة الإخوان المسلمين وما تولد منها جناحين: أحدهما فكري سياسي والآخر عسكري، ويكون بينهما تبادل للأدوار، وقد يقع ذلك بمسميات مختلفة حسب الزمن، وحسب الحال، وحسب البلد الذي تكون فيه، وهذا الذي ذكره من عدم الإنكار على الأخطاء المنافية للاعتدال مهما تورطت فيه الجماعة من أعمال مخالفة لتحكيم الشريعة، وكيف يجوز لهم ما يحرم على غيرهم، ويحرم على غيرهم ما يجوز لهم؟ وهل هذا إلا تلاعب بالدين وبعقول الأتباع؟

ويقول حول عدم استثارة العامة فيما فيه مضرة بهم من باب المصلحة[١]:

«ولهذا لابد من التفريق في هذه الأعمال بين النظام وبين الأمة، وحصر دائرة الصراع مع هذه الأنظمة العلمانية فحسب، والحذر كل الحذر من أن تمتد دائرة الصراع لتشمل فريقاً من الأمة، أو أن يفضي إلى المساس بمصالح وطنية بحتة تمس أقوات الناس، وأرزاقهم، ومرافقهم الحيوية، فإنّ هذا فضلاً عن حرمته شرعاً في ذاته لمساسه بمرافق عامة هي ملك للأمة وتعتبر أمولاً معصومة، يهيج العامة ضد العمل الإسلامي، ويعطي الطواغيت الفرصة لاستنفارهم ضد الحركة الإسلامية التي تكون في هذه الحالة في مقام التخريب والعدوان للمصالح الوطنية».

ويقول[٢]:

«فإذا تعلق الأمر بمواجهة واستنفار عام ضد الطواغيت[٣] فيجب أن يكون الأمر في ذلك إلى أهل الحل والعقد، وهم: كل متبوع مطاع في ساحة العمل الإسلامي ممن يفزع إليهم في المهمات والمصالح العامة، وهؤلاء يتمثلون في الواقع في قادة فصائل العمل الإسلامي، وفي غيرهم من أهل العلم وأهل القدرة ممن لهم قبول عام في الأمة، ولا يزالون على ولائهم للإسلام وانتسابهم إلى الشريعة، وإيمانهم بضرورة العمل لإقامة الدولة الإسلامية[٤]».

---

(١) ص (٢٧٢).

(٢) في ص (٢٧٥).

(٣) الطواغيت: يقصد بهم جميع حكام المسلمين، ولذلك لم يستثن في كتابه كله حاكماً واحداً على الأقل، وكذلك فعل كُتّاب ومفكروا وقادة الجماعات الإخوانية، فلا عبرة بقيمة ومنزلة من لا يوافقهم حتى وإن حكّم الشريعة!، وهذه سمة أهل الأهواء كما أخبر عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه يتجارى بهم الهوى كما يتجارى الكَلَب بصاحبه.

(٤) لأنه لا توجد في نظرهم دولة إسلامية على وجه الأرض.

ويقول تحت عنوان (التحالفات المرحلية مع بعض الاتجاهات العلمانية المسالمة)[١]:

«. . . . ولكن المصلحة قد تقتضي في مرحلة الإصلاحات الجزئية التنسيق المرحلي مع بعض الاتجاهات العلمانية المعتدلة[٢]،[٣] لإمضاء أمر هو محل قبول من الناس كافة، فقد يعوز العمل الإسلامي في بلد من البلاد إلغاء الأحكام العرفية وقوانيين الطوارئ، وهو مطلب جماهيري عام، فلا حرج عليه في هذه الحالة أن يجيّش لنصرة هذا المطلب، الاتجاهات الدينية والعلمانية كافة[٤]، ويكون عمله هذا من جنس حلف الفضول وسائر الأحلاف المشروعة التي تكون على نصر المظلوم والضرب على يد الظالم، وإشاعة العدل والتناصف ونحوه، ومثل هذا في محل الاجتهاد، والأمر فيه واسع، وقد سبقت مقالة ابن الأثير والنووي في جوازه، والتفريق بينه وبين الأحلاف الممنوعة التي تكون على الفتن والقتال وما منع منه الشرع»[٥].

---

(١) ص (٢٧٩).

(٢) من هنا نعرف سر البيان الذي وقّعه بعض رموز الصحوة في بلادنا باسم المثقفين السعوديين، مع بعض مَنْ كانوا يسمونهم العلمانيين، في الرد على بيان المثقفين الأمريكيين.

(٣) ويدل تحالفهم مع العلمانيين عند الحاجة، أن المسألة من أصلها سياسية متسترة بالدين، وإلا لوجب البراء من العلمانيين؛ لأنهم كفار مطلقاً في نظر هؤلاء.

(٤) اقرأه واربطه بما سبق.

(٥) إذا اقتضت المصلحة، وليست المصلحة العامة بل مصلحتهم الخاصة بجماعتهم، إذا اقتضى ذلك فإنهم يتحالفون حتى مع من يرون كفرهم، ولا يجيزون ذلك لغيرهم، كما حصل في أزمة الخليج الثانية، فإنهم على مختلف فئاتهم وتجمعاتهم ورموزهم وقادتهم وقفوا صفاً مع الظالم إذ ذاك الوقت.

التعامل عند القبض على بعضهم في أعمالهم التي يسمونها (جهادية):

يقول[١]: «ومما يتصل بهذه النقطة كذلك المنهج الذي ينبغي اتباعه إذا انكشف أمر القائمين على هذه الأعمال، وسيقوا أسارى إلى معتقلات الجاهلية[٢]، هل يعلنون مسؤوليتهم عن هذه الأعمال ويؤطرون الأدلة على مشروعيتها، ويوظفون ذلك في خدمة قضيتهم وإقامة الحجة بها على الناس كافة، وإن تضمّن تغريراً بأرواحهم وأموالهم ونحوه، لما تمهد من فضيلة التغرير بالنفوس في إعزاز الدين وإجلال رب العالمين؟ أم يقيمون خطتهم على الإنكار والتجاهل، ويرسمون سياستهم في الدفاع على هذا الأساس؟ ولا شك أنّ هذا وذاك من موارد الاجتهاد.

وقد يكون من عناصره التفريق بين الأئمة البارزين الذين تحسب مواقعهم على الدعوة، ويجب أن يعلّموا الناس الصدق والنصيحة، كما يعلمونهم التوحيد والأحكام الشرعية، وبين العامة الذين قد يسوغ في حقهم الترخص ما لا يسوغ في حق هؤلاء.

وقد يكون من عناصره كذلك التفريق بين من يرجى بلاؤه في الإسلام، ويتوقع منه النكاية بالمشركين في المستقبل، فهذا الذي يحسن له أن يترخص رعاية لهذه المصالح، وبين غيره ممن لا يرجى منه ذلك، فيحسن في حقه الثبات والمواجهة، ولهذا يذكر القرطبي فيمن أكره على كلمة الكفر: (أنه إن كان بقاؤه يرعب العدو وينفع المسلمين بقوته، فالتلفظ بكلمة الكفر أولى، وإلا كان الصبر على القتل وعدم النطق بالكفر أولى).

---

(١) في ص (٢٨٤-٢٨٥).

(٢) يقصد بها: كل من يخالفهم من الحكام، فيوردون الأدلة الواردة في الكفار ويحملونها على مخالفيهم، وتارة يسمونهم بأهل الجاهلية، وتارة بالطواغيت.

-إلى أن يقول-: «ويذكر السيوطي في الأشباه والنظائر: (إن تلفظ المكره بالكفر أو إتيانه بعمل الكفر، يحتمل أن يكون أفضل من صبره حتى يقتل، إذا كان المكره ممن يتوقع منه النكاية في العدو والقيام بأحكام الشرع، وذلك كأن يكون عالماً بأحكام الشرع، وليس في الناس مثله، وغير ذلك ممن تقتضي المصلحة بقاؤه حياً).

وقد يكون من عناصره كذلك الفروق الفردية بين شخص وآخر، والتي قد تجعل المواجهة متعينة في حق شخص، والترخص في حق شخص آخر، فهناك من يقوى على المواجهة وتفتنه تبعاتها، وهناك من يضعف وتقلقل إيمانه الفتنة، والحمد لله أن جعل في ديننا فسحة، وجعل أصل الترخص مشروعاً في حق الجميع، ولكن المقام الآن مقام الحديث عن الأفضلية، والمواقف الاستراتيجية، والأمر في ذلك واسع، ولا تضييق فيه على أحد) ا.هـ[١].

ومما ينادي به هو وغيره قولهم: (سلفية المنهج وعصرية المواجهة)، حيث يقول تحت هذا العنوان[٢]:

«والسلفية المنشودة هي سلفية المنهج؛ أي العودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى القرون الثلاثة الأولى، وذلك لنتمكن من خلال هذا المنهج من المواجهة السلفية المعاصرة لمشكلات حياتنا المتجددة.

فلا يقصد بالسلفية إذن مجرد الاجترار لبعض المفاهيم أو القضايا العقدية

---

(١) وهذا كله يدور حول اتباع الوسيلة التي تحقق لهم الغاية، وتأويل النصوص الشرعية لتحقيق ذلك بحجج واهية وتغرير بالأتباع.

(٢) في ص (٣١٨).

التي واجه بها سلفنا الصالح إنحرافات عصرهم، وكانت فريضة الوقت يومئذ التخلي عن المعارك الطاحنة التي تدير الجاهلية رحاها في المجتمعات المعاصرة، أو إغفالها طمساً لمعالم الإسلام وإبادة خضراء المسلمين» ا.هـ

قلت: ولو كانوا حقًا على المنهج السلفي الصحيح، لما خالفوا معتقده ومنهجه فيما مضى ذكره، وفي غيره مما تنضح به كتبهم، وإنما هو تشويه للمنهج السلفي، وإبعاد له في الحقيقة عن الميدان الدعوي، وكم تسمت حركات بأنها سلفية جهادية، وهي ليست سلفية على الحقيقة، وليست جهادية، وإنما هي تكفيرية خارجية تدميرية.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني عشر

استعمال العنف إذا شعروا بالقوة أو لم يتحقق لهم ما خططوا له

يقول الدكتور/ خالص جلبي في مقال له بعنوان : العنف في الحركات الإسلامية[١] :

هناك من قمم المفكرين العرب من يفوته أن العنف موجود مثل الخطأ الكرموسومي في الحركات الإسلامية، وأن العنف موجود منذ لحظة ولادتهم الأولى، وأنا أعرف عبدالحليم بو شقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان من عناصر التنظيم الخاص في مصر، وهو الذي كتب في انتقادهم، ولكن لم يأبه له أحد، والنظام الخاص: هو تنظيم مسلح سري، أنشأه حسن البنا بيده، وكان سبب مقتله بعد أن قتلت جماعته النقراشي رئيس الوزراء المصري، ويومها خرجت جنازة تطالب برأس البنا، ولكن الناس لا تعرف هذه المعلومات ولا تقرأ كثيرا، وفي زيارتي الأخيرة إلى مسقط عرفت سبب مقتل باقر الصدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على يد صدام حينما دعا إلى تبني العمليات العسكرية للإطاحة بالنظام، وحينما تستبيح دم الآخرين يجب أن تعترف أنك أصبحت مستباح الدم، وبلقزيز يعتبر أن مشكلة العنف ولدت مع فكر سيد قطب، وفي الطب يصاب الإنسان بالتهاب الكبد الوبائي، ولكن لا يظهر المرض إلا بعد فترة حضانة، وفكر سيد قطب من حضانة حسن البنا، وهذا من ذاك، وسيد قطب من حسن البنا، وفي ظلال حسن البنا، نشأت حركة التنظيم الخاص[٢].

(١) مقال نُشر بجريدة الوطن، عدد (١٢٢٥) وتاريخ ١٥/ ذو الحجة/ ١٤٢٤هـ.

(٢) «إنّ المتتبع لدعوة الإخوان المسلمين في العالم الإسلامي يجد أنهم إذا وجدوا في أنفسهم القوة=

وحاول حسن البنا لاحقاً أن يتخلص منهم، كما روى لي ذلك فتحي رضوان شخصياً، ولكنه كان مثل خبير المتفجرات يحاول فك لغم أرضي فانفجر به، ولكنه في المؤتمر الخامس عام ١٩٣٥م صرح بكل قوة أنه إن اجتمع لديه اثنا عشر ألفاً فلن يغلب عن قلة، ولسوف يقهر بهم كل جبار عنيد، ومشكلة العنف بتعبيرنا والجهاد بتعبيرهم مشكلة لا حل لها ما لم نحل مشكلة الخوارج القديمة الجديدة، وفهم ماذا تعني فكرة الجهاد وكيف يعمل الجهاد - أي فهم آلية الجهاد - وما وظيفته وبيد من وضد من؟ ولقد كتبت أنا شخصيا أربعة كتب في هذا الموضوع، وأشتغل عليه منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولكن يبدو أن كل ما نكتب لا قيمة له، والشعوب تتعلم بالمعاناة أكثر من الكتابات، ولكن كل المفاجأة أن يفوت مثل هذا الشيء على مفكرين كبار، فيقولون: إن العنف لم يكن موجوداً مع نشأة الحركات الإسلامية العربية، كما هو الحال مع الإخوان المسلمين وحزب التحرير الذي قام بمحاولات انقلاب عسكرية، والترابي في السودان، ونظيره في أكثر من قطر عربي، فعلوا وركبوا ظهر الحصان

= والمنعة سلكوا طريقة سيد قطب التي تقوم على تكفير المسلمين وقتلهم وسفك دمائهم، وإذا اعترى دعوتهم شيء من الضعف، سلكوا طريقة حسن البنا التي تقوم على التربية، واستخدام تقية الرافضة، وإظهار الرجوع إلى العلماء، ومد الجسور مع الحكام، وإظهار الطاعة للولاة إلى غير ذلك مما يسمونه بالسياج الأمني الذي يحيطون به صحوتهم؛ حتى تتوفر لهم القوة الكافية التي تمكنهم من تحقيق أهداف دعوتهم الضالة»

من مقال للأستاذ القدير عبد الرحمن الشميم بعنوان (بين تفجيرات المكفّرين وتقلبات المتلونين)، نشر بجريدة الجزيرة السعودية، يوم الجمعة ٩ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ عدد (١١٥٦٥)، وهو يتحدّث عن دعاة الصحوة في بلدنا، ومدى تأثرهم بدعوة الإخوان المسلمين، وأوافقه فيما ذكر، ويشهد لذلك ما ذكرته في المبحث السابق (بعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم)

العسكري فجمح بهم، وكان حظ الترابي كبيراً أنه ما زال يحافظ على رأسه، ولعل ما فعل الإخوان في سوريا كان النموذج الواضح في فهمهم لحل المشكلات.

ولو نجح الإخوان في قلب البعثيين، لفعلوا قريباً مما فعل الرفاق. والقاتل والمقتول في النار، والحركة الإسلامية في الجزائر فعلت نفس الشيء حينما حيل بينها وبين الكرسي. ا.هـ

ولكي تتضح الصورة أكثر وتظهر بجلاء عن هذه الجماعة، التي هي أم التنظيمات الإسلامية في العالم العربي؛ لأنها أقدمها، وهي التي فرّخت بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانحرافات جاءت من الإخوان أنفسهم، كما ذكر ذلك العشماوي في التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، ص (٤)

ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر، فإنني أذكر نماذج من كلام بعض ورموز ومفكري الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم.

* * *

المبحث الثالث عشر

نماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري جماعة الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم

يتضح منه :

١- المخالفة للسنة (بين مقل ومكثر).

٢- الخروج على الحكام المسلمين، والتأصيل لذلك باسم الجهاد.

١- حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين[١]:

١- إن حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان صوفياً على الطريقة الحصافية، وكان ملتزماً بطقوسها وأورادها[٢].

٢- وكان يقول: «وكنا في كثير من أيام الجمع نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء»[٣].

٣- وكان يقول: «ومن عاداتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمواكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلى ثاني

---

(١) أكثرت النقل عن حسن البنا وسيد قطب أكثر من غيرهما ؛ لأنّ كلاً منهما قد أثّر فيمن جاء بعده تأثيراً واضحاً ؛ ولأنّ كل واجد منهما صار منهجه يُتّبع من قبل الإخوان المسلمين وأتباعهم حسب المصلحة وحسب الحال قوة وضعفاً، ففي حال الضعف يصار إلى منهج حسن البنا، وفي حال الشعور بالقوة يصار إلى منهج سيد قطب.

(٢) ما يقال عن حسن البنا يقال عمن يسمون بمرشدي الجماعة الذين جاؤوا من بعده، من عمر التلمساني إلى محمد عاكف، فهم ساروا على المنهج الذي سار عليه حسن البنا، فلم يخالفوه في شيء مما قاله، وإنما حاولوا تطبيق أفكاره وآرائه في الواقع العملي.

(٣) ينظر : مذكرة الدعوة والدعاة، ص (٢٢- ٢٣).

عشر منه، ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام[١]، ومما كان ينشده البنا ويردده:

هذا الحبيب مع الأصحاب قد حضرا و سامح الكل فيما قد مضى وجرى[٢]

ولا شك أن ما تقدم يندرج تحت البدع ويصل إلى الشرك، كما في البيت الذي كان ينشده، فإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يسامح الكل ويغفر، فما المعنى الذي يبقى لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟ هكذا غلو في مقام النبوة، وعدوان على مقام الربوبية.

٤- كان يقول: «فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية»[٣].

وهذا فيه هدم للولاء والبراء الذي هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

وأيضاً مما يندرج تحت ما تقدم ونتيجة له، وهو عدم تحقيق الولاء والبراء في الإسلام، فإن حسن البنا جعل أساس دعوته جمع الناس واستقطابهم، وإن اختلفت مذاهبهم وعقائدهم ومللهم وفق القاعدة التي نادى بها، وهي: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

وبمعناها ما يردده الآن بعض المتأثرين بدعوة الإخوان المسلمين من أبناء بلدنا، وهي قولهم: «نريد وحدة الصف لا وحدة الرأي».

وقد توسع البنا وأتباعه في هذه القاعدة حتى استوعبوا مناهج الفرق الضالة التي حذر منها أئمة الإسلام، بل شاركوا النصارى وأشركوهم في بعض اللجان.

قال الدكتور/ عبد الفتاح محمود:

«ولكي يدلل الإخوان المسلمون على عدم تعصبهم، أشركوا معهم في

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٥- ٢٦).

(٢) حسن البنا بأقلام تلامذته، ص (٧١ - ٧٢).

(٣) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٤٠٩).

عضوية اللجنة السياسية التابعة للإخوان المسلمين، والتي أنشئت في عام (١٩٤٨م) اثنين من النصارى، وهم وهيب دوس، وأخنوخ لويس أخنوخ»[١].

قال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد ناقداً للقاعدة المتقدمة:

«وكان اللائق بل المتعين على أتباع هذا الداعية بدلاً من التوسع في أعمال مقولته لتستوعب الفرق الضالة حتى لو كانت أشدها ضلالاً كالرافضة[٢]، أن يعنوا بتطبيق قاعدة الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة فيه التي لا مجال أن يعذر أهل الزيغ والضلال فيما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة»[٣].

وقد يقول قائل بأن مقصد حسن البنا والإخوان بعده - بهذه القاعدة- هو الخلاف في الفروع لا في الاصول.

والجواب: أنهم لم يقيدوا ذلك لا في مؤلفاتهم ولا في واقعهم العملي، بل أفعالهم وأقوالهم تدل على أنهم يعذرون المخالف حتى في العقيدة كما تقدم.

٦- ويزيد ذلك وضوحاً أن البنا قرر في ركن الفهم من أركان بيعته أن البدعة الاضافية والتركية خلاف فقهي لكل فيه رأيه[٤].

---

(١) تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص (٢٣).

(٢) كان البنا عضواً في هيئة التقريب بين الرافضة والسنة، بينما كان الشيخ محب الدين الخطيب يحذر المسلمين من فكر الشيعة وألاعيبهم.

(٣) زجر المتهاون، ص (٧- ٩)، ولمعرفة الضرر المترتب على التوسع في هذه القاعدة، وأن عمل الصحابة على خلافها، انظر: كتاب زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون، تأليف الدكتور / حمد إبراهيم العثمان، مراجعة الشيخ العلامة صالح الفوزان، وتقديم العلامة الشيخ عبد المحسن العباد.

(٤) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٣٥٨).

وهذا مصادم لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**»[١].

٧- وأيضاً هو - أعني البنا - قال عن دعوته، دعوة الإخوان المسلمين: إنها دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة جماعية»[٢].

وهذا يقصد به جمع أكبر عدد من الأتباع مع اختلافهم العقدي والمنهجي، وهذا على حساب المنهج السليم، ويلزم منه التفريط بأصول عقدية وضوابط شرعية، إذ أن قوة الدعوة وسلامتها تكمن في المحافظة على صحة عقيدتها وسلامة منهجها أكثر مما تكمن في كثرة الأتباع، ولا ينفع الاجتماع أو وحدة الصف على خلاف العقيدة الصحيحة.

٨- ثم نجد أن البنا في باب أسماء الله وصفاته وقع في أخطاء كبيرة:

١- حيث قال: «وردت في القرآن الكريم آيات، وفي السنة المطهرة أحاديث توهم بظاهرها مشابهة الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى لخلقه في بعض صفاتهم، نورد بعضها على سبيل المثال...»[٣]، ثم أورد ما يظنه أمثلة لذلك.

فهل هناك آيات وأحاديث توهم بظاهرها مشابهة الحق تعالى لخلقه؟، إن نسبة الوهم للقرآن والسنة التي تفسره من الأمور الخطيرة، إذ يلزم منه أن القرآن تضمن ما يوهم الكفر، إذ أن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر، وهذا نتيجة للخلط بين قضية المحكم والمتشابه في القرآن، والصفات ليست من المتشابه.

٢- أنه قال عن السلف: «أما السلف فقالوا: نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهم

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٢٦) وأبو داود (٥/ ١٣)، وابن ماجة (١/ ١٥) والدارمي (١/ ٧٥) وغيرهم، وهو حديث صحيح.

(٢) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (١٢٢).

(٣) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤٠٨).

يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب . . .الخ وكل ذلك بمكان لا ندركها، وتترك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الإحاطة بعلمها، لا سيما وقد نهينا عن ذلك»[١].

ثم قال بعد ذلك: «أما الخلف فقد قالوا: إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يراد بها ظاهرها، وعلى ذلك فهي مجازات لا مانع من تأويلها، فأخذوا يؤلون الوجه بالذات، واليد بالقدرة، وما إلى ذلك هرباً من التشبيه»[٢].

ثم قال بعد ما ذكر جملة من تأويلات الخلف:

«ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلاف بين الطريقين لا تحتمل شيئاً من هذا الشأن لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو، وأنّ البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة، هي التفويض لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[٣].

إلى أن يقول: «وخلاصة البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف عليه بين الخلق، وهو تأويل في الجملة. . .»[٤].

وأنا لست هنا بصدد مناقشته في هذه الأمور التي خالف فيها معتقد السلف، وإنما أشير إشارة إلى أهم الأخطاء في كلامه المتقدم:

- إن قوله: «أما السلف فقالوا: نؤمن بهذه الآيات كما وردت. .»الخ ما قال، هذا القول لا يصح نسبته إلى السلف، ولا ينطبق على عقيدتهم، والذي أخذ به السلف هو الإيمان بكل ما جاء في الكتاب على ظاهره الصحيح، وما

(١) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٤).
(٢) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٦).
(٣) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٧).
(٤) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٧).

ورد من قولهم (أمروها كما جاءت)، فمقصودهم بلا تأويل يخرجها عن ظاهرها أو يعطل معانيها.

وما نقله البَنَّا على أنه اعتقاد السلف هو عين قول المفوضة الذين يفوضون معاني نصوص الصفات، وهو التفويض الذي يستلزم تجهيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعاني هذه الصفات، وتجهيل صحابته بهذه المعاني كذلك، خلافاً لمنهج السلف الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات أو أثبته له رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعان معلومه، وإنما يفوضون في الكيفية[١].

وتجهيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته بهذه النصوص مستلزم بالتالي الطعن في هذا الدين، وذلك ما حمل علماء السلف على تشديد النكير على أهل التفويض وإبطال مقالتهم[٢].

فما صوّره البَنَّا وظنه مذهب السلف ليس صحيحاً، وإنما هو مذهب المفوضة، فالبنا ينسب للسلف أنهم يؤمنون بآيات الصفات كما وردت، ثم يعود ليقول: إنهم يتركون بيان المقصود منها لله تعالى فيقع في التناقض، ثم يسوي بين مذهب السلف المشتمل على الإثبات على مراد الله ومراد رسوله، وبين مذهب الخلف المتضمن للتأويل، والذي هو نوع تحريف وإبطال للمعاني الصحيحة، والله المستعان، وما سبق يندرج تحت المخالفة للسنة[٣].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (٦/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، (٦/ ٣٥، ٣٤).

(٣) فمن كانت هذه بعض أخطائه في العقيدة، ومخالفته للسنة في ذلك كيف يصح وصف دعوته بأنها سلفية، وكيف يصلح أن يكون إماماً يقتدى به؟ في الواقع أنه لا يصفه بالإمامة في الدين إلا جاهل أو صاحب هوى.

ثانياً: دعوته للخروج وإرادته الحكم:

حيث قال في رسالته للشباب: «نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة، ولا نعترف بالأحزاب السياسية، ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي، فمصر وسوريا والعراق والحجاز وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى إلى تحريره وإنقاذه وضم أجزائه بعضها إلى بعض»[(١)].

وذكر في الرسالة للمؤتمر السادس المنعقد في عام (١٩٤١م) عن غاية الإخوان المسلمين أنهم يعملون لغايتين:

الأولى: المساهمة في الخيرالعام.

الثانية: إصلاح يتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل[(٢)].

فأنت ترى أن مطالبته بالحكم، وكذلك أتباعه من بعده هو أساس دعوتهم، دون النظر في طريقة الوصول إليها أو العناية بإصلاح مجتمعاتهم وإقامة دعوة الإسلام على أساس التوحيد، فمن دقق النظر فيما كتبوه أو قالوه يرى أنهم يرون الوصول إلى الحكم عن طريق الديموقراطية والتعددية الحزبية أو العنف وحتى بالتحالف مع الأحزاب التي يرونها علمانية[(٣)].

قال حسن البنا: «إنّ الباحث ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى استمداد السلطة من الأمة، وعلى مسؤولية الحكام أمام الشعب، ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من

(١) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (١٧٧).

(٢) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٢٠٤- ٢٠٥).

(٣) المجلة السلفية، العدد السابع، مقال للشيخ سليم الهلالي، ص (٥٥)، وقد تقدّم بعض ما يدل على ذلك ص (١٠٠) وغيرها.

السلطات، هذه الأصول كلها تتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم، ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم الإسلامي كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاماً»[١].

ثم إن أتباع حسن البنا تابعوه في ذلك، وجاهروا بالدعوة إلى النظم الوضعية، قال فريد عبد الخالق: «إننا نريد تحقيق الديموقراطية وعودة الحياة النيابية، والديموقراطية لا بديل لها»[٢].

وقال: «وتغيير مسار المجتمعات لا يمكن أن يتم إلا في جو من الحرية والديموقراطية يسمحان بازدهار المفاهيم الصحيحة»[٣].

وقال يوسف القرضاوي: «والواجب على الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة أن تقف أبداً في وجه الحكم الفردي الديكتاتوري، والاستبداد السياسي، والطغيان على حقوق الشعوب، وأن تكون دائماً في صف الحرية السياسية المتمثلة في الديموقراطية الصحيحة غير الزائفة»[٤].

وقال الهضيبي - خليفة البنا -: «إن الشيوعية لا تقاوم بالقوة ولا بالقوانين، وأنه لا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر، وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التي سلكها»[٥].

وقد طبق البَنَّا ذلك عملياً؛ فَرَشَّح نفسه للبرلمان مرتين.

فهل يجهل الإخوان المسلمون مدى مخالفة الديموقراطية بمفهومها لدى

(١) حسن البنا مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، ص (٦٠).
(٢) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (٣/ ٢٧).
(٣) المرجع السابق، (٣/ ٢٨)
(٤) أولويات الحركة الإسلامية، ص (١٥٦).
(٥) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (٣/ ١١٠).

أصحابها للإسلام؟ وهل يجهلون مخالفة الحكم الدستوري أيضاً للإسلام؟ أم أنهم لا يجهلون ذلك، وأرادوا الدخول فيه من أجل مزاحمة الحاكم الموجود؟ وهل هذه الغاية تبرر لهم ذلك؟

إن العملية الدستورية تقوم أصلاً على إرجاع السلطان - الحاكمية - إلى الأمة إذ تعتبرها مصدراً للسلطات، وتعمل من خلال الاستفتاء على إخراج رأي الأكثرية باعتبارها ممثلاً لرأي الأمة، بصرف النظر عن الدين والأمانة والعدالة وغيرها من الضوابط المعتبرة في أهل الشورى في الإسلام، والدول التي تتبع هذا النظام دول لا دينية، تفصل الدولة عن الدين؛ فلا تجعل له أي دور في توجيه وسياسة الأمة، فالنظام البرلماني في أصوله ومضامينه ونتائجه إنما ينتمي إلى نظام لا ديني يجحد سلطة الدين ابتداءً، ووسائل العمل الإسلامي لابد أن تكون إسلامية بعيده عن الميكافيلية وألاعيبها وتبريراتها، وشرف الغاية يفرض بالتالي إسلامية الوسيلة ونصاعتها، ولا يمكن الفصل بين الغاية والوسيلة»[١].

إن ما قاله بعض قادة الإخوان المسلمين، ونادى به فيما يتعلق بالحكم الدستوري، وأنهم لا يعدلون به نظاماً، ومناداتهم بالديموقراطية وتشبيه ذلك بالإسلام إنما يدخل فيما يسميه العلماء (الشرع المبدّل) وليس الشرع المنـزَّل، وهذا يتنافى مع المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيقها، فكيف يطالبون الناس حكاماً ومحكومين بالعمل بالشرع وتطبيقه وهم يخالفونه في جوانب كثيرة في العقيدة وفي الحكم، ثم إنهم من أجل تحقيق الوصول إلى الحكم عقدوا أحلافاً مع أحزاب علمانية في بعض البلدان العربية، بل لا مانع في دعوتهم من التحالف مع العلمانية لتحقيق أغراضهم[٢].

(١) نظرات في مناهج الإخوان المسلمين، ص (٩٤).
(٢) كما تقدّم في نقد كتاب الثوابت والمتغيرات.

مما يدل على أن دعوتهم حزبية سياسية، وأن الشعارات التي ينادون بها مثل قاعدة «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، هذه القاعدة مع ما فيها من مخالفة، فإنهم لا يطبقونها مع من يخالفهم في توجههم لا سيما مع أهل السنة السائرين على منهج السلف فضلاً عمن يطعنون فيه من الأحزاب والحكام، وإنما المقصود بها من يتعاون ويرضى بتنظيمهم ويسكت عن نقدهم.

يقول أحد منظري جماعة الإخوان المسلمين وهو جاسم المهلهل، يقول: «بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب، ومن أشد المسلمين حماساً وأخشعهم في الصلاة»[(١)].

إذاً فالمسالة واضحة، إنها حزبية سياسية متسترة بالدين، ولذلك فهم مع دعواهم العريضة فَهْمهم للواقع وللسياسة، فهم دائماً طليعة للفشل السياسي حتى اليوم، فشلوا في سوريا، وفي مصر، وفي أفغانستان، وفي الجزائر، وسيفشلون - إن شاء الله - في السعودية - حرسها الله -، لأنهم لم يبنوا دعوتهم على ما بنى عليه الأنبياء دعوتهم، وهي الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله، والتحذير من الشرك.

ولم يسلكوا ما سلكه الصحابة - رضوان الله عليهم - ولم يتمثلوا عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع أمورهم، وإنما أخذوا من هذه العقيدة ما رأوا أنه يناسب حالهم ويخدم مصالحهم[(٢)]، وساروا في كثير من دعواتهم ونظرهم

---

(١) كتاب للدعاة فقط، ص (١٢٢).

(٢) فها هو عمر التلمساني المرشد الثاني للإخوان المسلمين، قال في كتابه شهيد المحراب، ص (١٢٦): «. . . ولذا أرى أني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر حياً وميتاً لمن جاء قاصداً رحابه الكريم».
=

للحكم على وفق ما يسميه العلماء الشرع المبدّل، والله أعلم.

٢- أبو الأعلى المودودي

أولاً: الخروج على المنهج الذي رسمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

قال في كتابه (تفهيمات) ص (١٢) مستنبطاً من قول الله تعالى إخباراً عن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ ... الآية: «إنّ هذه لم تكن مطالبة لمنصب وزير المالية فقط، بل إنها كانت مطالبة للدكتاتورية، ونتيجة لذلك كان وضع سيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشبه جداً وضع موسوليني في إيطاليا الآن».

وهذا انتقاص لنبي من أنبياء الله وهو يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ويقول في كتابه (واجب الشباب)[١] في معرض كلامه عن العلماء وبعدهم عن السياسة، قال: «إن مهمتهم في حياتنا الاجتماعية المعاصرة لا تعدو وظيفة الفرملة في جهاز السيارة، حيث يحولون إلى حد ما دون سرعة الحياة الاجتماعية».

ثانياً: الخروج على ولاة الأمر، والمناداة بالانقلابات والثورات:

قال في كتاب: (تذكرة دعاة الإسلام)[٢]:

«ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة، الذين ملؤوا الأرض فساداً،

= ويقول: «فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامات الأولياء، واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة، والدعاء فيها عند الشدائد» شهيد المحراب، ص (٢٣١).

(١) ص (١٥- ١٦).

(٢) ص (١٢).

وأن تنزع هذه الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويدينون دين الحق، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً»ا.هـ.

ويقول أيضاً في (الأسس الأخلاقية)[١]: «غاية الدين الحقيقية إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة».

فأنت ترى منادة المودودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإحداث الانقلاب من أجل الوصول إلى الحكم، وانتزاعه من الظلمة، وجعل غاية الدين إقامة نظام الإمامة.

ومعلوم أن هذا المنهج وهذه الطريقة التي ينادي بها المودودي ليست هي طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمسألة المسائل عند جميع الأنبياء هي التوحيد والإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

هذه هي مسألة المسائل، ومن أجلها دار الصراع بين الأنبياء والأمم الضالة، وأن غاية الدين الحقيقة، والغاية من خلق الجن والأنس، والغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب، هي عبادة الله، وإخلاص الدين له، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومثل هذه المسالك التي نادى بها المودودي وغيره من الحركيين السياسيين تفسد أكثر مما تصلح، لمخالفتها لمنهج الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

---

(١) ص (٢٢٠).

وجاء في كتاب (الشقيقان المودودي والخميني)[١]:

قول المودودي: «وثورة الخميني ثورة إسلامية، والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات».

كيف ينادي بهذا؟ مع أنه من المعلوم أنّ هذه الدعوة، وهذه الثورة تهدم الإسلام أصوله وفروعه، وهذا دليل على عدم معرفة السنة من البدعة والحق من الباطل، والضلال من الهدى عند المودودي، وإلا لما طالب الحركات الإسلامية بتأييد هذه الثورة، ولكن القوم مولعون بالسياسة، فيهون عندهم من أجلها كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- سيد قطب فكره وبعض ردود العلماء عليه:

١- تفسير كلام الله بالموسيقى والأنغام والأناشيد:

قال سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) الطبعة الخامسة والعشرون (١٤١٧هـ) عند تفسيره لسورة النجم (٦/ ٣٤٠٤): «هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي، كما يسري في إيقاع فواصلها المقفاة».

وقال في تفسير سورة النازعات[٢]: «يسوقه في إيقاع موسيقي»، ثم قال بعد ذلك: «فيهدأ الإيقاع الموسيقي».

وقال سيد قطب في خاتمة كتابه (التصوير الفني في القرآن) ص (٢٥٥): «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة، وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة

---

(١) ص (٣).

(٢) (٦/ ٣٨٨١).

دينية تغل فكري عن الفهم»[١].

٢- القول بخلق القرآن :

قال في الظلال[٢] متحدثاً عن القرآن: «والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس».

وقال في ظلاله (٥/ ٢٧١٩) بعد أن تكلم عن الحروف المقطعة: «ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الإنسان».

---

(١) وقد ردّ الشيخ ربيع المدخلي على أخطاء سيد قطب وضلالاته في كتاب أسماه (نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب)، فقال: «فماذا يبقى لهذه المقدسات إذا تناولتها البحوث الفنية والعلمية تناولاً طليقاً من كل قيد؟ وكيف لا تصدم المقدسات، ولا تخدش مكانتها، وقد انفلت في هذه البحوث من كل قيد؛ فلا عقيدة تمسكه، وتقيّده، ولا أدب، ولا احترام، ولا إجلال، ولا هيبة لهذه المقدسات»، ويقول الشيخ ربيع معلقاً على قول سيد: «وأنا أجهر بهذه الحقيقة. . .»الخ، يقول الشيخ: «ووالله لقد فعل الأفاعيل بسبب هذا الانفلات مهما زعم لنفسه من المزاعم، ومهما زعم له غيره من المزاعم أيضاً، إن عقيدة الإسلام لا تغل العقل والفكر بل هي:

١- تبصر العقل وتوجهه التوجيه الصحيح إلى احترام الحق وتحري الحقائق والبحث عنها بتثبت وأناة وأدب.

٢- وتفك أسره من الخرافات والتقاليد والعقائد الفاسدة التي وقع فيها سيد قطب وأمثاله.

٣- وتحطم أغلالها وآصارها.

٤- وتضع للعقل حدوداً لا يتعداها بخلاف ما يتصوره سيد قطب عنها» ا.هـ ص (٤٢٣) والكتاب مفيد جداً، وقد رد على أخطاء سيد وذكر أنه - أعني سيداً - بنى هذا الكتاب على أصول فاسدة مدمرة، وهي :

١- قاعدة التصوير الفني، وما يتبعها، وما ينبع منها.

٢- اعتقاده أن الدين والفن صنوان.

(٢) (١/ ٣٨).

والقول بأن القرآن مصنوع هو مثل القول بأنّه مخلوق، وهو قول الجهمية.

٣- طعنه في نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال في كتابه التصوير الفني في القرآن[١]:

«لنأخذ موسى؛ إنه مثال للزعيم المندفع العصبي المزاج».

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز معلقاً على هذا الكلام: «الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة»[٢]، (من شريط أقوال العلماء في مؤلفات سيد قطب، تسجيلات منهاج السنة السمعية بالرياض).

٤- طعنه في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال في كتابه (العدالة الاجتماعية)[٣]:

«ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهما»، نسأل الله العافية.

فإذا لم يرضَ عن خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وهي خلافة راشدة- فعن أي خلافة يرضى؟ وأي حكم يريد هو وأتباعه يُحكم به المسلمون؟؟

قال في كتب وشخصيات[٤]:

«إن معاوية وزميله عَمْراً لم يغلبا علياً؛ لأنهما أعرف منه بذخائر النفوس، وأخبر منه بتصرف نافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل

(١) ص (٢٠٠).
(٢) الحكم على المقال وليس على المعين.
(٣) ص (٢٠٦).
(٤) ص (٢٤٢).

الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب، والغش، والخديعة، والنفاق، والرشوة، وشراء الذمم، لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب أن ينجحا ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح».

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقاً على هذا الكلام: «كلام قبيح، هذا كلام قبيح، سب لمعاوية، وسب لعمرو بن العاص»، وقال عن هذه الكتب: «ينبغي أن تمزق»، (من شريط: أقوال العلماء في مؤلفات سيد قطب، تسجيلات منهاج السنة في الرياض).

٥- القول بوحدة الوجود:

قال في الظلال عند تفسير سورة الإخلاص[١]:

«إنه أحدية الوجود فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر، فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية، وهي من ثم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعل لشيء أو فاعلاً في شيء في هذا الوجود أصلاً، وهذه عقيدة الضمير وتفسير للوجود أيضاً».

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رداً على سؤال عن تفسير الظلال في مجلة الدعوة عدد (١٥٩١) في (٩/ ١/ ١٤١٨هـ)، فكان في جوابه: «قرأت تفسيره لسورة الإخلاص، وقد قال قولاً عظيماً فيها مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة؛ حيث أن تفسيره لها يدل على أنه يقول بوحدة الوجود، وكذلك تفسيره للاستواء بأنه الهيمنة والسيطرة».

(١) ص (٦/ ٤٤٠٢).

٦- تفسيره الاستواء بالهيمنة:

قال في تفسير سورة طه[١] عند قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال: «وهو المهيمن على الكون كله»، ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، «والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء».

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقاً على كلامه: «معناه إنكار الاستواء المعروف، وهو العلو على العرش، وهذا باطل يدل على أنه مسكين ضائع في التفسير»[٢].

٧- وصفه الله سبحانه بالالتفات:

قال في الظلال[٣]:

«إن الله جل جلاله العظيم الجبار القهار المتكبر مالك الملك كله قد تكرم في عليائه فالتفت إلى هذه الخليقة المسماه بالإنسان».

والله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجوز أن يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٨- رده لأحاديث الآحاد في العقيدة:

قال في الظلال[٤]:

«وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن».

---

(١) (٤/ ٢٣٢٨).

(٢) من شريط: أقوال العلماء في مؤلفات سيد قطب، تسجيلات منهاج السنة في الرياض.

(٣) (٦/ ٣٩٣٦).

(٤) (٦/ ٤٠٨).

٩- تكفيره للمجتمعات الإسلامية، والتربية على الانقلابات:

١- قال في الظلال[١]:

«إنه ليس على وجه الأرض دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي»، ومعنى كلامه أن بلاد الحرمين التي تحكم شرع الله ليست دولة مسلمة.

٢- وقال في الظلال[٢]:

«إن المسلمين الآن لا يجاهدون، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون، إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج».

٣- وقال في الظلال[٣]:

«ولقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منه يردد على المآذن لا إله إلا الله»[٤].

٤- وقال أيضاً في الظلال[٥]:

«إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم».

٥- قال في العدالة الاجتماعية[٦]:

«وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير

---

(١) (٤/ ٢١٢٢).

(٢) (٣/ ١٦٣٤).

(٣) (٢/ ١٠٥٧).

(٤) فهو قد حكم بالردة حتى على من يرفع شهادة أن لا إله إلا الله.

(٥) (٤/ ٢٠٠٩).

(٦) ص (١٦٠).

والشر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كان فورة من روح الإسلام»، هكذا وصف الخوارج الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦- قال في الظلال[١] :

«ولعله تبيّن مما أسلفنا أنّ غاية الجهاد[٢] في الإسلام، هي هدم النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسه على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها، وهذه المهمة؛ مهمة إحداث انقلاب[٣] إسلامي عام غير منحصر في قطر دون قطر[٤]، بل مما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه، أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها»[٥].

٧- وقال في العدالة الاجتماعية[٦]:

«لابد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس، من خلال هذه الحياة

(١) (٣/ ١٤٥١)

(٢) الغاية من الجهاد إعلاء كلمة الله، كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة.

(٣) وهذه طريقة الثورات.

(٤) هذا تأكيد لما سبق من تكفيره لجميع المسلمين بدون استثناء، حتى من يطبق الشريعة لم يستثنه؛ لأنه يريد شيئاً في ذهنه، ولا يمكن تطبيقه في الواقع العملي، فحتى خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي خلافة راشدة لم يرض عنها، فأي شيء يرضيه هو وأتباعه؟، لا شك أنهم لا يرضون إلا أن يكونوا هم الحكام دون غيرهم من الناس.

(٥) وهذه دعوة للشباب المسلم في كل بلد أن يثوروا على حكامهم، ويخرجوا عليهم وعلى مجتمعاتهم، والنتيجة من هذا الفكر هي الفوضى والدمار، كما يشاهد الآن في بعض بلاد المسلمين.

(٦) ص (٢١٠).

التاريخية الإسلامية، وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والتطورات والانقلابات، ولا بد من ربط هذا كله بطبيعة العقيدة الإسلامية، وما فيها من روح ثورية».

هكذا يزكي زعيم جماعات الإخوان المسلمين قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويحرض على إثارة الفتن وسفك الدماء في بلاد الإسلام، وينسب ذلك إلى الإسلام، وسلفه في ذلك هم الخوارج الضلال فأي جماعة هذه؟!

ونتيجة لما تقدم، فإن سيد قطب وضع خطة للاغتيالات ونسف المنشآت، كما في كتابه (لماذا أعدموني)[١]، فبعد كلام طويل يقول:

«وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس في مقدمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف المنشآت التي تشن حركة مواصلات القاهرة، لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري».

فأولاً: إرهاب فكري، ثم ثانياً: تلاه إرهاب حسي؛ مما يدل دلالة واضحة أن بعض كتب سيد قطب قد وضعت الأساس للفكر الخارجي الإرهابي التفجيري التدميري في هذا العصر، وأنها خلاصة لما كان يعتقده الخوارج قديماً، وأنه ما لم يُتنبه لهذا الفكر الخطير المبثوث في كتب هذا الرجل وأتباعه، فإن عواقبه على المسلمين ستكون وخيمة[٢].

---

(١) ص (٥٥).

(٢) وقد رد علماء السنة في هذا العصر على ضلالات سيد قطب، ومن هؤلاء العلماء: ابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والفوزان، واللحيدان، والغديان، والعباد، وحماد الأنصاري، وأحمد النجمي، وربيع المدخلي، وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وعبد الله محمد الدويش، وأحمد النجمي، وزيد المدخلي، وغيرهم. ينظر: كتاب براءة علماء الأمة من تزكية أهل =

وقد ظهرت بعض آثار ذلك فيما نراه في بلادنا السعودية - حرسها الله - وفي بعـض بلاد المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠- جعله الخلاف في قضية الربوبية :

قال في الظلال عند تفسيره سورة هود[١] :

«فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف !! إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات، وهي التي كانت تواجهها الرسالة الأخيرة»[٢].

١١- الإسلام في نظره يصوغ مزيجاً من النصرانية والشيوعية :

قال في كتابه المعركة[٣]:

«ولابد للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي

= البدعة والمذمة) جمع عصام السناني، راجعه الشيخ صالح الفوزان، وقرأه وأثنى عليه الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ألّف الشيخ ربيع المدخلي خمسة كتب في الرد على سيد وهي :

١ - أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب.

٢ - مطاعن سيد قطب في الصحابة.

٣- الحد الفاصل بين الحق والباطل.

٤ - العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم.

٥- نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، فكيف يوصف هذا الكاتب بأنه من الأئمة المجتهدين كما في ص (٢٠) من مقرر الأدب للسنة الثالثة الثانوية لجميع الأقسام طبعة (١٤٢٤هـ)، ويوصف كما في ص (٢١٠) من الكتاب المذكور بأنه اعتمد على القرآن والسنة المصدرين الأساسيين لدين الإسلام، وأنّ كتبه أسهمت في بعث الصحوة والتجديد الإسلامي. . .».

(١) (٤/ ١٨٤٦).

(٢) ثم يأتي أحد المتأثرين به من أبناء هذه البلاد، فيقول منكراً من القول وزوراً، وهو قوله : «إنه لم يتكلم أحد في معنى شهادة أن لا إله إلا الله مثل سيد قطب»، أو كلاماً نحو هذا.

(٣) ص (٦١).

تصوغ من المسيحية والشيوعية معاً مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما جميعاً، ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال».

وقد سُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن هذا الكلام فقال :

«نقول له : إن المسيحية دين مبدل مغير من جهة أحبارهم ورهبانهم، والشيوعية دين باطل لا أصل له في الأديان السماوية، والدين الإسلامي دين من الله عَزَّوَجَلَّ منزل من عنده لم يبدل ولله الحمد، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر : ٩]، ومن قال : إن الإسلام مزيج من هذا وهذا فهو إما جاهل بالإسلام، وإما مغرور بما عليه الأمم الكافرة من النصارى والشيوعيين»[(١)].

١٢- القول بحرية العقيدة :

قال في كتابه دراسات إسلامية[(٢)]:

«سواء كانت ثورة على طاغوت التعصب الديني، وذلك من إعلان حرية الاعتقاد في صورتها الكبرى، قال تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس : ٩٩] لقد تحطم طاغوت التعصب الديني لتحل محله السماحة المطلقة، بل لتصبح حماية حرية العقيدة وحرية العبادة واجباً مفروضاً على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن الإسلامي».

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نسمع ونقرأ كلمة حرية

---

(١) كتاب (العواصم) للشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله-، ص(٢٢).
(٢) ص (١٣).

الفكر؛ وهي دعوى إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب:

«تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحداً يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كافر بالله عَزَّوَجَلَّ يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله»[١].

١٣- العبادة عنده ليست وظيفة حياة:

قال في معركة الإسلام والرأسمالية[٢]:

«والإسلام عدو التبطل باسم العبادة والتدين؛ فالعبادة ليست وظيفة حياة، وليس لها إلا وقتها المعلوم».

١٤- وشهد شاهد من أهله:

١- يشهد على سيد قطب تكفيره المجتمعات الإسلامية، الدكتور يوسف القرضاوي (الإخواني) في كتابه (أولويات الحركة الإسلامية)[٣] حيث قال:

«في هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره الذي تنضح بتكفير المجتمع...، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة».

٢- وقال فريد عبد الخالق، أحد قادة الإخوان في كتابه (الإخوان المسلمين في ميزان الحق)[٤]:

---

(١) من مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين (٣/ ٩٩)
(٢) ص (٥٢).
(٣) ص (١١٠).
(٤) ص (١١٥).

«إن نشأة فكرة التكفير بدأت بين بعض شباب الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينيات وبداية الستينات، وأنهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية، وأنه قد كفر حكامه الذين تنكروا لحاكمية الله بعد الحكم بما أنزل الله ومحكوميهم إذا رضوا بذلك».

٣- كما قال علي عشماوي في كتابه (التاريخ السري للإخوان المسلمين)[١]:

«وجاءني أحد الإخوان وقال لي: إنه سوف يرفض أكل ذبيحة المسلمين الموجودة حالياً، فذهبت إلى سيد قطب وسألته عن ذلك، فقال: دعهم يأكلونها، ويعتبرونها ذبيحة أهل الكتاب، فعلى الأقل المسلمون اليوم هم أهل كتاب!!».

٤- وقال علي عشماوي في الكتاب نفسه[٢]، وهو يصف زيارته لسيد قطب ومقابلته له: «وجاء وقت صلاة الجمعة، فقلت لسيد قطب: دعنا نقم ونصلي، وكانت المفاجأة أن علمت - ولأول مرة - أنه لا يصلي الجمعة، وقال: إنه يرى أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة».

٤ - محمد قطب:

ما يقال عن سيد قطب يقال عن أخيه محمد؛ فهو الذي تولى نشر كتب سيد قطب وطبعها بالعشرات، مع عدم التحذير عن أي شيء مما حوته من أخطاء، مما يدل دلالة واضحة عن رضاه بمضمونها بل ونشر ذلك، لكن محمد قطب لم يكن صريحاً مثل أخيه، بل كثيراً ما يُؤوّل، ويجمل في

(١) ص(٨٠).
(٢) ص (١١٢).

كلامه، ويتجنب التفصيل في طرح ما يراه، وهو من كبار منظري الإخوان القطبيين، وكتابه واقعنا المعاصر خير شاهد على ذلك[١]، فتجد أنه بعدما أشاد بدعوة حسن البنا وقوتها وانتشارها ينتقد الاستعجال فيها، وليس في منهجها، فيقول: «كان الثغرة الأولى هي الاستعجال في التجميع الجماهيري قبل موعده الذي ينبغي أن يجيء فيه»[٢].

وكان يركز على التربية حتى تتكون القاعدة، حيث يقول: «أما الذين يسألون إلى متى نظل نربي دون أن نعمل؟ فلا نستطيع أن نعطيهم موعداً محددًا، فنقول لهم: عشر سنوات من الآن، فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح، وإنما نستطيع أن نقول لهم: نظل نربي حتى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول...»[٣].

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما مقصوده بالعمل؟ أليست التربية عملًا؟

والجواب: إنه يظهر أنه يريد عملاً خاصاً؟ وليس ثمة إلا الخروج على الأنظمة الحاكمة وأهلها.

---

(١) فقد حوى الكثير من البلايا والطامات.

(٢) واقعنا المعاصر، ص (١١).

(٣) المرجع السابق، ص (٤٨٦). وانظر: كتابه (لا إله إلا الله عقيدة ومنهجاً) ص (١٧٤) كيف غمز في علماء الكتاب والسنة، واستهجن عمل من يقوم بتحقيق المخطوطات؛ لأنه لا يريد أن يضيع وقته في مواجهة الفرق العقدية القديمة بزعم إندراسها، ومع ذلك أصر على الرد على المرجئة، وهي فرقة قديمة، وأثر على بعض تلاميذه في المملكة من أجل أن ينفر الشباب السلفي من علمائهم، بسبب أن علماء هذه البلاد يفصلون في قضية الحكم بغير ما أنزل الله، ولا يكفرون مطلقاً، ويرون أن التكفير لا يوقع على المعين حتى تتم فيه الشروط الموجبة للتكفير وتنتفي الموانع، من هنا صار هو وأتباعه المتأثرون بفكره وفكر أخيه يطلقون على من يقول بالتفصيل من أهل العلم -التفصيل الذي تقتضيه الأدلة- صاروا يطلقون عليهم صفة الإرجاء تنفيراً منهم، فليتنبه لهذا الأمر.

٥- صلاح الصاوي

صاحب (كتاب جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها)، وصاحب كتاب (الثوابت والمتغيرات)، وهو على منهج سيد قطب، يقول الصاوي:

«أما القطبيون: فقد قام منهجهم ابتداءً على بلورة قضية التشريع، وبيان صلتها بالدين، وبيان أن الخلل الذي يغشى أنظمة الحكم في مجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد، معلوم أن الكتب التي تمثل هذا الاتجاه وتعبر عن منهجه هي كتب سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجال الدعوة والمخاطبة العامة، وكتاب (حد الإسلام) للأستاذ عبد المجيد الشاذلي في مجال التاصيل والتنظير»[١].

وقد تقدّم بسط الكلام على بعض طروحاته، وأفكاره التي مجّد فيها الحركات التي يسميها الجهادية، ونال فيها من أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف، حتى وإن زعم أنه من أهل السنة والجماعة، ويتكلم بلسان حالهم ومقالهم، تقدّم الكلام على ذلك في نقد بعض مؤلفاته، ومنها (الثوابت والمتغيرات).

ويعتبر صلاح الصاوي من منظري جماعة الإخوان المسلمين القطبيين مثله مثل محمد قطب، ويميل في طرحه إلى العموم والإجمال، وأخطر ما في كتاباته هو ومحمد سرور، ومحمد أحمد الراشد، وعبد الرحمن عبد الخالق أنهم يطرحونها للناس باسم أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، وباسم السنة، وأحياناً باسم منهج السلف الصالح، مما جعل كتاباتهم تروج وينخدع بها من لا علم له عنده بالمنهج الصحيح للسلف الصالح.

---

(١) مدى شرعية الانتماء إلى الاحزاب والجماعات الإسلامية، ص (١٧١).

٦ - محمد أحمد الراشد[١]:

صاحب المؤلفات التالية :

العوائق والرقائق، والمنطلق والمسار، وصناعة الحياة، وسلسلة رسائل العين.

ومن أقواله: «الدعوة دار لها داخل وظاهر، فالظاهر يسع كل أمة محمد ﷺ، لكن الداخل وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء الأمناء فقط، لأنه موطن اتخاذ القرار واتخاذ الخطة والأسرار. . . إلخ كلامه»[٢] الذي يفيد التنظيم السري المدمر، ومثله ما ذكره في سلسلة رسائل العين، الرسالة الثانية، ص (٣٦، ٣٧، ٤٠)، وما ذكره في كتابه المسار، ص (١٤٥) حيث قال:

«فإن الناشئة هم المورد الرئيس للتوعية الصلبة؛ ولسنا نعني الصغير الذي يتعب، وإلا لتحولت الدعوة إلى رياض أطفال؛ وإنما هم الذين ناهزوا الحلم، ننتقي منهم العفيف المؤدب الاجتماعي المخالط الرياضي المتحرك المجد في دراسته، فتحبب لهم لزوم المساجد. . .، وتدعهم يتبارون في فرق ألعاب، وترحل بهم في الضواحي الخضراء؛ حتى إذا رشد أحدهم، وكان على أبواب الجامعة، وجدته داعية وافر العفة والحياء، دون هواجس تساورك نحوه» ا.هـ

ومحمد أحمد الراشد مثله مثل الصاوي، ومحمد قطب، وغيرهما من منظري الإخوان القطبيين، وما يقال عنهما يقال عنه، والرد على كتب

---

(١) هذا اسم حركي، وإلا فاسمه (عبد المنعم بن صالح العلي العزي)، عراقي الجنسية، كان يقيم في دولة الإمارات.

(٢) صناعة الحياة، ص (١١٣).

الصاوي يغني عن الرد على كتب الراشد ؛ إذ أنها متفقة في معظم معانيها، وإن اختلفت أساليبها وكيفية طرحها.

٧- محمد سرور بن نايف زين العابدين

١- قال في مجلة السنة[١]، عدد (٢٦) سنة (١٤١٣هـ) حيث كفّر الحكام قاطبة بلا استثناء، قال: «من خلال هذه الفقرات المختارة يفهم القراء كثيراً مما يجري في عالمنا الإسلامي، هذا وللعبودية طبقات: الطبقة الأولى: يتربع على عرشها رئيس الولايات المتحدة (بوش)، وقد يكون غداً كلينتون، والطبقة الثانية: هي طبقة الحكام في البلدان العربية، وهؤلاء يعتقدون أن نفعهم وضرهم بيد بوش ؛ ولهذا فهم يحجون إليه، ويقدمون إليه النذور والقرابين، والطبقة الثالثة: حاشية الحكام العرب؛ من الوزراء. ووكلاء الوزارات، وقادة الجيش، والمستشارون؛ فهؤلاء ينافقون لأسيادهم ويزينون لهم كل باطل دون حياء ولا خجل ولا مروءة، والطبقة الرابعة والخامسة والسادسة: كبار الموظفين عند الوزراء؛ وهؤلاء يعلمون أن الشرط الأول من أجل أن يترفعوا : النفاق والذل وتنفيذ كل أمر يصدر إليهم»ا.هـ

يريد أن يقول: إنهم كفار؛ فلا سمع لهم ولا طاعة، ولكن لو قُلِبَ الأمر عليه، وقيل: ما ذكرته من تعلق حكام البلاد العربية ببوش ينطبق عليك أكثر، لتعلقك بحاكم بريطانيا «بلير» ومن كان قبله، ألست أنت وأعوانك وأمثالك تعيشون تحت كنفهم، وتستظلون برايتهم، وتتحاكمون إلى أنظمتهم وتستعينون بهم؟.

(١) التي تقوم بنشر فكر التكفير، وتأصيل منهج الخوارج، وحري بأن تسمى (البدعة)؛ لأنها تحارب في الحقيقة السنة وأهلها - لا سيما في بلد السنة - المملكة العربية السعودية - حرسها الله -.

٢- ثم خص حكام البلاد السعودية بمزيد من التكفير حيث قال في مجلة السنة[١]: «قال صاحبي: ما رأيك في هذا القول (لو سلم أبناء عبد العزيز من البطانة العلمانية التي تحيط بهم لما كانت الأمور بهذا السوء)، قلت: يا أبا . . . هم أخبث من بطانتهم العلمانية، فلماذا يقع اختيارهم على الفاسدين والعلمانيين والمنافقين دون غيرهم؛ ولهذا فإنني أقول: إن أولاد عبد العزيز أخبث من بطانتهم؛ لأن عقائد الطرفين واحدة» ا.هـ.

ومن المعلوم أن العلمانية كفر، والعلمانيين كفار عند هؤلاء بدون النظر في هذا الحكم إلى وجود الشروط وانتفاء الموانع، فإذا كان ذلك كذلك، فإن من كان أخبث من العلمانيين فهو أشد كفراً منهم، وهو يريد أن يؤلب الناس للخروج عليهم.

ولكن السؤال: كيف خفي هذا الكفر على العلماء الكبار الذين بايعوا أولئك الحكام، وسمعوا لهم، وأطاعوهم في غير معصية الله، وتنبه له هذا المبتدع الذي يربض في بريطانيا؟

٣- ثم خص علماء البلاد السعودية بمزيد من التكفير أيضاً حيث قال[٢]: «لقد كان الرق في القديم بسيطاً؛ لأن للرقيق سيداً مباشراً، أما اليوم فالرق معقد، ولا ينقضي عجبي (تنبه) من الذين يتحدثون عن التوحيد، وهم عبيد عبيد عبيد عبيد العبيد، وسيدهم الأخير نصراني».

ليس هناك كلام أخبث، ولا أقل أدباً من مثل هذا الكلام الذي يدل على صدأ معدن قائله، فهو يقول «يتحدثون عن التوحيد»، أي أنهم ليسوا من أهله، وإنما هم متحدثون عنه، فلو كانوا موحدين ما كان سيدهم الأخير نصراني.

---

(١) عدد (٤٣) عام (١٤١٥هـ)، ص (٢٧-٢٩).

(٢) في مجلة السنة، العدد (٢٦).

قلت: وما ذكره محمد سرور عن حكام البلاد السعودية وعلمائها وتكفيره لهم لا يستغرب من مثله[١]، فهو مجنون (سيد قطب)، وقد طعن سيّده سيد قطب في نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وطعن في الصحابة، وخاصة عثمان، ووصف عَمْراً ومعاوية بالغش والكذب والخداع والنفاق، ولم يعترف بإسلام بني أمية، وكفر المجتمعات قاطبة كما تقدم النقل عنه، ومع ذلك يقول عنه محمد سرور: «لا أعرف كاتباً في العصر الحديث عرض مشكلات العصر كسيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد كان أميناً في عرضها، ووضع الحلول المناسبة لعلاجها، كان بعيداً عن الغلو، وكانت أدلته من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة...، إلى أن قال: «ولم يكن من المؤمنين بمنهج الخروج، وكتبه تشهد بذلك».

ومحمد سرور لابد أن ينفي عن سيد الاتصاف بمنهج الخوراج؛ لأنه إذا ثبت ذلك على سيد فإنه ثابت على محمد سرور، فتبرئته لسيد من أجل أن يبرأ هو من منهج الخوارج، لكن سيد قطب قد يكون له بعض العذر[٢] وهو الجهل، كما ذكر العلماء الذين انتقدوا كتبه ومؤلفاته، ولكن ما عذر محمد

(١) من المعروف عن محمد سرور تكفيره لمرتكب الكبيرة، فقد قال في كتابه (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله) ص (١٨٥) قال عن قوم لوط: «لأن قومه لو استجابوا إلى دعوته إلى الإيمان بالله، وعدم الإشراك به لما كان لاستجابتهم له أي معنى، إذا لم يقلعوا عن عاداتهم الخبيثة التي اجتمعوا عليها..»، وهذا واضح في التزامه مذهب الخوارج.
ويقول في ص (١٥٩) وهو يتحدث عن اللواط: «ثمة أمر لابد من التنويه إليه، وهو أن كل نبي بعثه الله لهداية قومه وإصلاح ما فسد من أخلاقهم، وهذا يقتضي أن يتصدى النبي لعلاج ومواجهة أخطر المشكلات مهما كلفه من التضحيات، وهذا يخالف سلوك بعض الدعاة في عصرنا الذين يعالجون قضايا عفا عليها الزمن»، قال هذا من أجل التهوين من منهج السلف في التحذير من الشرك، ثم هو قد وصف كتب العقيدة بأنها جافة، وغير ذلك من الضلالات والعياذ بالله.
(٢) في عدم القول بتكفيره.

سرور إلا إتباع الهوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

والغريب العجيب أن محمد سرور يدّعي هو وأشياعه أنهم على منهج أهل السنة والجماعة، بل يدّعون أحياناً أنهم على منهج السلف، ومع ذلك حاربوا علماء السنة في هذا العصر أشد المحاربة، وفي الوقت نفسه لم نجد لهم موقفاً واحداً يرد أباطيل وضلالات سيد قطب، بل وجد منهم التمجيد له والثناء عليه كما تقدم!

فكيف تصح دعواهم بأنهم من أهل السنة والجماعة، ومن أتباع السلف وهم يهدمون عقيدة أهل السنة والجماعة، ويهدمون القواعد التي سار عليها علماء السلف؟.

٨- عبد الله ناصح علوان :

يقول في كتابه العقبات[١]:

«أن تعمل كل جماعة في مجال اختصاصها في تربية الجيل المسلم وتكوينه على أن يعملوا فيما اتفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه. . ، فهذه تدعو إلى تزكية النفوس، وأخرى تقوم بمهمة التثقيف والتعليم، وثالثة تخوض غمار العمل السياسي حتى يتمم بعضه بعضاً في تكوين الشخصية الإسلامية».

قلت: قد تقدم الكلام عن هذه القاعدة «العمل في المتفق عليه، والعذر في المختلف فيه».

ويقول في كتابه العقبات[٢]:

«فالتربية على الانضباط: هي إعطاء الولاء لقيادة الجماعة، وتنفيذ

(١) (١/ ٣١٢).
(٢) (٢/ ٤٨٤).

أوامرها، والتزام كل مايصدر عنها دون أن يكون في الشباب تردد، ودون أن يعتريهم فتور».

فجعل الولاء والانقياد للجماعة، وليس لولي الأمر.

ويقول في كتابه العقبات[١]:

«حين تبتلى الحركة الإسلامية بحاكم إرهابي لا ديني متسلط يعتقل الدعاة، تكون الخطة على الشكل الآتي:

٣- الاقتصار في تبليغ الدعوة على السر؛ وذلك بالدعوة الشخصية والاتصال الفردي.

٤- الانتماء الظاهري إلى الجماعات التي تعتني بالتربية الروحية، وتقصر دعوتها على تزكية النفوس.

٥- العمل الدائب، والسعي الحثيث؛ ليصل الداعية إلى استلام درس في مسجد أو خطبة في منبر أو التعليم في مدرسة». وهذه من الطرق التي يربون عليها الأتباع، وانظر النقول المتقدمة عنه في مبحث «الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة»، ففيها غنية عن التكرار.

٩- عبد الرحمن عبد الخالق:

قوله في تنبيهات وتعقيبات[٢]:

«. . . غير أنه قد قامت مجموعة أخرى من الذين اتخذوا لهم منهجاً في جمع ما يظنونه من أخطاء لكل عالم أو داعية أو طالب علم، ونشرها بين الناس من أجل تنفير الناس عنها، وتحذيرهم منه، وسموا منهجهم هذا

(١) (٢/ ٥٩٦).

(٢) ص (١١).

منهج أهل السنة في نقد الرجال».

قلت: وهذا انتقاد للمنهج الصحيح الذي سار عليه علماء السنة من قديم، وهو الرد على المبتدعة.

وقال في كتابه (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية)[١]:

«إن دولنا العربية والإسلامية بوجه عام لا ظل للشريعة فيها إلا في بعض ما سمي بالأحوال الشخصية، وأما المعاملات المالية، والقوانين السياسية، والقوانيين الدولية، فإن دولنا جميعها بلا استثناء خاضعة لتشريع الغرب والشرق، وكذلك قوانين الجرائم الخلقية، والحدود مستوردة مفتراة» . . . إلى آخر ما قال[٢].

وهذا تكفير لدول وشعوب، وتأليب على الخروج اتباعاً لمنهج سيد قطب؛ ولذا لم يستثن بلداً من البلدان الإسلامية مثله مثل سيد قطب.

قال في كتاب (الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي) ص (٣٢-٣٣) :

«وأما حكم التعدد للجماعات الإسلامية؛ فالحق أنه راجع لطبيعة الجماعات، وأعمالها، وظروف المجتمعات التي تعيش فيها، فالمصلحة الشرعية تحتم أحياناً التعدد في المجتمع الواحد، وتحتم أحياناً التوحد والاجتماع، وتجيزه أحياناً أخرى» ا.هـ

وهذا مخالف لما دلت عليه الأدلة من وجوب الاجتماع وترك الفرقة والاختلاف.

---

(١) ص (٧٢-٧٣).

(٢) ص (٧٨).

وقال في (خطوط رئيسية)[١] ساخراً من علماء السنة والتوحيد :

«واليوم للأسف نملك شيوخاً يفهمون قشور الإسلام على مستوى عصور قديمة، تغير بعدها نظام حياة الناس وطرائق معاملاتهم . . . ، وما قيمة عالم بالشريعة لو دعي إلى نداء الجهاد، وحمل السلاح يقول : ليس هذا من شأن رجال الشريعة، إننا نستطيع فقط الفتوى في الحلال والحرام والحيض والنفاس والطلاق؟ إننا نريد علماء على مستوى العصر علماً، وثقافة، وأدباً، وخلقاً، وشجاعة، وإقداماً، وفهماً لأساليب الكيد والدس على الإسلام، ولا نريد هذا الطابور من العلماء المحنطين الذين يعيشون بأجسادهم في عصرنا، ولكنهم يعيشون بعقولهم، وفتاواهم في غير عصورنا» .

ففي هذا الكلام رمي للإسلام بما ليس فيه، فالإسلام كله حق لا باطل فيه، وصدق لا كذب فيه، ولبّ لا قشور فيه، فكيف استجاز لنفسه أن يصف شيئاً من الإسلام بأنه قشور؟ ثم رمى بعد ذلك حملته من العلماء الربانيين بما ليس فيهم، فمن رمى الإسلام بما ليس فيه نصرة للحزبية وتعصباً لها لا يستغرب وصفه لحملة الإسلام بما ليس فيهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

١٠- يوسف القرضاوي :

١- قال في مجلة البعث الإسلامي[٢] في معرض كلامه عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال : «ولكنها لم تعرف بالتجديد والاجتهاد، لهذا سماها د/ محمد عمارة (السلفية النصوصية)؛ يقصد بالنصوصية : الحرفية في فهم النصوص . . . ، وقد يكون عذر هذه الحركة أنها نشأت في مجتمع بسيط بعيد عن معترك الحضارة تغلب عليه حياة البداوة».

---

(١) ص (٧٦-٨٧).

(٢) عدد (٣)، ص (٥٧).

قلت : فما الجديد الذي يريده القرضاوي في العقيدة والمنهج؟ أيريد تجديد الدين بمعنى هدم العقيدة، والعبادة، وترك ما كان عليه السلف الصالح من أهل القرون المفضلة ومن تبعهم؟.

إن هذا الكلام المقصود به بالدرجة الأولى انتقاص علماء السلف عموماً، والعلماء المعاصرين من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على وجه الخصوص؛ تمهيداً ليقبل الناس دعوة الإخوان، والسبب في ذلك هو الغلو السياسي؛ ولذا يقول القرضاوي في كتابه (أين الخلل) ص (٢٤) :«كما أن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم» ا.هـ.

ثم أليس القرضاوي موظفاً لدى الحكام كل مرة في دولة من دولهم؟؟

٢- قال في كتابه (عالم وطاغية)[١] :

«ولهذا لم يكن القائد الداهية الشجاع عبد الرحمن بن الأشعث القيسي يعلن ثورته على الحجاج وبني أمية، ويزحف بجنوده على العراق حتى انضم إليه كثير من أهل العلم والدين، وفي طليعتهم سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، ومطرف بن عبد الله الشخير».

قلت: وهذه دعوة للناس وللعامة للثورة في بلدانهم على ولاة أمورهم وإحياء لبدع الخوارج.

٣- وقال في كتابه (أين الخلل)[٢] :

«وسيد قطب غيّر من مواقفه الفكرية خلال مراحل حياته الحافلة، وانتقل من مجرد أديب ناقد مبهور ببلاغة القرآن (مرحلة التصوير الفني، ومشاهد

(١) ص (٧).
(٢) ص (٣٦).

القيامة في القرآن)، إلى كاتب إسلامي يدعو إلى عدالة الإسلام ونظامه للحياة (مرحلة العدالة الاجتماعية، والسلام العالمي في الإسلام)، ثم إلى داعية حركي له أفكاره الخاصة في منهج التغيير، والنظرة إلى المجتمع، والدعوة إلى العقيدة بدل الدعوة إلى النظام (مرحلة المعالم، والطبعة الثانية من الظلال)، وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه، فقال له أحدهم: إذن أنت لك مذهبان؛ قديم وجديد كالشافعي، قال: نعم ولكن الشافعي غير في الفروع، وأنا غيرت في الأصول».

نعم إن سيد قطب غير في الأصول، فأحيا فكر الخوارج، ومن تغييره في الأصول أنه نال من نبي الله موسى ووصفه بالعصبي، ونال من بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصفهم بالغش والخداع والكذب والنفاق، وأحيا القول بخلق القرآن، والحلول والجبر، والقول بوحدة الوجود، وتعطيله لبعض صفات الله، وعدم قبول أخبار الآحاد في العقائد، فكيف يقول عنه القرضاوي هذا الكلام، ويمجده هذا التمجيد؟، مع أنه - أعني القرضاوي - قال عن سيد قطب في أولويات الحركة الإسلامية: «في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب، والتي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع . . .، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة».

أهذا من تبادل الأدوار الذي ينادي له الصاوي، وقد تقدّم نقل ذلك عنه أمّ ماذا؟

١١- فتحي يكن

قال في كتابه (احذروا الإيدز الحركي)[١] تحت عنوان (ماذا يريد هؤلاء):

(١) ص (٣٢-٣٣).

«. . . يريد هؤلاء تعطيل كل الأسباب والمناخات والمناسبات التي يمكن أن يسخرها المسلمون اليوم؛ ليتعلموا إسلامهم، وليتفقهوا في دينهم، وليعوا قضاياهم المصيرية في ضوء الإسلام، بحجة أنها بدعة، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها، وكأن المراد تجريد الإسلام من واقعية الطرح، وإبعاده عن ملامسة الأحداث؛ ليبقى معزولاً عن قيادة الأمة، وتوجيه الجماهير، فإذا أقيم احتفال بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج يُذكّر المسلمين بسيرة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقص عليهم الحادثة، وما فيها من دروس وعظات كما ورد في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن خلال الأحاديث الصحيحة، ثم يربط ذلك بالواقع القائم في فلسطين حيث تنتهك أرض الإسراء والمعراج من قبل إسرائيل والصهيونية العالمية، وواجب المسلمين تجاه البلد الإسلامي الذي احتل، والشعب المسلم الذي قهر، قالوا: إن هذه الاحتفالات بدعة!! . . .» الخ.

لا يريد من علماء السنة إنكار البدع والتحذير منها.

٢- قال في كتابه (الإسلام فكرة وحركة وانقلاب)[١] تحت عنوان (الإسلام منهج انقلابي):

«وعندما قامت الحركة الإسلامية في مطلع القرن العشرين تمسح عن الدين ركام الجهل والتضليل، كانت حريصة غاية الحرص على معالجة هذه المشكلة بادئ ذي بدء، وتركيز لصورة الإسلام الصافية الصحيحة في الأذهان. . . ، فالإسلام منهج حياة، هكذا يجب أن يفهم، وهكذا يجب أن يطبق، وهو ثورة وانقلاب؛ ثورة لا تقتصر على جانب من جوانب الحياة، وإنما تمتد من كل جانب، وانقلاب لا تعبر عنه (كلمة أو شعار)،

(١) ص (١٠٢).

بل هو تحويل (كيفي) للمجتمع، وتغيير (جذري) لقواعده وأصوله، فالانقلاب الإسلامي لا يتحقق بتغيير نظام أو تعديل دستور، ولا يتم برفع راية أو إذاعة بيان، وإنما يتحقق ويتم باستكمال المقومات والفعاليات والخصائص الإسلامية في شخصية الأمة، يتم (بقوامة) النهج الإلهي (و حاكمية) للمجتمع . . . ، وبالتالي تقويم التصورات - كل التصورات - وخضوع التصرفات - كل التصرفات - لهذه القوامة والحاكمية . . . إلخ».

وهذا تمجيد لحركة الإخوان التي ينتمي إليها، وترديد لبعض أفكارها، وجر لمفردات سيد قطب، وألفاظ عباراته الداعية للانقلابات والثورات، وليس تعليم الناس العقائد الصحيحة، وتصحيح المسار؛ ليكون العمل وفق السنة، ولكن كما يقال: فاقد الشيء لا يعطيه.

وهناك آخرون ساروا على المنهج نفسه من أمثال حسن الترابي، ومحمد الغزالي، وأبي غدة، وقد ردّ عليهم العلماء ردوداً كافية، وهناك آخرون يغلب عليهم الجهل سلكوا المسلك نفسه، وفاقوا غيرهم من ناحية الصراحة والوقاحة في إظهار معتقدهم البدعي التكفيري، ومن هؤلاء أيمن الظواهري، وأسامة بن لادن، وأبو قتادة الفلسطيني، والمسعري، والفقيه، وعصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) صاحب كتاب (الكواشف الجلية)، وهو كثير الطعن في علماء هذه البلاد السعودية، لا سيما الشيخين الجليلين ابن باز وابن عثيمين، كما في كتاب (تنبيه العقلاء)[1] وغيرها، وهو وهم ممن لم يعقلوا معاني الشرع، وإنما لعب بهم الجهل والهوى أيَّ ملعب، وفعل بهم وبأشباههم الأفاعيل، ولعلي ألقي بعض الضوء على أبرزهم شهرةً في هذا الوقت، وهم: أبو قتادة الفلسطيني، وأيمن الظواهري، وأسامة بن

(١) ص (٥، ٧، ٢٣، ٢٧).

لادن تلميذ أيمن الظواهري، والمنفذ لأفكاره وأفكار محمد بن سرور على وجه الخصوص.

١٢- أبو قتادة الفلسطيني

هو عمر بن محمود أبو عمر الأردني، أبو قتادة الفلسطيني بالنظر إلى أصله، وهو بريطاني المهجر بالنظر إلى البلاد التي اختارها لنفسه بعد هجره بلاد المسلمين.

له في أكثر الدماء التي تراق في العالم الإسلامي - والإسلامي فقط - يد، لكنها يد دون يد؛ لأنه يحسّن لكل مبتغي دم باسم الدين عمله، ويزين لكل مفتون بالثورات باسم الجهاد جهاده، ولكنه لا يباشر شيئاً من ذلك.

أدرك الجهاد الأفغاني في إدباره، فلحس من بقي من تكفير على مائدته، حتى إذا غص بسمه التجأ إلى لندن عاصمة الاستعمار، ووجد عندها الظل الظليل والملجأ والمقيل، فتكفف منها اللجوء السياسي، وعندها وجد ضالته وبدأت المآسي.

آوته بريطانيا هو وأشكاله الفارين من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، وأعتدت لكل واحد منهم متكئاً، فمن ظلها وظلالها جعل ينفث في كل البلاد الإسلامية سم التكفير، بل منها يحرك أوباشه الذين في بلاد الإسلام نحو القتل والتفجير!!.

وهؤلاء لا يقاتلون إلا الأمة الإسلامية، فهي الغرض المنصوب لسهامهم، والغرض المحبوب طعنه لأقلامهم!.

لم يبقوا منها لحماً إلا تعرّوه، ولا عظماً إلا هشموه، تلك هي سيرتهم في جهادهم، أما مع المسلمين فضرب إلهام، وأما مع الكفار فحرب كلام، ولا يغرنك مضاء ألسنتهم في أعراض الكفار، ولا غليان أفكارهم بها، وإن كانت

تغلي غلي القدور، فليس أكثر من تحريش ربات الخدور؛ ولذلك كان من مصائبه تقديم مجاهدة الدولة المسلمة على مجاهدة الدول الكافرة بزعم ارتدادها، فقد قال في حواره مع جريدة الحياة[١]، قال: «نحن لا نريد أن نقاتل أمريكا إلا إذا صالت علينا، وكانت هي من بدأ بالقتال، هذا بخلاف قتال الأنظمة المرتدة في بلادنا الذي يعتبر جهادها فرض عين على كل مسلم!!».

قلت: هذا هو مذهب الخوارج تماماً، قال فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» متفق عليه.

ومن تأمل هذه الجماعات الثائرة على دولها هنا وهناك، يجدها لا تكاد تقاتل أمة كافرة ولو كانت ألد الأعداء كاليهود، بل هم - طول عمرهم - يثيرون الفتن في البلاد المسلمة، ويريقون دماء أهلها، وعدوهم الكافر آمن بل جاثم على ديار المسلمين لا يهيجه أحد، ولذلك لما خرج من بلادهم لحقوه، بل يلعنون الكفار، ولا يكاد يهنأ لهم عيش إلا في بلاد الكفار!.

فانظر رؤوس التكفير اليوم، فلن تجدهم إلا في بلاد الكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وتمضي عليهم السنوات، وهم هكذا حتى ينقرض جيلهم ويأتي آخر ليعيد الكرة، وهم في كل مرة يمنون أنفسهم والمسلمين بتحرير فلسطين وغيرها، ولكن ذلك لا يتجاوز ساحة ألسنتهم!!، وإنما يتباكون على فلسطين ومثيلاتها؛ ليحظوا بتزكية الناس لهم!.

والأمة الإسلامية لا تكاد تستريح من كيد جيرانها الكفار الذين رموها عن

(١) العدد (١٣٢١٩) في ص (٦) تاريخ (٣/ صفر/ ١٤٢٠هـ).

قوس واحدة، حتى يتآلب عليها من بني جلدتها من يشغلها عن معالي أمورها فكيف تستقر بلاد الإسلام وهي بين جار محارب وشريك في الدار مشاغب» ا. هـ[١].

وقد نقل عنه الشيخ عبد المالك تكفيره لجميع الحكام، ونيله من كبار علماء السعودية، والطعن فيهم، واتهامهم بالعمالة والضلال؛ لاعترافهم بصحة بيعة ولاة الأمر.

«لا سبيل[٢] إلى الطعن على العلماء الذين يعترفون بإمامة ولي الأمر، ما لم يروا كفراً بواحاً؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب على كل مسلم ومسلمة أن تكون له بيعة لولي أمره، فقال: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم (١٨٥١).

وإن وجود الذنوب من السلطان لا يعد مسوغاً شرعياً لخلع بيعته، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات؛ فميتته جاهلية**» رواه مسلم (١٨٤٩).

وإنما تنقض بيعة السلطان إذا كفر كفراً بيّناً صريحاً ليس فيه لَبْس، فعن جنادة بن أبي أمية قال: «دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدّث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) من كتاب تخليص العباد من وحشية أبي القتاد الداعي إلى قتل النساء وفلذات الأكباد، رد على أبي قتادة الفلسطيني في استباحة دماء الأطفال والنساء من المسلمين وغيرهم، وبيان أن الإسلام بريء من ذلك، تأليف الشيخ عبد المالك أحمد رمضاني الجزائري، انظر الكتاب، ص (٤٣-٤٥).

(٢) ما زال الكلام للشيخ عبدالمالك.

قال: دعانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: **أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأَثَرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**» متفق عليه.

والعلماء هم أهل لأن يروا ذلك الكفر البواح لو وجد؛ لأن العالم هو الذي يميز الحق من الباطل؛ لذلك أنكر الله التسوية بين العالم وغير العالم، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، فلا يجوز اتهام أهل العلم بالعمالة أو الضلال بمجرد أن فتواهم تخالف أهواء الثائرين على ولاة أمورهم؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**» رواه أحمد والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣) ا.هـ[1].

---

(١) من كتاب (تخليص العباد من وحشية أبي القتاد) للشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني الجزائري، والكتاب مفيد في بابه، فهو لمؤلف قد عاش أحداثاً مؤلمة ومؤسفة في بلده الجزائر، كان معظم أسبابها - كما ذكر - يعود إلى جناية بعض الحركات التي تسمي نفسها جهادية أحدثت قتلاً ودماراً هائلاً في بلاده الجزائر، فأراد النصح لإخوانه المسلمين؛ لأخذ العبرة والعظة حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أولئك، فيندموا حين لا ينفع الندم، فجزاه الله خيراً على نصحه وبيانه.

ولمزيد من المعرفة عما أحدثته تلك الحركات الحزبية على المسلمين في كل بلد وجدت لهم فيه دعوة يحسن الرجوع إلى مؤلفات الشيخ عبد المالك في هذا الموضوع، ومنها:

١-مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، قدّم له وقرّظه الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر.

٢- فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر.

٣- تخليص العباد من وحشية أبي القتاد.

١٣-، ١٤ - أيمن الظواهري، وأسامة بن لادن:

أسامة بن لادن ممن تأثر بفكر أيمن الظواهري، وأيمن الظواهري ممن جعل كتب سيد قطب ومقالاته دستوراً له يسير عليه هو وأتباعه[١]، ويبذلون ما يستطيعون من أجل تطبيق ما في تلك الكتب على الواقع العملي، وقد سبق أن نقلت عن سيد قطب ما يدل على أنه أحيا فكر الخوارج في هذا العصر، وأنه يعتبر المؤسس لهذا الفكر في هذا العصر، ونقلت قوله بتكفير جميع المسلمين والدول الإسلامية، كما قال في الظلال[٢]:

«إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمعٌ مسلم، قاعدةُ التعاملِ فيه هي شريعةُ الله والفقهُ الإسلامي».

وقال في الظلال[٣]:

«إن المسلمين الآن لا يجاهدون؛ ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون. . . إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين، هي التي تحتاج اليوم إلى علاج».

وقال في العدالة الاجتماعية[٤]:

«وحركات البعث الإسلامي اليوم في مفترق طرق، ونقطة البدء الصحيحة في الطريق الصحيح، هي أن نتبين الشرط الأساسي لوجود الإسلام أو عدم وجوده، وأن نستيقن أن وجود الإسلام اليوم توقف».

وها هو يمدح الخوارج الذين ثاروا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقول كما في

---

(١) فقد أكّد أيمن الظواهري في الحلقة الثالثة من مذكراته المنشورة في جريدة الشرق الأوسط في شهر رمضان (١٤٢٢هـ) أن كتب سيد قطب هي دستوره، وأتباعه.

(٢) (٤/ ١٢٢).

(٣) (٣/ ١٦٣٤).

(٤) ص (٢٦).

العدالة الاجتماعية[١]: «وأخيراً ثارت الثائرة على عثمان واختلط فيها الحق والباطل، والخير والشر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام».

وورث هذه العقيدة الفاسدة من سيد قطب تلامذته من الإخوان المسلمين، فتولدت جماعة التكفيرِ والهجرةِ والجماعات الجهادية؛ والجهادُ الذي يرضاه الله ورسوله برئ منها، ومن أبرز هؤلاء الورثة: أيمن الظواهري - الطبيب البيطري -، ثم أثر هذا البيطري بفكره على أسامة بن لادن، والذي يقول في إحدى خطاباته - أعني أسامة بن لادن -: «لقد انقسم العالم إلى فسطاطين كفر لا إيمان فيه، وإيمان لا كفر فيه». فهو ومن معه في جبال أفغانستان ومن أيدهم، هم المسلمون، وباقي العالم كفار يجوز قتلهم حكاماً ومحكومين[٢].

يقول الأستاذ منتصر الزيات -محامي من يسمون بالإسلاميين في مصر-، كما نشرت جريدة الشرق الأوسط[٣]، نقلاً من كتابه (الطريق إلى القاعدة)، يقول: «واستطاع الظواهري أن يحدث تحولات جذرية واستراتيجية في فكر أسامة بن لادن بعدما التقيا معاً في أفغانستان منتصف عام ١٩٨٨م».

ولعل مما ساعد في تمام هذه التحولات لدى ابن لادن رغم تكوين مرجعيته الإسلامية السلفية[٤] قبل تعارفه على الظواهري هو العلاقة

---

(١) ص (١٦٠).

(٢) انظر مقالاً جيداً نشر بجريدة المدينة، عدد (١٤٧٤٣) بتاريخ (٧/ ٧/ ١٤٢٤هـ) بقلم مشهور بن ناصر القبلان، بعنوان: (خوارج العصر من التكفير إلى التفجير).

(٣) عدد (٩٢٠٣) يوم الاحد (٨/ ٢/ ٢٠٠٤).

(٤) هكذا قال الزيات، وإلا فأسامة بن لادن لم يعرف بطلب العلم الشرعي على أيدي العلماء =

الإنسانية التي نشأت وتطورت بين الاثنين إلى درجة الصداقة والأخوة، فاستطاع الظواهري أن يقنع ابن لادن بالفكر الجهادي الانقلابي، وحوّله من داعية سلفي يهتم بأمور الإغاثة إلى مقاتل جهادي، وزرع الظواهري حول بن لادن نخبة من أخلص خلصائه ممن صاروا لاحقاً أبرز العناصر المعاونة لابن لادن وقادة تنظيم القاعدة، وهؤلاء كانوا يدينون بالولاء للظواهري شخصياً وتاريخياً، من مثل (علي الرشيدي) أمين الشرطة الذي فصل من الخدمة لانتماءاته الدينية بعد أحداث المنصة وقتل السادات، وأطلق عليه في أفغانستان (أبو عبيدة البنشيري)، وأيضاً (أبو حفص المكنى محمد عاطف)؛ وهو صبحي عبد العزيز أبو سنة. . . ، وكان قد ترك مصر في وقت مبكر من الجهاد الأفغاني بعد طرده من الخدمة؛ لانتماءاته الدينية، غير أنه لم يكن للبنشيري وأبو حفص انتماءات تنظيمية قبل سفرهما، واستطاع الظواهري أن يفجر طاقاتهما داخل أرض الجهاد في أفغانستان، . . . وينفي الزيات أن يكون تحوّل أسامة فكرياً بسبب عبد الله عزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن عزام كان حريصاً على عدم التصادم مع الحكومات العربية التي تدعمه، إلى أن قال: «ويمكن أن تقول: إن ذلك ساعد الظواهري كثيراً في إحداث التحولات الجذرية داخل فكر بن لادن».

ثم استرسل - أعني الزيات - في ذكر بعض أفكار الظواهري، حيث قال: «ومنها أنّ الظواهري لفترات طويلة يردد أن الشكل الوحيد المقبول للجهاد هو

= الموثوق بهم، ومن أين له أن يوصف بالسلفية؟، ولكن الكثيرون يغفلون عن أن الحركيين المتأثرين بفكر الإخوان المسلمين في بلادنا وفق التوجه السروري يوصفون بالسلفية من قبل بعض رموز الإخوان، وهذه من تلبيسات محمد سرور، ومحمد قطب، وعبد الرحمن عبد الخالق، والصاوي، والعبده، وأمثالهم؛ والذين أضفوا على فكر سيد بأنه نابع من فكر أهل السنة، وأنه على المنهج السلفي كما زعم هؤلاء، من هنا جاء وصف الزيات لابن لادن بقوله (رغم مرجعيته السلفية).

الكفاح المسلح، وأن المسلم الصادق ينبغي عليه أن يواجه أولاً الكفر الداخلي (العدو القريب)، وبعدئذ يواجه الكفر الخارجي (العدو البعيد)، وقد أكّد الظواهري فكرته في جهاد العدو القريب قبل العدو البعيد في مقال كتبه في مجلة (المجاهدون)، التي صدرت في أبريل عام (١٩٩٥م) عنوانه: (الطريق إلى القدس يمر بالقاهرة)، وقال فيه بوضوح: «لن تحسم ولن تفتح القدس إلا إذا حسمت المعركة في مصر والجزائر، وإلا إذا فتحت القاهرة».

وكانت الفكرة الأساسية المطروحة التي تلح على الظواهري، هي اعتباره أن العدو الأساسي هو النظام السياسي؛ لأنه لا يحكم بما أنـزل الله.»ا.هـ.

قلت: فأنت ترى أن الظواهري يرى ما يراه سيد قطب من تكفير المجتمعات، ومن أجل أن يطبق هذه الأفكار، رأى أن يبدأ بالعدو القريب - أي المسلمين - والذين يراهم هو أنهم كفار، وهذا هو معتقد الخوارج المتقدمين؛ فإنهم كفروا المسلمين، وبدأوا بهم قبل الكفار الأصليين، كفروا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثاروا عليه وقتلوه، وكفروا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثاروا عليه، وقتلوه وهكذا . . .

وأسامة بن لادن تقمص أفكار الظواهري المتولدة من أفكار سيد المتولدة من أفكار الخوارج، إلا أنه يبعد قبول أسامة لتلك الأفكار لولا وجود من أثر عليه مسبقاً بأن هذا هو منهج أهل السنة، وأنه من المنهج السلفي، لذا تجد الآن الحركات الإسلامية تسمي نفسها (بالجهادية السلفية)، وهي ليست جهادية، وليست سلفية، وإنما كان ذلك بسبب طروحات محمد سرور، ومحمد قطب، وصلاح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق، والتي بلورت أفكار سيد وهذّبت بعض مقالاته وطرحتها على أنها تمثل فهم أهل السنة ومن المنهج السلفي، فحصل التغرير بالكثير من أبنائنا، فكما غرر بأسامة بن لادن،

كذلك غرر بكثير من الشباب المسمى بشباب الصحوة، والضحية هم المغرر بهم، وأما الرؤوس: فإنها في الغالب تعيش في مأمن، وتستطيع أن تتلون بحسب مقتضيات الأحوال وفق القاعدة المعروفة الضالة والمضلة: (الغاية تبرر الوسيلة).

والآن نعود إلى فكر أسامة بن لادن، فهو كما اتضح متأثر بالفكر الإخواني القطبي السروري، ثم هو يسعى جاهداً الآن لتنفيذ هذه الأفكار في بلاد التوحيد والسنة في بلاد الحرمين، كما يريد شيخه الأول فكرياً (محمد سرور)، وشيخه الثاني علمياً وعملياً (أيمن الظواهري).

وقبل أن أبدأ بنقل تحذير العلماء من أسامة بن لادن وأمثاله، أقول: إنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[(١)]، ومما أنذرها به في سياق الحديث عن الدجال، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غير الدجال أخوفُني عليكم**»[(٢)]. وقد نقلت لك أيها القارئ الكريم، توجهات جماعة الإخوان، وذكرت لك بعض خططها، وجملة من عقائد رموزها، وبعض كلام قادتها، فأقول: ألا ترى معي أن هذه النوعيات أشد خطراً على الإسلام من الدجال ومن أعداء الإسلام الواضحين، إنّ هذه الأصناف لا تحارب الإسلام جهاراً نهاراً، وإنما تتظاهر بالإسلام، وتحمل شعارات براقة خلابة، وهي تحمل في ثناياها السموم القتالة، والموت الزؤام، ومن المؤسف أشد الأسف أن تجد هذه الأصناف أتباعاً وجنوداً يعظمونهم تعظيماً يؤدي إلى رفعهم فوق مستوى النقد مهما بلغوا من الضلال والانحراف، ويؤدي إلى استصغار عظائمهم وطوامهم، فتصير في أعينهم

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٣) والدارمي، (١/ ٧٠) (٢/ ٣١١) والترمذي مع التحفة (٣/ ٢٣١) وأحمد (٥/ ١٧٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

أدق من الشعر ولو كانت أعظم من الجبال الشامخة، فيصدق عليهم قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموبقات».

فلو عاش أنس وإخوانه - أولي الأحلام والنهى - حتى رأوا هؤلاء وعرفوا حالهم وواقعهم، لذهلوا عما كانوا يعدونه من الموبقات، ولرأوا الفروق الهائلة الشاسعة بين حال من عاصرهم وواقعهم، وبين حال هؤلاء وواقعهم، ولعل كثيراً منهم يفرون منهم إلى الجبال والشعاب.

إنه والله لواقع مرير، وإن الأمر كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]. فنعوذ بالله من حال هؤلاء، وإنا لنضرع إلى الله ونضرع إليه أن يعافي المسلمين من هذا البلاء، وأن يأخذ بنواصي من أصابهم هذا البلاء إلى الحق والهدى. ا.هـ[1].

* * *

(١) من كلام الشيخ ربيع المدخلي، في كتابه (نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب) (٢٢١).

المبحث الرابع عشر

تحذير العلماء من فكر أسامة وأمثاله

وقد أدرك سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثاقب نظره وعميق فهمه ومعرفته بالواقع الصحيح - لا كما يزعمه المدعون للعلم بفقه الواقع وهم من أبعد ما يكونون عن ذلك - خطورة مسلك أسامة بن لادن وأضرابه قبل أن تتضح الصورة لكثير من الناس، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما ما يقوم به الآن محمد المسعري، وسعد الفقيه، وأشباههما من ناشري الدعوات الفاسدة الضالة فهو بلا شك شر عظيم، وفساد كبير، والواجب الحذر من نشراتهم، والقضاء عليها، وإتلافها، وعدم التعاون معهم في أي شيء يدعو إلى الفساد، والشر، والباطل، والفتن، ونشر الكذب، ونشر الدعوات الباطلة التي تسبب الفرقة، واختلال الأمن إلى غير ذلك، هذه النشرات التي تصدر من الفقيه أو من المسعري أو من غيرهما من دعاة الباطل ودعاة الشر والفرقة يجب القضاء عليها، وإتلافها، وعدم الالتفات إليها، ويجب نصيحتهم، وإرشادهم للحق، وتحذيرهم من الباطل، ولا يجوز لأحد أن يتعاون معهم في هذا الشر، ويجب أن ينصحوا، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يَدَعوا هذا الباطل ويتركوه، ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن وجميع من سلك سبيلهم أن يَدَعُوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله مما سلف منهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعد عباده التائبين بقبول توبتهم، والإحسان إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر: ٥٣-٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١][1].

وقال علامة اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في كتاب (الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية) نقلاً عن جريدة الرأي الكويتية بتاريخ ١٩/ ١٢/ ١٩٩٨م، العدد (١١٥٠٣)، قال: «أبرأ إلى الله من ابن لادن فهو شؤم وبلاء على الأمة، وأعماله شر».

وفي اللقاء نفسه قال السائل: الملاحظ أن المسلمين يتعرضون للمضايقات في الدول الغربية بمجرد حدوث انفجار في أي مكان في العالم.

الجواب: أعلم ذلك، وقد اتصل بي بعض الإخوة من بريطانيا يشكون التضييق عليهم، ويسألون عما إذا كان يجوز لهم إعلان البراءة من أسامة بن لادن، فقلنا لهم: تبرأنا منه ومن أعماله منذ زمن بعيد، والواقع يشهد أن المسلمين في دول الغرب مضيق عليهم بسبب الحركات التي تقدمها حركة الإخوان المفلسين أو غيرهم والله المستعان.

السائل: ألم تقدم نصيحة لأسامة بن لادن؟

الجواب: لقد أرسلت نصائح، لكن الله أعلم إن كانت وصلت أم لا، وقد جاءنا منهم إخوة يعرضون مساعدتهم لنا، وإعانتهم حتى ندعوا إلى الله، وبعد ذلك فوجئنا بهم يرسلون مالاً، ويطلبون منا توزيعه على رؤساء القبائل؛ لشراء مدافع ورشاشات، ولكني رفضت عرضهم، وطلبت منهم ألا يأتوا إلى منزلي ثانية، وأوضحت لهم أن عملنا هو دعوي فقط، ولن نسمح لطلبتنا بغير ذلك.

وقال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك إسناد الأمور إلى الجهال، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥٠) ص (٧-١٧)، ومجموع فتاوى الشيخ (٩/ ١٠٠).

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فَسُئِلوا فأفتوا بغير علم فَضَلوا وأَضَلوا**»(١).

كما يقال: العالم الفلاني ما يعرف عن الواقع شيئاً، أو عالم جامد، تنفيرٌ، كما تقول مجلة السنة التي ينبغي أن تسمى بمجلة البدعة، فقد ظهرت عداوتها لأهل السنة من قضية الخليج.

وأقول: إن الناس منذ تركوا الرجوع إلى العلماء تخبطوا؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]. وأولي الأمر: هم العلماء، والأمراء، والعقلاء، والصالحون.

وقارون عندما خرج على قومه في زينته، قال أهل الدنيا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩-٨٠].

والعلماء يضعون الأشياء في مواضعها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٣٣] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

فهل يرفع الله أهل العلم أم أهل الثورات والانقلابات؟، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل متى الساعة؟ فقال: «**إذا وسّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»(٢). رئيس حزب

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (١٠٠) ومسلم برقم (٦٧٣٧).
(٢) البخاري برقم (٥٩).

وهو جاهل.

ومن الأمثلة على هذه الفتنة؛ الفتنة التي كادت تدبر لليمن من قبل أسامة بن لادن إذا قيل له: نريد مبلغ عشرين ألف ريال سعودي نبني بها مسجداً في بلد كذا، فيقول: ليس عندنا إمكانيات سنعطي إن شاء الله بقدر إمكانياتنا، وإذا قيل له نريد مدفعاً أو رشاشاً وغيرهما، فيقول: خذ هذه مائة ألف أو أكثر وإن شاء الله سيأتي الباقي»[(١)].

وسئل الشيخ أحمد النجمي هذا السؤال:

أحسن الله إليك، هذا سائل يقول: قد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لعن الله من آوى محدثاً**»، فهل هذا الحديث ينطبق على دولة طالبان، وخاصةً أنهم يؤون الخوارج، ويعدونهم في معسكر الفاروق الذي يشرف عليه أسامة بن لادن، وفيه أربعة فصائل: الفصيل الأول: فصيل المعثم، وفصيل الشهراني، وفصيل الهاجري، وفصيل السعيد؛ وهؤلاء الأربعة هم الذين فجروا في العليا، ويكفرون العلماء في هذه البلاد؟.

الجواب: لا شك أن هؤلاء يعتبرون محدثين، وهؤلاء الذين آووهم داخلون في هذا الوعيد الذي قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللعنة التي لعنها من فعل ذلك «**لعن الله من آوى محدثاً**»، فلو أن واحداً قتل بغير حق وأنت أويته، وقلت لأصحاب الدم: ما لكم عليه سبيل، ومنعتهم، ألست تعتبر مؤوياً للمحدثين؟[(٢)].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في معرض كلامه في جانب

---

(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، ص (٢٠٤) نقلاً عن كتاب (تحفة المحب) وتسجيل بتاريخ ١٨/ صفر، ١٤١٧هـ من عنوان من وراء التفجيرات في أرض الحرمين.

(٢) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، ص (٢٠٥)

الانحراف في فهم الإسلام، وذكر له أسباباً كثيرة جداً من أهمها : أن المعلم في التعليم الجامعي يحتاج إلى نظرة جادة، إلى أن قال : «حتى أنه في هذه الأزمنة ربما سمعتم بعض المدرسين يمجد أسامة بن لادن، وهذا خلل في فهم الإسلام»[١].

* * *

(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، ص (٢٠٦) نقلاً عن جريدة الرياض بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٠١ في لقاء مع معاليه.

المبحث الخامس عشر

من أين جاء فكر الإرهاب والعنف إلى بلدنا؟

وبعد أن عرفنا حقيقة مصدر فكر الإرهاب والتكفير قديماً وهم الخوارج، وعرفنا مذهبهم وطرائقهم في إيجاد الدولة وخططهم لتحقيق ذلك، وعرفنا عظيم خطرهم على الإسلام والمسلمين، ثم عرفنا حقيقة مصدر فكر الإرهاب والتكفير حديثاً، وأنه في الحقيقة نابع من فكر جماعة الإخوان المسلمين وما تفرع وتولد عنها من جماعات وتنظيمات، وأنها -أعني هذه الجماعة- قد تقمّصت فكر الخوارج، وزادت عليه بالتكتم والتلون والتخفي، وعدم إظهار حقيقة أمرها، وقد ذكرت شيئاً من خططهم ومناهجهم في ذلك، وأكثرت من النقل عن قادتهم ورموزهم ودعاتهم؛ ليتضح أنّ ذلك ليس مجرد أخطاء تقع من أفرادهم بل هي خطط ومناهج تتبع للوصول إلى غاية، وهي الوصول إلى الحكم، وقد ظهر جلياً من تلك الخطط والمناهج وأقوال القادة والرموز أنهم يسيرون وفق قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، وهذه محرمة شرعاً؛ فإنّ الوسائل في الإسلام تأخذ حكم المقاصد، وأنّه لا يجوز أن تكون الوسيلة محرمة.

وكنا قد ذكرنا من قبل أنّ منهج أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح من الصحابة إلى اليوم بعيدٌ كل البعد عن الغلو والتطرف والإرهاب الحسي والمعنوي.

وذكرنا أنّ بلادنا السعودية - حرسها الله - قد قامت على هذا الأساس، وعرفنا براءة مناهجنا الدراسية، ومؤسساتنا الدينية الرسمية من ذلكم الفكر المنحرف.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : من أين جاءنا فكر الإرهاب والتطرف والعُنف؟، وكيف نشأ وتغلغل في بلادنا ؟، وما أسباب انتشاره؟، وكيفية وطرق معالجته والقضاء عليه؟.

وهذا ما سأحاول الإجابة عليه في المباحث التالية إن شاء الله تعالى.

فأما من أين جاءنا فكر الإرهاب والعنف والتكفير: فالجواب أنه جاءنا بعد أن وفد إلينا بعض رموز وقادة ودعاة جماعة الإخوان المسلمين، وقد تقدّم قول بعض قادتهم: «من يريد العمل للإسلام يبحث عن الجماعة التي لها في كل العالم امتداد، وفي العالم الإسلامي فروع، ولها في كل قطر تنتمي إليه تنظيم؛ هذه الجماعة بهذا الامتداد وهذا الشمول وهذه الأهداف قائمة وموجودة منتشرة في العالم الإسلامي - والحمد لله - وهي الجماعة التي أسسها ووضع نظامها وأقام في المجتمع المصري صرحها الإمام حسن البنا، والجيل المسلم اليوم في المشارق والمغارب يعلّق عليها آمالاً جساماً».

وقال في معرض ثنائه ومدحه لأعضاء هذه الجماعة ورموزها : «كأمثال: الإمام حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشيخ مصطفى السباعي، والمرشد الوقور حسن الهضيبي . . .» الخ.

* * *

المبحث السادس عشر

كيف نشأ وتغلغل فكر الإرهاب والتكفير أو قل فكر الإخوان في بلادنا؟

من خلال قراءتي لما كتب حول تغلغل هذا الفكر في بلادنا، ومتى وكيف تغلغل، فمن أحسن من وجدته كتب في ذلك الدكتور محمد العوين، والشيخ عبد المالك بن أحمد الرمضاني، وسأنقل كلام الدكتور محمد العوين كاملاً مع التعليق عليه في مواضع يسيرة من باب إكمال الفائدة.

قال الدكتور محمد العوين مناقشاً الخطاب الإخواني وبعض إشكالاته[١]:

«كان لحديث صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز الذي أدلى به لصحيفة السياسة الكويتية صدى واسع جداً، وعلى الأخص ما كان يتصل بجماعة (الإخوان المسلمون) ثم نشر في (الرياض) في عددها رقم (١٢٥٧٥) بتاريخ (٢٣) رمضان (١٤٢٣هـ)، والشرق الأوسط في عددها رقم (٨٧٦٦)، وغيرهما من الصحف، ولأن كلام سمو الأمير بالتأكيد لم يكن مرضياً جماعة الإخوان المسلمين، رد المرشد الجديد للجماعة المستشار مأمون الهضيبي[٢] واطلعت على رده في موقعهم عبر الانترنت، وفيه نفي لأي نشاط سياسي أو تحزيبي من أفراد الجماعة في المملكة، أو أنهم جندوا الشباب السعوديين واستقطبوهم لفكرهم، ولأن سمو الأمير نايف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتح لنا هذا الباب

(١) هكذا نُشر في جريدة الاقتصادية، عدد (٣٣٦٢).

(٢) قد توفي قبل أشهر، وتولى الإرشاد في الجماعة الآن محمد عاكف، وتخصصه تربية رياضية، كما ذكر في المقابلة التي أجريت معه في جريدة الوطن.

للدخول بعمق وأناة لفتح هذا الملف الموغل في صمته وحذره وخطورته وحساسيته، ولأن الأحداث السياسية العالمية، والحملة على الإرهاب، وزج (الإسلام) ديناً ومبادئ وأخلاقيات في هذه الحرب، فإنه من الخير لنا جميعاً وعلى الأخص في هذه البلاد المستهدفة بهذه الحملة الشرسة الظالمة أن نتصارح ونتكاشف، وأن نتحدث عما كنا لا نستطيع الحديث عنه سابقاً - قبل هذه الأحداث -؛ لأن من كان يلمح بما يوحي بأي انتقاد خفيف لأي نشاط إسلامي، فإنه معرض للنفي والإقصاء والاتهام بمتواليات من الصفات التي تبدأ بالعلمنة وربما تنتهي بالكفر!!.

. . .ربما استطاع البعض أو حرص آخرون على أن يجنبوا أبناءهم مغبة الانخراط في فكر هذه الجماعة، والسير في ركابها، أو الانخداع بالشعارات الدعوية والإصلاحية البراقة والمعلنة، دون أن يدركوا أن وراء الأكمة ما وراءها!!. يقول الأمير: لكني أقولها من دون تردد أن مشكلاتنا وإفرازاتنا كلها - وسمها كما شئت - جاءت من الإخوان المسلمين[1].

(١) فلم يُعرف في السعودية خلاف بين علمائها ودعاتها قبل دخول فكر جماعة الإخوان، ولم يُعرف ما يسمى بدعاة الصحوة أو شباب الصحوة إلا بعد دخول هذا الفكر، ووجود من يحمل أفكاره داخل بلادنا، وكان الناس عامة وطلاب العلم خاصة متى ما أصدر العلماء فتوى، أو توضيح لحكم شرعي في نازلة نزلت أو أمر يحتاج إليه قبلوا ذلك، ورحبوا به ولم يشك أحد منهم في صحته أو يشكك في ذلك، حتى وجد من يحمل فكر جماعة الإخوان فصار يخالف العلماء وينتقدهم بل ويتهمهم بالقصور في فهم فقه الواقع، أو يتهمهم بأنهم علماء سلطة، أو عليهم ضغوطات ونحو ذلك، أو يعيشون في أبراج عاجية، أو بعيدون من الشباب، أو علماء حيض ونفاس، وغير ذلك من الألقاب السيئة للتنفير منهم.

ثم إنّ ما نعاني منه الآن من تكفير وتفجير وتدمير، ما هو إلا نتاج دعوة الإخوان المسلمين، وهذا يحصل في كل بلد وجدت لهم فيه دعوة وأتباع، فإنهم متى ما شعروا بالضعف نافقوا وتكتموا وتخفوا، ومتى ما شعروا بالقوة كفّروا وفجّروا، وقد أصاب صاحب السمو=

ويقول متحدثاً عن استضافة المملكة لكثيرين منهم، ممن هربوا من بلدانهم نتيجة للاضطهاد والسجون والتعذيب: أنهم (لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة، فأخذوا يجندون الناس وينشؤون التيارات وأصبحوا ضد المملكة)[١].

وحين نعود - لا إلى الواقع الذي سيسعى الكثيرون إلى إنكاره - بل إلى المراجع التي كتبها بعض أفراد هذه الجماعة، نجد الكثير مما يؤكد حقيقة سعي الجماعة إلى إنشاء مراكز وشعبٍ لها في أنحاء العالم كافة، ومن باب أولى في أقطار الوطن العربي[٢].

فهذا (علي عشماوي) آخر قادة التنظيم السري، وأحد المقربين من سيد

= الملكي الأمير نايف حفظه الله ورعاه ونصره كبد الحقيقة، وها نحن ولا حول ولا قوة إلا بالله نجني الثمار السيئة لتلك الدعوة ولكنّ الله ناصرنا فهو الذي ينصر الحق وأهله ويزهق الباطل وأهله.

(١) كما حصل في حرب الخليج الثانية وغيرها، وكل منصف عرف الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة عرف بُعْدَ هذه الجماعة عن الحق ومخالفتها له في كثير من الأمور؛ ولذا بيّن الكثير من علماء السنة مخالفة هذا الجماعة للحق في جوانب عقدية ودعوية ومنهجية، ومن العلماء الذين أفتوا بذلك وحذّروا من فكر جماعة الإخوان المسلمين: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ عبد الله الغديان، والشيخ عبد المحسن العباد، ومعالي الشيخ صالح بن عبدالله آل الشيخ وغيرهم، كما في شريط فتوى حول جماعة التبليغ والإخوان بتسجيلات منهاج السنة بالرياض ومجلة المجلة عدد (٨٠٦)، ومقدمة كتاب (جماعة واحدة لا جماعات) للشيخ ربيع المدخلي، وفتوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين، شريط تسجيلات منهاج السنة السمعية في الرياض، وانظر: كتاب (هذه الجماعات من الاثنتين وسبعين فرقة) فتاوى للشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ الألباني، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد، ولا يتسع المجال لذكر ما قالوه في ذلك..

(٢) وسيأتي توضيح أكثر لهذا الأمر.

قطب في كتابه (التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين) يقول في هذا الكتاب في الصفحة الثانية والستين: (إن الإخوان في السعودية قد اختاروا الشيخ..[1] مسؤولاً عنهم..)

ويقول رواية عن سيد قطب بعد أن قرأ خطاباً من الإخوان في السعودية: (إن هذا دليل على أنهم منظمون جداً، وأنهم على كفاءة عالية من العمل)[2] ولقد كان موقف هذه البلاد كريماً - وبعيداً عن الحسابات المستقبلية التي يمكن أن تحدث من هذه الاستضافة - فقبلت جميع من ضاقت بهم ديارهم، واضطهدوا في بلدانهم بسبب اتجاهاتهم السياسية المتقنعة بالدين، فلجأ إلى المملكة مئات - لا عشرات - من مصر ومن السودان، ومن سوريا، ومن العراق، وغيرها،

(١) هكذا في المقال بدون ذكر اسم الشيخ، وقد قال العشماوي: «إنّ الإخوان في السعودية قد اختاروا الشيخ مناع القطان مسؤولاً عنهم، والإخوان في إمارات الخليج اختاروا سعد الدين إبراهيم مسؤولاً عنهم».
وقال العشماوي: «ويجدر بنا أنّ نعرّف بكل شخصية من هذا الشخصيات التي ذكرتها:
* الشيخ مناع القطان: هو أحد إخوان المنوفية، وقد هاجر، وقيل: إنه أول مصري يجرؤ على تجنيد سعوديين في دعوة الإخوان بالسعودية دون إستشارة أحد، حتى أنني حينما عدت من السعودية بعد زيارة لها عام (١٩٢٤م) استقبلني الاخ محمد هلال في المطار وسألني: من المسؤول هناك؟، فقلت له: إنّه الشيخ مناع قطان.
* الأخ سعد الدين إبراهيم: أحد الإخوان الذين هربوا من مصر عام (١٩٥٤م) إلى ليبيا، واستقر بها بعض الوقت، ثم اتجه بعد ذلك إلى الخليج حيث عاش مدة طويلة هناك، وانتخبه الإخوان مسؤولاً عنهم..» ا.هـ التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، ص (٦٢).
و قال العشماوي، ص (١٠٤) (... خاصة أنهم في هذه الفترة قد صدر قرار الأخ مناع قطان المسؤول عن الإخوان في السعودية بفصل الأستاذ (سعيد رمضان) من الجماعة، وكانت هناك محاولات من الأستاذ عبد البديع صقر لإعادته مرة أخرى، وكان حوله الكثير من اللغط والأقاويل التي كان الأولى البعد عنها والتزام الحذر»ا.هـ.
(٢) ص ١٠٣ - ١٠٤.

وذلك في أواخر الستينات الميلادية من القرن الماضي، وكان المجتمع السعودي فطرياً وبكراً وقابلاً لاستزراع كل الاتجاهات التي تنادي بالبعث الإسلامي، ونهوض المسلمين، وإنشاء المفهومات الفكرية والتأصيلية لحضارة إسلامية جديدة، ولم يكن له سابق تجربة عميقة وعنيفة مع دعوات فكرية منظمة يمكن أن نقول عنها: إنها نجحت وأحدثت تأثيراً بيناً وواضحاً في مسيرة المجتمع السعودي، سوى ما كان من تأثر محدود من بعض الشبان بما كان يشيع في الخمسينات من أفكار واتجاهات، كالفكر الاشتراكي أو البعثي أو القومي.

ولكنه لم يصل إلى أن يكون تياراً اجتماعياً له أثره وخطره، وأصح ما يمكن أن يوصف به كل اتجاه من هذه الاتجاهات أنه صدى لما يحدث في الدول المجاورة أو على نطاق العالم، وأن تأثيره أقرب إلى أن يكون فردياً وشخصانياً محدوداً، لا تياراً.

وإنما كان للمجتمع تجربة مبكرة مع التشدد وئدت في مهدها على يد المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز، حين شذت جماعة من المتحمسين للدين المندفعين إلى التشدد والغلو، وأصبحت خطراً على السلم الاجتماعي، وعلى مستقبل البلاد وتحضرها، إلى ما لهذه الجماعة -وهم الإخوان - من طموح سياسي واضح وقوي في الوصول إلى شيء من السلطة أو المشاركة فيها بفاعلية.

وبعد أن قضى عبدالعزيز على فكر جماعة (الإخوان) في أواخر الأربعينات الهجرية ومطلع الخمسينيات من القرن الهجري الماضي، لم يخرج فكر شبيه بها إلا مع مطلع القرن الهجري الجديد بفتنة الحرم، ويحسن بنا أن نقول إن الجماعتين نبتتا في الداخل، لكن تأثر جماعة الحرم لم يكن خافياً بالفكر

الغالي القادم من الهند عبر جماعة (التبليغ)[١]، وصلات بعض أعضاء هذه الجماعة بما كان ينشط من فكر تبليغي -آنذاك - في دولة الكويت.

حين قدم إلينا إخوتنا المضطهدون من دول عربية مجاورة - بعد خصومات شديدة مع دولهم - عملوا أساتذة ومربين وعمداء وموظفين، واستغلوا طيبة ونقاء هذه البلاد وأهلها، ووجدوا أن التربة صالحة ومناسبة لتقبل كل نشاط يتصل بالدين وسموه ومبادئه وقيمه، ولم يكن لدى الشبان ومن يتعاطى القراءة والاطلاع أي اهتمام بكتب الفكر الإخواني، بل كان السائد هنا قبل نهاية الستينيات الميلادية، الثمانينيات الهجرية نوعان من المؤلفات والمطبوعات، وهما: الفكر العالمي والنتاج الأدبي القصصي العربي، والكتابات الأدبية العربية لكبار الأدباء في مصر ولبنان.

والنوع الثاني: الكتب الدينية السلفية، من مؤلفات أئمة مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن مع تغلغل الرموز الإخوانية المهاجرة في المجتمع السعودي، واختلاطها بجيل الشباب، وحرصها الشديد عليه، واهتمامها به اهتماماً فاق كل حد؛ لأنه المعول عليه في النهوض بمسؤوليات الدعوة الإخوانية، وتحقيق مطالب هذه الدعوة، والوصول بها إلى غاياتها القصوى، انتشرت كتب هذا الفكر، وأصبحت تطبع في دار المعارف بمصر - أحيانا - أو دار الشروق في لبنان، أو دار الطليعة في الكويت، أو دار نهضة مصر بالقاهرة، وربما ما كان ممنوعاً في قطر عربي نجده يوزع وينشر ويُهدى في حالة التفوق الدراسي في ختام العام،

(١) الذي يظهر لي أن الهنود الذين أثروا في جماعة الحرم ليسوا من التبليغ، وإنما يتبعون للجماعة الإسلامية القائمة على فكر الشيخ أبي الأعلى المودودي، وهو فكر غالٍ ثوري، وجماعة التبليغ وإن كانوا ليسوا على السنة، لكن اهتمامهم بالجانب السياسي والثوري أقل بكثير من بقية الجماعات.

أو التفوق في النشاط للطلبة المميزين في المدارس والمعاهد، دون تنبه إلى ما يقود إليه هذا الكتاب أو تلك المجلة من أثر كبير في النفس، ومن نقد صارخ للواقع، وربما من دعوة ظاهرة حيناً أو مبطنة حيناً آخر لتغيير هذا الواقع والانقلاب عليه!. خذ مثلاً على ما كان يروج ويوزع من كتب هذا الفكر، ومن دعواته إلى التغيير وإحداث الانقلاب الإسلامي المزعوم، والسعي إلى إضفاء صبغة (الإسلامية) على ما يعتقده الفكر الإخواني صواباً ونزعها عما لا يعتقده كذلك، بدءاً بالمجتمع الإسلامي وما يضمه من مناشط وقطاعات، وانتهاءً بالأدب الإسلامي!. من كتب هذا الفكر مثلاً تلك التي كان الطيبون يهدونها لنا في ختام العام الدراسي، وكنا نحفظ صفحات منها دون وعي[1]: (معالم في الطريق)، لسيد قطب، و(في ظلال القرآن)، له أيضاً، و(الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه)، لعبد القادر عودة، و(الموسوعة الحركية)، لفتحي يكن، و(مذكرات الدعوة والداعية)، لحسن البنا، و(العدالة الاجتماعية في الإسلام)، لسيد قطب، و(جاهلية القرن العشرين)، لمحمد قطب، و(قبسات من الرسول)، له أيضاً، و(طفل من القرية)، لسيد قطب، و(ماذا خسر العالم بانحطاط العالم الإسلامي)، لأبي الحسن الندوي، و(الجهاد لأبي الأعلى المودودي)، و(جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين)، لكامل الشريف، و(ملامح الانقلاب الإسلامي في حياة عمر بن عبدالعزيز) للدكتور عماد الدين خليل، و(الحجاب) لأبي الأعلى المودودي، و(الحكم في الإسلام)، له أيضاً. ثم روايات نجيب الكيلاني، وما ماثلها.

(١) أوافق الدكتور في جميع ما ذكر، وأنا ممن سُلِّم له بعض هذه المؤلفات التي ذكرها، وسلمت لغيري من الزملاء قبلي وبعدي، والتي توزع في ختام كل عام دراسي.

ثم كتب الفكر الحركي الإسلامي الذي يمنهج للفعل والتغيير، مثل كتب محمد أحمد الراشد: (المسار)، (المنطق)، (العوائق)، (البوارق)[١].

وقد بدأ نشاط هذه الجماعة يتغلل في المجتمع من خلال الأنشطة الطلابية الممنهجة والمدروسة بعناية وتخطيط، في المراكز الصيفية، وفي المخيمات الكشفية، وفي الجوالة (بديلاً للكشافة)، وهي لون من التطبيق العملي للجوالة في عهد حسن البنا في مصر.

وفي الأناشيد التحريضية الحماسية، وفي الأمسيات الشعرية الصنَّاجة الصاخبة، وفي الرحلات الطلابية، وفي اختيار النابهين من الطلبة، ودفعهم إلى الواجهة، وتبنيهم، والتركيز الشديد عليهم، ومحاصرة ونفي وإبعاد من لا يؤيد أو يتفق أو يعمل ضمن هذا الاتجاه عن أي منشط أو إعادة في الجامعة، أو مسؤولية إدارية.

لقد كنت في الجامعة ألحظ هذا الامتداد الواسع والعميق لهذا الفكر بين أوساط الطلبة، وأرى أن هذا النشاط ليس عفوياً ولا صدفة ولا نابعاً من خطط المنهج الدراسي، بل هو يهدف إلى غايات أخرى بعيدة، تأسيسية وتربوية وتنظيمية، يشرف عليه نفر من المنتمين إلى هذا الفكر ممن يتولون التدريس من بعض أقطار الوطن العربي، وممن تأسى بفكرهم من بلادنا ممن هم في مرحلة الإعادة أو الماجستير.

حتى مضت سنوات على نشوء هذه الأنشطة التأسيسية لهذا الفكر- أي بعد خمس عشرة سنة من بدء هذا النشاط في منتصف الثمانينيات الهجرية إلى قرب نهاية القرن - بدأت الثمار تؤتي أكلها وأصبح لهذا الفكر أنصار، ومن لا يتجه

(١) وحجبوا عن الشباب كتب السلف التي تؤصل للعقيدة الصحيحة، والسنة، والمنهج السليم، والتي تحث على طاعة ولاة الأمر، وتحرّم الخروج عليهم، وتبيّن ضلال الفرق الضالة كالخوارج وغيرهم.

إلى ما يتجه إليه هذا الفكر من تفسير للقضايا، ومن نهج دعوي إسلامي محارباً وغير مرضي عنه، ومضيقاً عليه، ومعرضاً للفتوى منه بأنه لا ينتمي إلى هذا المجتمع فكرياً، وأصبح من اليسير أن تسمع في هذا المجتمع المسلم الفطري المتسامح كلمة (إسلامية) مطلقاً على منشط. وكأن ثمة ما يختلف معها اختلافاً بيناً ومصادماً في وجوه الحياة كافة في هذه البلاد [١]. وهذه سمة طارئة غريبة لم نكن نعرفها ولا نلقي لها بالاً؛ لأن المجتمع كله بطبيعته إسلاميٌ ملتزم، فليس ثمة ضرورة لإطلاق الصفة على من لا يحتاج إلى تأكيد هذه الصفة فيه؛ لأنه متصف بها بالضرورة[٢].

وقليلاً من السنوات مرت بعد مطلع هذا القرن الهجري، حتى بدأت الأفكار تنسل إما من عباءة هذا الفكر الحركي التنظيمي - الذي يضم في تأسيسه الأول ما يسمى بالمكتب السري وأعضائه -، وإما أن تنشأ جماعات أخرى تختلف معه، وقد تتحارب وتشتد معه في الخصام من المنتمين إلى أنماط من التفكير الآخر، وفيه ما هو غال وما هو متسامح وفطري. فرأينا في مجتمعنا الطيب بعد غزو كتب هذا الفكر وما أحدثه من ردود خارجة عليه من يكفر، ومن يدعو إلى الجهاد ضد مسلمين، ومن يخرج على النظام العام، ومن يورط المجتمع كله في إشكالات ومصادمات مع مجتمعات أخرى !! الخاسر الوحيد فيها وفي ما تجر إليه من ويلات هو الإسلام نفسه والمجتمع الإسلامي من بعد!.

ونقول: إن فكر جماعة الإخوان هو الذي أنبت العنف رداً على ما قوبل به من السلطات السياسية، وإن كان غير مرضي عن هذا العنف، ولا عن الفكر

(١) فما كانوا يطلقونه من تعبيرات في بلدانهم، والتي بعض سكانها لا يدينون بدين الإسلام، صاروا يطلقونه على مجتمعنا السعودي المسلم، مع أنّه مجتمع كله مسلم والحمد لله.
(٢) لكن هم لا يرون ذلك إلا بالنسبة لمن يرضى بتنظيمهم.

التكفيري الذي نتج عنه من كثير من زعماء الإخوان، بيد أن هذه الزعامات كان عليها أن تدرك أن مواجهة الواقع وقلبه وتغييره ليس سهلاً ولا مقبولاً ولن يكون - في كل الأحوال - مرضياً عنه. وسيكون من نتائجه عنف وعنف مضاد، وها نحن نرى الدماء والقتل في كل مكان من عالمنا الإسلامي لإحداث هذا التغيير، ولإقامة الدولة الإسلامية - المزعومة -، دماء في الجزائر وفي مصر وفي المملكة، وفي العقود الماضية في دول أخرى، في سوريا وفي السودان وفي تركيا، وفي غير ذلك من البلدان، لقد كان عنف بعض السلطات السياسية بليغاً وقاسياً جداً[١]، مما دفع كثيرين من الشباب الذين تعرضوا للاضطهاد إلى نعت المجتمع كله بسلطاته وفئاته بالكفر[٢]، ويقدم عمر التلمساني أحد زعماء هذا التيار اعترافه بهذا، فيقول: (. . وفي غمار هذا الهول الشنيع نبتت فكرة التكفير عند بعض الشباب، وراحت تصرفات رجال السجون والمباحث تنمي معنى التكفير في عقول ذلك الشباب، الذي يبيت على تعذيب ويصحوا على تعذيب. دونه مارواه التاريخ لنا عن محاكم التفتيش. ورسخت فكرة التكفير في ذهن بعض الشباب وآمنوا بها في اقتناع عجيب، واتسع نطاقها في محتفل مزرعة ليمان طرة) «انظر: ذكريات. . لا مذكرات، (ص١٣)، لعمر التلمساني، دار الطباعة والنشر الإسلامي، القاهرة.

إن حسن البنا مؤسس هذه الجماعة سار في رؤيته الفكرية إلى تكوين

(١) والظاهر أنّه لا يجدي مع المتمين لهذا الفكر إلا القوة والحزم، فإنّ من يتساهل معهم يقلبون له ظهر المجنّ كما حصل في بلادنا السعودية، وما ذاك إلا لأنهم قد أُشربوا فكر الخوارج الذي لا ينفع معه أي لين؛ لشدة ضلالها وانحرافها.

(٢) فما ذنب مجتمعنا وولاة أمرنا وعلمائنا الذين صاروا يُنعتون بالكفر من قبل أتباع هذه الجماعة؟ وهم - أعني مجتمعنا - لم يحصل منهم أي عنف أو قسوة أو اضطهاد لهذه الجماعة وأتباعها قبل تهييجهم للناس وحملهم للسلاح علينا.

مجتمع جديد، واختط لقيام هذا المجتمع أسلوباً في البناء والتنظيم قائماً مع المناطق والشعب والفروع، واستخدم لذلك أسلوباً واسعاً تربوياً وتجارياً وإعلامياً، وتضمن فكرة الولاء المطلق القائم على البيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى السرية، وعلى التنفيذ، وعلى الانتشار، وعلى تكثير الأتباع، وعلى تحقيق غايات كثيرة منها الوصول إلى القيادة في كل قطر، وشاعت وذاعت مصطلحات جديدة أنبتها هذا الفكر : الحاكمية، الجاهلية، الانقلاب الإسلامي، منطلقات العمل الإسلامي، الممنهج»[١].

وفي ظلال من هذا التحول خرجت الإسلامية من معناها الشامل إلى معان حركية انقلابية، وتنامت الجماعات المؤيدة الغالية المندفعة المتطرفة، مثل جماعة التكفير والهجرة، أو جماعات أخرى منشقة تنحت لها أنماطاً أخرى من التفكير ومناهج العمل، وقد كان من طبيعة هذا المجتمع[٢] أنه لا يعترض على أي عمل يتزيا بزي الدين، فلم يكن يأبه للمناشط المتعددة والمتعاظمة في سنوات مد هذا الفكر لدينا بدءاً من منتصف الثمانينات الهجرية إلى أن بلغ أوجه في السنوات العشر الأولى من القرن الهجري الجديد، إلى أن جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أفرزته من تداعيات سياسية عالمية على الإسلام والمسلمين وعلى أقطار شبه الجزيرة والخليج، وعلى بلادنا على الأخص، فكان لابد من مراجعة دقيقة لنتائج كل التيارات الفكرية الناشطة، وكان تفسير سمو الأمير نايف - يرحمه الله - لبعض آثار هذه التيارات خبر فاتح لكل الدارسين والمصارحين والمحللين.

---

(١) وعلى هذا المنهج سار من يسمون بمرشدي الجماعة من حسن البنا إلى محمد عاكف، وقد تقدّم ذكر بعض الأمثلة من منهج حسن البنا في ذلك.

(٢) أي المجتمع السعودي.

إن الإسلام بعظمته وسموه وقيمه الخالدة سيظل إلى الأبد - إن شاء الله - منهج هذه البلاد، ولكن الإسلام البعيد عن التطرف والعنف؛ الإسلام الذي يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم، يحب ويتآلف ويتصل بالعالم، لا يبذر الشقاق والنزاع والفاقة والعوز، إسلام بعيد عن الحزبية والغلو والتطرف واحتكار تفسير النص»ا.هـ.

وقال الشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني الجزائري في الموضوع نفسه بعد ما ذكر بعض أخطاء وضلالات محمد قطب ومحمد سرور، وذكر تأثر بعض تلاميذهم من أبناء هذه البلاد بأفكارهما: «وأقول أخيراً إنّ بداية افتتان هؤلاء الشباب بهذه الأفكار، كان سببه وفادتها عليهم من قبل الإخوان المسلمين بعد أن أثاروا زوابع القلاقل في أمصارهم سواءً كانت هذه الإخوانية مصرية قطبية تكفيرية، أم كانت سورية صوفية، فلما شُرّد هؤلاء وضُرب عليهم جميعاً بيد من حديد، فروا ولجأوا إلى البلاد التي يكنون لها العداء الأكبر، ألا وهي الدولة الوهابية كما يسمونها، واستغلوا في ذلك كون هذه الدولة هي الوحيدة في العالم الإسلامي التي تدعم قضايا المسلمين رسمياً، كما استغلوا حسن ظن أهلها بهم ومحبتهم للمسلمين، وبدلاً من أن يأخذوا التوحيد الفطري من عجائز نجد، فضلاً عن أن يتعلموه على أيد علمائها، وبدلاً من أن يحمدوا الله الذي آواهم، ثم يشكروا لصاحب الدار إكرامه لهم، جعلوا ينشرون أفكارهم المنحرفة بألسنة سحارة، وبسطوا نفوذهم حتى تصدروا المجالس وتسلموا الإدارات بشهادات غرارة، فما زالوا بأبناء جزيرة التوحيد حتى ربوا منهم أشكالاً غريبة، منهم أولئك الذين بيّنا حيرتهم العقدية آنفاً في أصل التوحيد، فماذا بعد العقيدة يا قوم؟»[1] ا.هـ.

(١) مدارك النظر (١٢١ - ١٢٢).

وقال أيضاً في كتابه (تخليص العباد من وحشية أبي القتاد)[١] بعدما ذكر بعض أخطاء المتأثرين بفكر الإخوان المسلمين، من أبناء بلدنا، قال: «لقد وقع هؤلاء فريسة دعوة (الإخوان المسلمين)، الذين غزوا ديارهم بأفكار لم يكونوا يسمعون بها، وتلونوا بلونهم برهة من الزمن، وأعطوهم من ألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى إذا ذلّت لهم الطريق وآنسوا من بلاد الغربة الرفيق، استولدوا بنات أفكارهم في أوكارهم، فتخرّج على أيديهم أشكال غريبة عن دعوة علمائهم، كهذين اللذين سبق ذكر شيء من إنتاجهما المصنوع على عين (الإخوان) في الطعن على الدعوة السلفية»ا.هـ

قلت: وبعد ما سقت لك أيها القارئ الكريم هذا التصوير البيّن عن تغلغل فكر الإخوان في بلدنا[٢] في هذا المبحث، فإنني أتساءل: فإلى متى يستمر الخداع؟

* * *

(١) ص (١٣٤).

(٢) وينظر: مقال بعنوان (بين تفجيرات المكفّرين وتقلبات المتلونين) للأستاذ القدير عبد الرحمن الشميم، نُشِر بجريدة الجزيرة يوم الجمعة ٩ ربيع الآخر سنة ١٤٢٥هـ عدد (١١٥٦٥) يؤكد ما سبق ذكره في هذا المبحث، ويؤكد على أنّ دعوة من يسمون بدعاة الصحوة في بلدنا هي دعوة الإخوان المسلمين.

المبحث السابع عشر

نقل لكلام بعض دعاة الصحوة في بلادنا

ولكي تتضح الصورة أكثر، ويلحق الشبيه بشبيهه، والنظير بنظيره، والفرع بأصله، فإنني أنقل بعض الكلام عن ثلاثة ممن يسمون بدعاة الصحوة في بلدنا، ولا أريد أن أذكر أسماءهم لكي لا يفهم أنّ غيرهم ليسوا مثلهم؛ ولأنهم قد أظهروا بعض التراجع عما في بعض طرحهم السابق، وإن كان ذلك ليس واضحاً بالمعنى الذي يزيل اللبس؛ لأنّ مقتضى الرجوع إلى الحق يحتم عليهم البيان بما يزيل اللبس ويوضّح المقصود؛ لأنّ كتبهم وأشرطتهم السابقة ما زالت تباع وتوزّع بكميات كبيرة، وبدون نكير من أحد.

قال أحدهم في شريط رقم (١٨٥) من شرح له على أحد كتب العقيدة:

«إن المظاهرة النسوية أسلوب من أساليب الدعوة والتأثير».

هكذا قال!، بينما قال أهل العلم: «إنها من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب بغض الناس والتعدي عليهم، وليست من الأسباب المشروعة»[(١)].

وقال في كتاب له[(٢)]:

«إنما أصابنا لم يكن إلا بما كسبت أيدينا، واقترفنا من ذنوب وعصيان، وخروج عن شرع الله، ومجاهرة بما حرم الله، وموالاة أعداء الله، وتهاون

(١) ينظر: أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز عن المظاهرات الرجالية والنسائية في فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، ص (١٤٣) الطبعة الثانية.
(٢) ص (١٣٨).

في حقه وتقصير في دعوة الله؛ اشترك في ذلك الحاكم والمحكوم، والعالم والجاهل، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، على تفاوت فيما بينهم، لقد ظهر الكفر والإلحاد في صحفنا، وفشى المنكر في نوادينا، ودعي إلى الزنا في إذاعتنا وتلفزيوننا، واستبحنا الربا حتى إن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله إلا خطوات معدودة، أما التحاكم إلى الشرع - تلك الدعوة القديمة - فالحق أنه لم يبق للشريعة عندنا إلا ما يسميه أصحاب الطاغوت الوضعي (الأحوال الشخصية)، وبعض الحدود التي غرضها (ضبط الأمن)» ا.هـ

ومعلوم لدى كل مسلم أنّ استحلال ما كان معلوماً من الدين بالضرورة كفر يخرج من الملة، ويلزم من هذا تكفيره للمجتمع كله؛ ولأنه أيضاً لم يستثن أحداً.

وقال في شرحه لكتاب في العقيدة، رقم (٢٦٦/ ٢):

«فشوقنا كبير أن تكون أفغانستان النواة واللبنة الأولى للدولة الإسلامية، وما ذلك على الله بعزيز» ا.هـ

وهذا معناه أنه لا يرى أنّ هناك دولة إسلامية غير أفغانستان بما في ذلك بلد التوحيد والسنة المملكة العربية السعودية، والتي يعيش فيها؛ وينعم بخيراتها ويعلم تطبيقها للشريعة، لكن القوم لا يرضون إلا بمن كان تابعاً لهم في كل شيء حتى في الباطل.

وقال في شرح الكتاب (١٨٦/ ٢) الوجه الأول بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤١٠هـ:

«سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كتب أحد أكثر مما كتب في هذا العصر في بيان حقيقة لا إله إلا الله. . .[1] انظر مئات الصفحات (من الظلال) تتحدث

(١) وقد علمت ما تقدم من ضلالات سيد لا سيما في العقيدة ومخالفته لأهل السنة والجماعة في أبواب عقدية لا يجوز لمسلم يتقي الله ويعرف سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهج أصحابه أن =

عن هذا الموضوع».

وقال (أثناء إجابته على الأسئلة) :

«إن علماء أهل السنة والجماعة أجابوا عنها بلسان الحال، أو لسان المقال، أو تلميحاً، وقد وجدت أن أفضل من أجاب على هذه الأسئلة من فقهاء الدعوة المعاصرين هو الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ» ا.هـ

فأنت لا تجد فرقاً من ناحية المعنى بين ما ذكره هذا الداعية، وما سبق نقله عن سيد قطب من تكفير، فهو نقل لمفاهيم قالها سيد قطب، والخلاف بينهما إنما هو في الأسلوب.

وقال هذا الداعية أيضاً في أحد كتبه الذي وجهه لهيئة كبار العلماء :

«وبعد. . . الآن وبعد أن استعرضنا القضية من بدايتها وجذورها وخططها وإرهاصاتها وإخراجها، أتظلّ المسألة مسألة استعانة كما فهم المشائخ والإخوان الأفاضل أصحاب الرأي الأول، أما من جهة الواقع فالمناط مختلف جداً، فالهيئة - يعني هيئة كبار العلماء- تقول: استعانة، وهم يقولون: احتلال، وعلينا معرفته ومدارسته، والخروج بما يبرئ الذمة ويسقط المؤاخذة ويدفع عذاب الله . . .» ا.هـ[1].

فمع انتقاصه للعلماء في أكثر من مناسبة ووصفهم بالقصور في معرفة الواقع وفهمه[2]، وأنه يكمّل النقص الذي عندهم. . . ، أثبتت الأحداث

= يسكت عنها فضلاً عن أن يمجد قائلها ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه إذا كان علماء السلف قالوا عن جهم بن صفوان بأنه ينبوع البدع فالذي أراه أن سيد قطب هو ينبوع آخر للبدع في هذا العصر، فكيف يمجد هذا التمجيد من قبل بعض أبناء بلد التوحيد والسنة؟!!

(١) ص (١٢٦- ١٢٧).

(٢) حيث قال في شريط له يوم سئل عن سبب سكوت علماء المملكة عن فضح الأحزاب المعاصرة، كحزب البعث لما كانت أزمة الخليج، فقال: «لماذا نضع اللوم دائماً على جهة =

والوقائع صحة وبعد نظر العلماء، وخطأ وخلل المدعين لفقه الواقع، وبعد نظرهم عن الواقع الصحيح.

وها هو الداعية الآخر يقول في شريط (حول الأحداث الجديدة) رقم (٧٨):

«فتأتي إلى خطيب فتجد كأنه قد أصم أذنيه ولم يسمع شيئاً، يتكلم عن موضوع بعيد بالمرة، إما أنه يتكلم تحت الأرض فيما يتعلق بأحوال الآخرة والقبر والموت، وإما أن يتكلم فوق السماء فيما يتعلق بأمور الجنة والنار والبعث والحساب وغيرها، كل هذه الأمور حق والكلام فيها حق، لكن ينبغي أن الإنسان يستغل الفرص كون النفوس متهيئة للوعظ والإرشاد

= معينة وخاصة الذين يعيشون معترك معين (هكذا) وظروف (هكذا) معينة تحتم عليهم مجاملات وأوضاع (هكذا) صعبة، نحن الذين في بجبوحة أن نقول الحق في بيوتنا وفي مساجدنا . . . علماؤنا يا إخوان كفاهم لا نبرر لهم كل شيء لا نقول هم معصومون، نحن نقول: عندهم تقصير في معرفة الواقع عندهم أشياء نحن نكملهم، ليس من فضلنا عليهم، لكن عشنا أحداثاً (هكذا)، وهم ما عاشوا بحكم الزمن الذي عاشوا أو بأحكام أوضاع أخرى، ومع ذلك أقول: المسؤولية الأساسية علينا نحن طلبة العلم بالدرجة الأولى، وبعض هؤلاء العلماء قد بدأ يسلم بالأمر؛ لأنه يعني انتهوا في السن !!! أو إلى مرحلة . . .»ا.هـ

فانظر - رعاك الله - إلى شدة هذا الكلام والظلمات التي حواها هذا الخطاب، وصاحب هذا لم نقرأ له عن سيد قطب إلا التمجيد والتبجيل والإكبار، مع علمه بما قاله سيد من وصف نبي الله موسى بالعصبية، ووصفه لبعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنفاق والغش والكذب والخداع، ومن قوله بتكفير المجتمعات الإسلامية قاطبة حكاماً ومحكومين، ومن إحيائه لفكر الخوارج إضافة إلى ضلالاته الأخرى الكبيرة، بينما يقف هذا الداعية هذا الموقف المزري المشين مع علمائه ومشائخه، والنتيجة هي أن الشاب الذي يقرأ هذا الكلام سيصل إلى أن علماء هذه البلاد غير مخلصين، فليسوا أهلاً لأخذ العلم عنهم أو سؤالهم، وبالتالي الانتقال إلى كتب سيد قطب وأمثاله، فيؤول به الأمر إلى تكفير مجتمعه والقيام بالتفجيرات فيما بعد، كما هو حاصل الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والتوجيه وأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث، ويطمئن الناس على هذا الأمر، يكون مصدر طمأنينة للناس، مصدر سكون لنفوسهم، يحيي المعاني الإيمانية في قلوبهم - كما ذكرت - يبين لهم المخاطر التي تهددهم، بحيث يكون الكلام متعلقاً بالواقع، أما أن نعيش أحداث مؤثرة تحرك قلوبنا جميعاً ثم نأتي للمتحدث أو الخطيب فنجده يتكلم في واد آخر، فهذا في الواقع - يعني - ذهول وغيبوبة لا يجوز أن يقع المؤمن أو العالم أو الداعية ضحيتها . . . » .

وهذا لا يحتاج إلى تعليق، حيث تضمّن الانتقاد لمن يهتم بأمور العقيدة وتذكير الناس بآخرتهم، وهذا لا شك من تأثير الدعوات التي وفدت إلى بلادنا فغيّرت المفاهيم الصحيحة، واستبدلتها بما تسميه المفاهيم الحركية.

ثم إنه الآن بعد وقوع الأحداث الجسام في بلدنا من تكفير وتفجير وتدمير، لم نسمع له محاضرة واحدة عن هذه الأحداث مع انتقاده الشديد سابقاً للدعاة الذين لا يعيشون الواقع، ولا يعبرون عن الأحداث التي تقع، فبماذا يُفسّر هذا ؟

٢- قال في شريط آخر له بعنوان (هموم ملتزمة) رقم (١٠٦) في بداية الوجه الأول: «ضغوط الناس لا يمكن إهمالها بحال من الأحوال الآن، ونحن في عصر صار للجماهير تأثير كبير، فأسقطوا زعماء كبار، وهزوا عروش (هكذا)، وحطموا أسواراً وحواجز، ولا زالت صور العزّل الذين يواجهون الدبابات بصدورهم في الاتحاد السوفيتي . . .».

وهذا فيه تهييج للعامة والغوغاء ضد ولاة أمرهم.

٣- قال في شريط آخر :

«الرايات المرفوعة اليوم في طول العالم الإسلامي وعرضه إنما هي رايات علمانية . . . ».

قلت : والعلمانية معتقد كفري، فيكون جميع ولاة المسلمين والذين

يحكمون البلاد الإسلامية كفاراً، وهذا ترديد لأفكار سيد قطب، لكن بعبارات مختلفة في اللفظ ومتفقة في المعنى.

٤- وقال في شريط آخر حيث سئل: لا يخفى عليكم نظام الحكم في ليبيا، وما فيها من محاربة للإسلام والمسلمين، فما هو واجب المسلمين هناك؟ أيفرون بدينهم؟ فأجاب: «هذا في كل بلد».

٥- وقال في شريط في من يجاهر بمعصيته، قال: «هذا لا يغفر الله له إلا أن يتوب، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم بأنه لا يعافى: «**كل أمتي معافى**»؛ لأنهم مرتدون بفعلهم هذا ردة عن الإسلام، هذا مخلد والعياذ بالله في نار جهنم إلا أن يتوب، لماذا؟ لأنه لا يؤمن بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾. بالله عليكم الذي يعرف أن الزنا حرام وفاحشة ويسخط الله، هل يفتخر أمام الناس، أمام الملايين، أو مئات الألوف من الناس؟! لا يفعل هذا مؤمن أبداً».

فانظر في هذا الكلام الخطير، فإنه موافق لمعتقد الخوارج الذين يكفّرون مرتكب الكبيرة، وإلا فمن أصول أهل السنة والجماعة أن من مات من المؤمنين مصراً على ذنبه، فهو في مشيئة الله وخياره، وليس لأحد أن يتسور على الله في علم غيبه وبجحود قضائه، فيقول: «إن الله لا يغفر له».

٦- ومما قاله من ضمن أقوال رموز الإخوان في هيئة كبار العلماء وغيرهم، قال في شريط له: «في بلاد العالم الإسلامي اليوم جهات كثيرة جداً لم يبق لها من أمر الدين - وقد تكون مسؤولة عن الفتيا - أحياناً - أو عن الشؤون الإسلامية - لم يبق لها إلا أن تعلن دخول شهر رمضان أو خروجه...».

٧- وفي الحوار الذي أجرته معه مجلة الإصلاح الامارتية، عدد (٢٣) ص (١١) قال: «. . . الأحداث التي حدثت في الخليج لم تزد على أنها كشفت النقاب عن علل وأدواء خفية كان المسلمون يعانون منها، وأكّدت أنهم ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت عن عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين بحيث أنها تحصر نطاق الخلاف، وتستطيع أن تقدم لها حلاً جاهزاً صحيحاً وتحليلاً ناضجاً»[١].

فهل يرى أن هيئة كبار العلماء مرجعية علمية غير صحيحة؟ وهل فتاواهم تحليلات غير ناضجة؟، وهل يعد الشيخ ابن باز وابن عثيمين - رحمهما الله - غير موثوقين هما وغيرهما من العلماء حتى يعتبر وجودهم كالعدم؟، إن هذا من الظلم العظيم والخطأ الجسيم، مع أنه مع غيره من المتأثرين بفكر الإخوان المسلمين كثيراً ما ينادي بالعدل والإنصاف والموازنة بين الحسنات والسيئات عند ذكر الأخطاء، فأين نصيب الهيئة، والدولة والعلماء المخالفين من هذه المناداة؟، أم أنّ المقصود بها السكوت عن أهل البدع ورموز الجماعات الحزبية[٢]، فإذا كان أبرز علماء العصر ليس موثوقاً

(١) يقول الشيخ العباد في رده على هذا الداعية والذي قبله لما خالف رأيهما رأي هيئة كبار العلماء في الاستعانة بالقوات الأجنبية ضد حاكم العراق: «إن مجيء تلك القوات إنما كان ضرورة، وهو نظير استعانة المسلم بغير المسلم في التخلص من اعتداء لصوص أرادوا اقتحام داره وممارسة أنواع الإجرام فيها وفي أهلها، أفيقال لهذا المعتدى عليه: لا يسوغ لك الاستعانة بكافر في دفع ذلك الضرر؟! ثم إن الخلاف الحاصل في كثير من مسائل العلم منذ زمن الصحابة، ولم يكن بعضهم يسفه بعضاً فضلاً عن أن يكون الصغار هم الذين يجرؤون على تسفيه الكبار، كما حصل مع هذين الشابين أصلحهما الله»ا.هـ (مدارك النظر) ص (١٢).

(٢) بل إنّه أثنى على رموز الإخوان البنا وسيد قطب ومحمد قطب، وغيرهم وامتدح مناهجهم، كما في شريط (تقويم الرجال)، بينما في كتابه (أخلاق داعية) ركّز على انتقاد أهل الحديث، وعلى من يشتغل بالفقه بحجة الاستغراق في الجزئيات.

بهم، فمن الذين يوثق بهم؟!!.

وأين يذهب الناس لمعرفة دينهم؟

ومع الأسف أنه ما زال عند رأيه، وما زال ينادي بإيجاد مرجعية علمية للمسلمين غير رسمية، كما ينادي بذلك القرضاوي وغيره من حزب الإخوان، وهذا يدل أنهم لا يعتبرون صحة أي بيعة من البيعات الموجودة لولاة الأمور في العالم الإسلامي، وإلا فكيف تسير الأمور ومنها الإفتاء وتطبيق الأحكام على الناس إذا لم تكن هناك جهة رسمية يوكل إليها مثل هذه الأمور...؟.

ثم إن ما تقدم من الطعن في العلماء وانتقاصهم، جعل الثقة بالعلماء تهتز لدى الشباب وينصرف الشباب عنهم إلى من يظنون عنده العلم بفقه الواقع، مما جعلهم يقعون في أخطاء قاتلة، أخطاء ضالة ومضلة، مثل ما نرى اليوم في بلادنا وفي غيرها ممن انخرط في الجماعات الحزبية وانخدع بشعاراتها المرفوعة، ولم يفطن وينتبه لحقيقة ما يراد به وبدينه وعلمائه وبلده ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وها هو الداعية الثالث يقول في شريط (نصر أو هزيمة) الوجه الثاني:

«والإسلام أوسع من أن تجعل لي دوائر ضيقة لتقييدي، الإسلام رحب، والإسلام واسع أستفيد من كل أحد، الداعية الذي يهتم بالرقائق معي، والداعية الذي يهتم بالعقيدة معي، والداعية الذي ينادي بالحاكمية لله معي، أما أن يجعل الإنسان حوله دوائر مغلقة، ويرى أن من دخل معه هو المصيب، ومن خالفه فهو المخطئ، فلا».

وهذا الكلام فيه عموم وإجمال لا يصلح أن يسلكه الداعية، بل الواجب التفصيل في مثل هذه الأمور، وبيان أن الواجب عند الخلاف والتنازع هو

الرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله وفهمها وفق فهم سلف الأمة، وبيان أن الذي يقتدي به من العلماء والدعاة هم من كان على المنهج الصحيح، ولا يصلح الأخذ عمن هب ودب حتى وإن ادعى العلم.

٢- وقال في خطبة جمعة: «والذي نفسي بيده لقد خرج بالجزائر في يوم واحد سبعمائة ألف امرأة مسلمة متحجبة يطالبن بتحكيم شرع الله»[١].

وهذا العمل ليس من السنة في شيء، وهذا الداعية عنده شطحات كثيرة في بعض كتبه ومؤلفاته وأشعاره وفيها طابع ثوري تحريضي، ولعله رجع عنها - عفا الله عنا وعنه -، لكن الشباب ما زالوا يتناقلون هذه الكتب وهذه الأشرطة، والواجب عليه توضيح رأيه في ذلك بجلاء والتحذير مما في كتبه مما يخالف الحق.

يقول في إحدى رسائله[٢]:

«وباكستان أرض الأستاذ أبو الأعلى المودودي الداعية الشهير والكاتب الخطير، والذي أوذي في سبيل الله وصبر واحتسب:

نفسي فدتك أبي الأعلى وهل بقيت نفسي لأفديك من أهل ومن صحب

أما استحى السجن من شيخ ومفرقه نور لغير طلاب الحق لم يشب

وقال في رسالته (كتب في الساحة الإسلامية)[٣] وهو يتكلم عن الكتب المهمة في هذا العصر، قال: «وكتب سيد قطب، ومحمد قطب، وكتب أبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي، وكتب المنطلق والرقائق

(١) ينظر: مدارك النظر، ص (٤١٦).
(٢) ص (٨).
(٣) ص (٦٦).

والعوائق لمحمد أحمد الراشد وغيرهم . . .»[1].

قلت : فإما أنه لم يعرف ما فيها من باطل وأثنى عليها بغير علم وهذه مصيبة، وإما أنه يعرف ما فيها من باطل وكتمه بل وجعله حقاً، فالمصيبة أعظم.

* * *

(١) ومع أنه أشاد بهؤلاء الذين هم رموز التكفير والبدعة والدعوة إلى الثورات والانقلابات في هذا العصر، انتقص علماء بلده ووصفهم في عدة مقابلات له بأنهم يعيشون في أبراج عاجية، وانتقد بعض رسائل أئمة الدعوة، ويدعو كما يقول إلى وحدة الصف لا إلى وحدة الرأي، ويزعم كما في جريدة الوطن العدد (١٢١٣) في (٣/ ١٢/ ١٤٢٤هـ) أنه لم يُطلب من الناس أن يتفقوا في كل مسألة، لم يُطلب منهم هذا شرعاً ولا قدراً ولا طُلب منهم عقلاً، هكذا قال، وكأنه لم يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وخلط بين الشرعي والكوني القدري. . . ، والتناقض سمة ظاهرة في أقوال وكتابات هذا الداعية.

المبحث الثامن عشر

مصادر هذا الفكر ومنابعه في بلادنا وأسباب انتشاره

ذكرت فيما مضى أنّ فكر الإرهاب والتكفير في العصر الحديث نبع من أفكار جماعة الإخوان المسلمين على مختلف توجهاتهم - اجتراراً لفكر الخوارج المتقدمين -، وذكرت أن هذا الفكر وفد على بلادنا مع رموز الإخوان الذين آوتهم بلادنا من باب الأخوة الإسلامية، والمحبة الإيمانية، والنصرة للمسلمين، والوقوف معهم، والتعاون على البر والتقوى، ولكنهم لم يقابلوا ذلك بما يستحقه، وبما يجب أن يكون عليه المسلم الذي يتقي الله، ويتبع السنة، ويعرف الفضل لأهله، فزرعوا أفكارهم المخالفة للسنة في بلد التوحيد والسنة، زرعوها بطرق ماكرة وحيل فاجرة، استغلوا كون بلادنا السعودية - حرسها الله - هي الدولة الوحيدة في العالم التي تدعم قضايا المسلمين رسمياً، كما استغلوا حسن ظنّ أهلها بهم ومحبتهم للمسلمين، وقد ذكرت كيف تغلغل هذا الفكر في بلادنا، وضربت بعض الأمثلة من كلام بعض دعاة الصحوة، والتي تدل على تأثرهم بهذا الفكر الوافد وتبنيهم له والقيام بنشره نيابة عن متبوعيهم، فأصبحوا مصدراً له في بلادنا وحاضناً له، وفرعاً لأصله الخارجي (الوافد من الخارج)[1]، وإنه بالاستقراء للكثير من كتب وأشرطة ونشرات بعض

(١) ونجدهم الآن وقد أعرضوا عن الكلام في سبب نشوء هذا الفكر وانتشاره إلى مواضيع جانبيه حاولوا أن يجعلوها سبباً لانتشار هذا الفكر، ومنها البطالة، يقولون هذا وهم من أكثر الناس قناعة من عدم واقعية هذا السبب، وأصدر بعضهم بعض البيانات العائمة والمتكلفة بعدما صدّروا أنفسهم لتوجيه الأمة، وزعموا أنهم يناقشون هذا الفكر، ويبينون حكمه، وهم في الواقع شكلوا حائلاً قوياً بين الناصحين وبين كشف هذا الفكر وحقيقته ودعاته الذين =

من يسمون بدعاة الصحوة، والتي سعى شباب الصحوة جاهدين لنشرها وتوزيعها وبيعها وإهدائها باسم الغيرة على الدين والحماس للدعوة ولقضايا المسلمين، تجد أنها قد حوت الكثير والكثير من مسببات فكر التكفير المولد للتفجير والتدمير، وسأضرب أمثلة لبعض ما حوته إضافة إلى ما تقدم من النقل عن بعضهم :

١- تأويلهم للأحاديث التي تأمر بطاعة ولي الأمر في المعروف، وتمنع وتحرّم الخروج عليه، على أنّ المقصود بها الإمام الأعظم الذي هو خليفة لجميع المسلمين، وتجاهلوا إجماع العلماء على أنه عند تعدد الأقطار الإسلامية يكون لولي الأمر في كل قطر يحكمه ما للإمام الأعظم من حقوق، وما عليه من واجبات في هذا القطر الذي هو فيه، وهذا التأويل للنصوص سهّل للجهلة وأصحاب الأهواء الأخذ ببعض أسباب الخروج باللسان وغيره.

= دعوا إليه ونافحوا عنه، ولذا فهم مع كثرة محاضراتهم وكلماتهم ولقاءاتهم لم نسمع عن أحد منهم ولو محاضرة واحدة صريحة تدين هذا الإرهاب، وتبين أسباب وجوده وانتشاره وكيفية وضع الحلول له، أو تبين خطورته على المجتمع بل نجد منهم التحذير من اعتبار هذه الفئة متغلغلة في المجتمع، وإنما هي على حد زعمهم فئة قليلة معزولة، وهم يعلمون عدم صدق ذلك، ولعلهم إنما أرادوا إبعاد أهل الحل والعقد والعلم والرأي عن تقدير الخطر على حقيقته ومعاملته بما يناسب حجمه وخطره فكرياً وأمنياً واجتماعياً، ويؤكد ذلك أن كلماتهم ومحاضراتهم التي ألقوها بعد الأحداث الشنيعة المؤلمة التي تعرضت لها بلادنا في أغلبها لا علاقة لها بالحدث، وكأن شيئاً لم يحدث، مع أنهم انتقدوا علماءنا بأنّ عندهم قصوراً في فهم فقه الواقع وانشغالهم بالجزئيات والأمور الجانبية عن واقع الأمة، فأين هم وفقههم المزعوم عن واقع ما يجري في بلادنا؟. وللمزيد من توضيح هذه الصورة عنهم ينظر المقال الجيد الذي نشر في جريدة الجزيرة في عدد (١١٥٦٥) في يوم الجمعة ٩ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ بقلم الأستاذ عبد الرحمن الشميم بعنوان (تفجيرات المكفّرين وتقلبات المتلونين).

٢- قول بعضهم: (إنه لا توجد اليوم للمسلمين مرجعية دينية)، وهذا نتيجة للمثال الذي قبله، ثم إنّ هذا القول مع مخالفته لقول النبي ﷺ «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**» مخالف لواقع بلادنا السعودية؛ فإنّ فيها مرجعية دينية وهي هيئة كبار العلماء، وكذلك توجد هيئات دينية أخرى في البلاد الإسلامية، ولكن الأمر يرجع إلى كون هؤلاء لا يعترفون بشرعية البيعات الموجودة في الأقطار الإسلامية - اتباعاً لما أوضحناه سابقاً من فكر جماعة الإخوان المسلمين -.

٣- قول بعضهم: «إنّ أفغانستان نواة للدولة الإسلامية»، وهذا يدل على عدم اعترافهم بالبيعات الموجودة بما فيها البيعة لولاة الأمر في البلاد السعودية، وهذا الذي قالوه لا فرق بينه وبين قول سيد قطب: «إنّه لا توجد اليوم دولة إسلامية»، وقوله: «موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية يتحدد في عبارة واحدة أن يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها»[1] ا.هـ

٤- قول بعضهم: «إنّ المجاهر بالمعصية مستخف، والمستخف مستحل، والمستحل كافر»، وهذا تكفير لمرتكب الكبيرة كما هو قول الخوارج، وقد تقدم قول بعضهم: «لقد ظهر الكفر والإلحاد في صحفنا، وفشى المنكر في نوادينا، ودعي إلى الزنا في إذاعتنا وتلفزيوننا، واستبحنا الربا ... إلخ».

وهذا تكفير للمجتمع؛ لأن استباحة المحرم كفر، ولكن كيف عرف هذا القائل أنهم استباحوا ذلك، والاستباحة عمل قلبي؟، فما لم يعتقد المرء بقلبه استحلال الحرام، أو يصرح بلسانه أنه استحل المحرم كيف يعرف ذلك؟ ثم

(١) معالم في الطريق ص (١٠١- ١٠٣).

إنّ التكفير يحتاج فيه إلى الضوابط الشرعية؛ وهي توفر الشروط وانتفاء الموانع.

٥- وضع كثير من القضايا الشرعية في غير موضعها الشرعي الصحيح مثل الدعوة للجهاد، وإعلانه من غير نظر للضوابط الشرعية ولا سيما شرط إذن ولي الأمر ؛ إذ أنّ أمر الجهاد موكول إليه، وهو الذي يعلنه وتجب طاعته في ذلك، وبدون نظر هل الجهاد مشروع في هذه الحالة أم لا؟، وبدون النظر إلى المصالح والمفاسد المترتبة على ذلك والموازنة بينهما، فصار الجهاد عند هؤلاء غاية، بينما هو في الإسلام وسيلة لإعلاء كلمة الله، وليس غاية في نفسه(١).

ومن القضايا الشرعية التي وضعت في غير موضعها الشرعي الصحيح، التكفير، والولاء والبراء، حتى وصل الأمر بهم إلى التكفير بما لا يكفر بمثله، وتكلموا في مسألة الحاكمية والولاء والبراء كلاماً مجملاً، ولم يفصلوا التفصيل الذي يقتضيه الحكم الشرعي، والذي سار عليه العلماء الربانيون قديماً وحديثاً.

٦- تحمسهم للشريعة على جهل.

٧- تناقضهم في كثير من القضايا، ولا أدري إن كان بقصد أم بغير قصد.

٨- تقليلهم من الاهتمام بالعقيدة الصحيحة ومن يحملها، وثناؤهم وإطراؤهم لرموز وقادة الجماعات الحزبية، فمن قائل بأن العقيدة تشرح في عشر دقائق، ومن مقارن بين دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب،

---

(١) حتى صار التكفيريون التفجيريون يسمون قتلهم للآمنين في بلادنا الحبيبة جهاداً!، بل تعدوا ذلك حتى صاروا يقتلون عساكر أهل التوحيد، ويفجرون المنشآت، وبعض الدوائر الحكومية، ويسمون ذلك جهاداً، بل صاروا يفجرون المصلين في مساجدهم.

وحسن البنا، أو بين الإمام أحمد وسيد قطب، ومن قائل بأنه لم يكتب أحد أكثر مما كتب سيد قطب في بيان حقيقة لا إله إلا الله.

مع أنّه من المعلوم عند كل صاحب عقيدة صحيحة خطأ سيد قطب في تفسيره للا إله إلا الله، وأنه فسرها بغير معناها الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة، مما جعله يكفر المجتمعات الإسلامية قاطبة لا سيما التي تنطق بلا إله إلا الله كما يقول، فكيف يقال عنه مثل هذا الكلام، وترفع منـزلته إلى منـزلة الأئمة، ويُجعل مقارناً لإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل؟.

٩- عدم إنصافهم مع مخالفيهم، ووصفهم لهم بأقبح الأوصاف، والتي قد تصل إلى التكفير أحياناً، فمن انتقد منهجهم أو قدّم لهم نصيحة من أجل تغيير مسارهم ورجوعهم إلى الحق رموه بالعظائم، فإن كان الناصح عالماً شرعياً أو طالب علم، قالوا عنه بأنه عميل أو جاسوس أو مداهن للسلطة، ومنافق، وإن كان كاتباً مثقفاً أو مفكراً، قالوا : بأنه علماني وهذا إرهاب فكري.

١٠- أنهم ساعدوا على نشر فكر جماعة الإخوان المسلمين في بلادنا، فلذلك تمتلئ مكتباتنا العامة والخاصة، الحكومية وغير الحكومية بكتب ومؤلفات هذه الجماعة بمختلف توجهاتها[١] وهي في أغلبها تحارب

(١) بل إنّ هذا الأمر وصل إلى بعض مقررات المواد الدراسية غير الشرعية، كمقرر الأدب العربي للصف الثالث ثانوي، الفصل الدراسي الثاني لجميع الأقسام طبعة (١٤٢٤هـ)، فقد جاء في ص (٢٠) من المقرر المذكور : «. . . ثم كان المفكرون والأئمة المجتهدون في القرن الثالث عشر والرابع عشر ومن بينهم . . . والأستاذ حسن البنا، والأستاذ سيد قطب» وقد حذف أخيراً من مناهجنا، والحمد لله.

ففي هذا النص جعل حسن البنا وسيد قطب من الأئمة المجتهدين، وهما مجرد باحثين أو مفكرين إسلاميين وقد تقدم ص (١٠٥- ١١٣) وص (٧٥- ١٢٣) الكثير من أخطائهما =

العقيدة التي قامت عليها بلادنا، وسار عليها علماؤنا.

١١- إصدارهم للبيانات ونشر الكتب التي تدس السم في العسل، والتي ملئت بالمطالبة بالتثبت والتروي وعدم الاستعجال واتهام الدعاة وشباب الصحوة - على حدّ تعبيرهم - وأهل الخير و.. و.. وإلى غير ذلك من العبارات التي رأيت من خلالها أناساً يطالبون بالتثبت وهم من أبعد الناس عنه، فتاريخهم يؤكد أنهم ما تركوا مناسبة إلا وطعنوا فيها بولاة أمرنا وعلمائنا دون تثبت أو خوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك باسم الغيرة على الأمة

= العقدية، ومخالفتهما للمعتقد الصحيح في أمور كثيرة، فكيف يوصفا بهذا الوصف؟ وكيف يتسنى لطلاب هذه المرحلة معرفة أخطائهما بعد هذا الوصف؟

ثم جاء في ص (٤٩) في وسط السطر في أعلى الصفحة هذا العنوان: منهج للبشر، لسيد قطب، ثم نقل نص من أحد كتبه، وجاء في التعريف بالكاتب، ص (٥٠) ما يلي:

«وقد تميّزت مدرسته الفكرية بالجدّية حينما اعتمد على القرآن والسنة المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي، ويظهر ذلك جلياً في كتبه الثلاثة (التصوير الفني في القرآن)، و(مشاهد القيامة في القرآن)، و(في ظلال القرآن)، كما تظهر الجدّيّة فيما ألّفه حول المبادئ الهدامة والانحرافات الحضارة مثل: (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، و(الإسلام ومشكلات الحضارة)، و(المستقبل للإسلام)، ثم جاء في آخر التعريف: «فلمح في كتبه المتعددة التي أسهمت في بعث الصحوة والتجديد الإسلامي»ا.هـ، بدون أدنى إشارة لمخالفاته العقدية، ومنها: طعنه في نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتفسيره للاستواء بالهيمنة، وتكفيره للمجتمعات الإسلامية، والتربية على الانقلابات، ووصفه للخوارج الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن تلك الثورة في عمومها من روح الإسلام، ووضع خطة للاغتيالات ونسف المنشآت، وقد تقدّم ذلك كله وغيره كما في ص (١١٥- ١٢٣)، ولا شك أنّ مثل هذا الثناء والإطراء والتمجيد لسيد قطب في كتاب مقرر على جميع طلاب السنة الثالثة الثانوية مع صغر سنهم نسبياً يجعلهم متحمسين للأفكار المبثوثة في كتبه مقتدين به، لا سيما إن كان مدرس المادة ممن يرى فكر سيد قطب وأمثاله، ولا شك أنّ مثل هذا الأمر سيكون سبباً لنشوء التطرف والإرهاب، فهل من مراجعة صادقة لما يبث في بعض المقررات الدراسية لا سيما مما قد لا يتفطن له لكونه من مقررات الأدب ونحوها؟.

وفقه الواقع وكلمة الحق، فنادوا بالتثبت عندما وجّه الاتهام للشرذمة الآثمة التي تبنت فكر التكفير وعقيدة التكفير التي استباحوا من خلالها الدماء والأموال، ودائماً كلما كانت الأمور ليست في صالحهم أو تفضح مسلكهم، نادوا بالتثبت وطالبوا به، ثم ما يلبثون أن يعرضوا عن هذا الطلب في أمور تستدعي التثبت، فالغاية تبرر الوسيلة فيما يظهر من أقوالهم.

١٢- أنهم بإساءتهم الظنّ في العلماء وولاة الأمر ومخالفيهم والطعن فيهم سموا ذلك أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، واستمالوا قلوب العامة بحجة الغيرة على الدين والحماس لقضايا المسلمين، وقد كان يسلك هذه الطريقة عبد الله بن سبأ الخارج المؤلب للخروج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان يقول لأتباعه: «ابدؤا في الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر»[(١)]، والعوام لطيبهم وجهلهم وحسن الظن بهم ينخدعون بكلامهم.

هذه أهم الأمثلة التي تنضح بها كتبهم وأشرطتهم ومنشوراتهم ومقالاتهم في المجلات التي تحمل فكرهم، وتطور الأمر بعد ذلك في الانترنت ثم في القنوات الفضائية التي كانوا من أشد المحاربين لها، ثم تحوّلوا فصاروا من أكثر الناس ظهوراً على شاشاتها . . .

وإنّ المناهج الدراسية المقررة في مدارس بلادنا وما تحمله من عقيدة صافيه ومنهج سليم شيء، وما يقوم به بعض المدرسين وبعض الدعاة وبعض الكتاب شيء آخر.

. . . وأنا تكلمت بصراحة، فالأمر جد خطير والمشكلة كبيرة جداً وتحتاج إلى جهود كبيرة وكبيرة لمعالجتها وتقليل خطرها على المجتمع السعودي

(١) تاريخ الرسل لابن جرير الطبري، (٤/ ٣٤٠).

المسلم المسالم المتأثر بكل دعوة تحمل طابعاً إسلامياً، مع أنّ كثيراً من الشعارات التي ترفع اليوم - وإن كانت ذات مسميات إسلامية - هي في الحقيقة ليست كذلك، والعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمسميات.

وقد يقول قائل: إنّ رموز وقادة ما يسمى بدعاة الصحوة قد تغيرت مواقفهم وتغير طرحهم وأسلوبهم بعد ما أفتى العلماء بإيقافهم حماية للمجتمع من أخطائهم.

والجواب: أنّ هذا صحيح، ولكن بعد سنوات عادوا لكن بطريقة جديدة وبأسلوب مغاير وطرح مختلف خلى من التهييج السابق، فأخذوا يوجهون سهامهم إلى الدعوة المباركة التي حفظ الله بها البلاد أكثر من قرنين ونصف من الزمان، فاتّهم بعضهم الدعوة بأنها السبب في التكفير لدى الفئة الضالة التي كفرت حكومتنا، ودمّرت وفجّرت، وأنّ في الدعوة إلغاء للمخالف، وأنّه يجب مراجعة كتب أئمة الدعوة ورسائلهم، وبعضهم وصفها بأنها سلفية تقليدية (لا تناسب العصر)، وأنّ فيها جموداً وجوانب مظلمة[١]، وغير ذلك من الطعون الظالمة المؤلمة.

وهذا التوجه أو هذا الطرح يرجع من وجهة نظري إلى أمرين:

أولهما: أنهم يرمون إلى أمر بعيد، وهو إسقاط الأساس الذي قامت عليه هذه الدولة المباركة، وهو كفيل بسقوط كل ما قام عليه[٢].

الأمر الثاني: هو إبعاد الناس عن معرفة السبب الرئيس في فتنة الإرهاب والتكفير والتدمير الذي وجد في بلادنا من قبل الفئة الضالة، وهو أنه يعود إلى فكر متبوعيهم من جماعة الإخوان المسلمين، وإلا فدعوة الإمام محمد بن

(١) ينظر: مقالاً مفيداً للشيخ محمد بن راشد الحبشان، المعهد العلمي بالرياض، نُشر بجريد الاقتصادية، عدد (٣٨٦١) بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

(٢) ينظر المقال السابق.

عبد الوهاب بعيدة كل البعد عن هذا الذي يزعمونه، وقد تقدّم ذكر ذلك بالتفصيل في ثنايا هذا البحث.

ثم إنّ أتباعهم من الشباب الذين تشربوا بالأفكار القديمة، انتقدوا هذا التحول، واصطدموا بالقيادة السابقة، واختطوا خطاً أكثر وضوحاً في تطبيق الأفكار القديمة، ووجدوا من يؤزهم على ذلك في الداخل والخارج[١].

ومما يجدر التنبيه عليه أنّ من الأمراض الخطيرة التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر، وجود شباب هم من أحداث الأسنان، يعطون لأنفسهم حق الإمرة والفتوى في مسيرة الدعوة بحماس وانفعال، بغير فقه ولا ضوابط شرعية ولا معرفة بالمقاصد والمصالح والمفاسد؛ ليوازنوا بينها، مما نتج عن ذلك فتن ومفاسد عانت منها المجتمعات الإسلامية، ولقد جاء التحذير من مثل هؤلاء الشباب في حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين: «**سيخرج قوم في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أحداث الأسنان**» المراد، أنهم شباب، وقوله: «**سفهاء الأحلام**»: المعنى أنّ عقولهم رديئة، قال النووي: إنّ التثبت، وقوة البصيرة تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل»[٣].

وأخيراً فإنه لا ينبغي أن نخدع بمعسول الكلام، ولا أن نُخدّر بمجمله، فيتسع الخرق على الراقع، وتكثر الوقائع والفواجع لا سمح الله.

* * *

(١) ينظر المقال السابق.
(٢) صحيح البخاري (٦/ ٦١٨- ٦٣١)، وصحيح مسلم (٢/ ٧٤٦- ١٠٦٦).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٢٨٧).

المبحث التاسع عشر

بعض الحلول المقترحة لمعالجة هذا الفكر والقضاء عليه

ذكرت في المباحث السابقة مصادر هذا الفكر، ومنابعه في بلادنا، وأسباب انتشاره، وهو فكر خطير رأينا بعض آثاره التي توجب اجتثاثه من جذوره، وتجفيف منابعه، وسدّ الثغرات، وإغلاق المنافذ أمام دعاته، ونحن أمام ظاهرة خطيرة وكبيرة، لا ينبغي التقليل من خطرها بحال من الأحوال، ولا أزعم لنفسي أنّي أستطيع وضع الحلول المناسبة لمعالجة هذا الفكر والقضاء عليه، ولكن حسبي أنني سأقترح وأطرح بعد طول بحث وتأمل ما أراه مناسباً لذلك، فأقول مستعيناً بالله تعالى :

ما أقترحه وأطرحه ينقسم إلى قسمين: أحدهما إجمالي، والآخر تفصيلي :

- **أما الإجمالي فهو :**

١- العمل على نقض ما تقدم من أسباب أدّت لوجود هذا الفكر وانتشاره، وانتزاع ذلك من أفهام الشباب خاصة، والمجتمع عامة بكل سبيل ممكنة.

٢- محاربة الفئة الضالة محاربة عسكرية (أمنية)، وفكرية، واقتصادية واجتماعية.

٣- نشر الدعوة السلفية الصحيحة التي حفظ الله بها هذه البلاد قرنين ونصف من الزمان، وتفعيل دورها في كافة قطاعات المجتمع ومؤسساته.

● **وأما التفصيلي فهو :**

١- تأصيل العلم الشرعي الرصين المبني على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، إننا حين نقرر أن الوسطية هي الحل ضد التطرف بكافة أشكاله المعلوم منها لدينا الآن والمجهول، يجب أن نبحث عن طريق الوسطية وماهيته؛ إن طريق الوسطية الحقيقي الذي سيضمن لها القوة والاستمرار: هو الالتزام التام بالكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح؛ لأنهم عاصروا التنزيل، وهم أعلم بمراد الله عَزَّوَجَلَّ ومراد رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غيرهم.

والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فليس ثمة إلا طريق الله المستقيم، أو طريق الضلالة والغواية، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وتأصيل هذا المنهج الوسطي الرصين يجب أن يكون من خلال مناهج التعليم، وكذلك عبر وسائل الإعلام من خلال حملة إعلامية قوية ومركزة ومكثفة، ومن خلال العلماء والدعاة والواعظين، يجب أن يستنفر المجتمع لهذا الأمر الجليل، محتسبين في ذلك لله عَزَّوَجَلَّ، وعندئذ سنسعد جميعاً بالأمن والأمان والسعادة[١].

٢- الوضوح والصراحة في محاربة هذه الآفة من خلال الطروحات الإعلامية والدعوية وغيرها، فلا مجال لألفاظ محتملة، ولا مجال لمعان واسعة الدلالة، إننا أمام داء خطير بدأ يدب في المجتمعات الإسلامية بل وغيرها، فإما أن نقف معه بحزم مستشعرين مسؤوليتنا أمام الله عَزَّوَجَلَّ،

(١) من بحث بعنوان (الإرهاب ووسائل العلاج) لسماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ.

وإما أن نتهاون في ذلك، وسينتج عن هذا التهاون ما لا تحمد عقباه، وسنكون شركاء في المسؤولية والتبعة أمام الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥][(١)].

٣- إيجاد جهاز أو مركز دائم للأمن الفكري تشرف عليه وزارة الداخلية، يكون من مهماته واختصاصاته النظر في كل ماله علاقة بالفكر المنحرف أياً كان نوعه، وتقديم دراسات واضحة عن ذلك، واقتراح الحلول المناسبة، ووضع آلية مناسبة للتحذير من هذا الفكر، ويختار لهذا الجهاز نخبة من الأكفاء من أبناء هذا الوطن المعطاء.

٤- تشكيل لجنة على مستوى عال من أهل العلم الموثوق بهم من أهل العقيدة الصحيحة والمنهج السليم، ومن أهل الخبرة والدراية لتقديم رؤية عاجلة عن مدى تغلغل الفكر المنحرف في داخل المجتمع، وتقدّم دراسة وافية عن المؤاخذات الخطيرة التي حوتها كتب من يسمون بالقطبيين[(٢)]، فإنها تعتبر - من وجهة نظري - خلاصة للفكر الخارجي (نسبة للخوارج) الإرهابي، ولها تأثير سيء على شباب الصحوة، وكذلك تنظر في مناهج وأفكار الجماعات الحزبية الموجودة على الساحة الإسلامية، وتدرس أفكارها دراسة دقيقة، وتنظر في مدى تأثر بعض أبناء هذه البلاد بأفكار تلك الجماعات، كما تقوم هذه اللجنة بمراجعة الكتب والمراجع الموجودة في مكتبات المدارس والكليات، والتي تحوي الكثير من الكتب التي تحمل فكر الخوارج، لكنها صيغت بعبارات ماكرة وبطرق غير مباشرة قد لا يتنبه لها كل أحد، فقد خلط فيها الحق بالباطل، والجيد بالرديء،

(١) السابق.

(٢) والذين يقوم منهجهم على التكفير والدعوة للتفجير.

وبعضها كتب بعموم وإجمال مقصودين بحيث تفهم على أكثر من وجه، ومن المناسب أن يشارك في هذه اللجنة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي، ووزارة الثقافة والإعلام، والجامعات السعودية، نظراً لخطورة هذا الموضوع، ولكون هذه القطاعات قد أسند إليها مسؤولية العلم والفكر والدعوة وأن يكون ذلك تحت إشراف وزارة الداخلية.

٥- سحب جميع المؤلفات التي تحمل فكر جماعة الإخوان المسلمين بمختلف توجهاتها؛ لأنّ هذه الجماعة تعتبر هي الحاضن والمفرخ للجماعات الحزبية المعاصرة لا سيما التكفيرية منها، وهي التي يحال عليها شباب الصحوة لقراءتها والعمل بما تحمله من أفكار، وقد أفتى علماء هذه البلاد بمخالفة هذه الجماعة للسنة وانحراف منهجها؛ لذا أقترح سحب جميع هذه المؤلفات من جميع مكتبات المملكة الخاصة والعامة.

٦- بيان حقيقة الدعوة المباركة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب -يرحمه الله- وبيان أنها أقامت بفضل الله هذا الكيان العظيم - المملكة العربية السعودية - وترسيخ المفاهيم التي جاءت بها في نفوس الناشئة، وربطهم بها، وتحذيرهم من الدعوات المخالفة المشبوهة، وخصوصاً في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وتنبيه الناس وتعليمهم المنهج النبوي بعيداً عن الدخن الذي كان يخالط ما يطرح خلال السنوات الماضية، فهدي بغير هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستنّ بغير سنته، وعلى وزارة التربية والتعليم أن تقوم بالنصيب الأكبر في التوعية بذلك.

٧- تصحيح مفاهيم الطلاب والناشئة في قضايا التكفير والجهاد والولاء والبراء، وبيان حقوق الولاة والعلماء، والرد على الأفكار المنحرفة التي تثيرها الفئات الضالة، من خلال المناهج الدراسية والأنشطة اللاصفية.

٨- جمع الكتب والأشرطة والحوارات واللقاءات التي قام بها بعض أصحاب التوجهات المنحرفة في بلادنا، لا سيما قبل تراجع أصحابها عن أفكارهم القديمة، والإجابة عن المؤاخذات الموجودة في هذه المناشط، ويحبذ أن تكون الإجابة من أصحاب الفكر نفسه؛ ليكون تأثيره أقوى، لكن بشرط أن تكون إجابة صحيحة وصريحة وموافقة للحق بدون أي مواربة أو تمويه، وإلا فيجيب عنها أهل العلم إجابة مقنعة ومفيدة.

٩- جمع الشبه التي يرتكز عليها أصحاب الفكر المنحرف، والإجابة عنها، وتفنيدها ونشر ذلك عبر القنوات الاعلامية، وتعميم ذلك على المدارس والكليات والجامعات.

١٠-أن يفرّغ من كان أهلاً للعلم، وكان حسن العقيدة والمنهج للرد على الشبهات التي تثار في الأنترنت وغيرها، ويكون الرد أيضاً في الأنترنت وغيرها.

١١-معالجة الفكر المنحرف عبر تأليف المؤلفات النافعة، والمحاضرات والندوات، وإجراء الحوارات في القنوات الفضائية، وفي الصحف والمجلات مع من يحملون العقيدة السلفية الصحيحة والمنهج السليم الذي قامت عليه الدعوة في بلادنا.

١٢-تشجيع البحوث والدراسات، وعقد المؤتمرات والندوات وورش العمل وحلقات النقاش في مجالات فكر الإرهاب عند الجماعات المنحرفة، والتعرف على مصادرها ومناهجها وأسبابها ودوافعها ومخاطرها، ووضع الحلول الفعالة لمواجهتها والحد من انتشارها، وإنشاء قاعدة بيانات ومعلومات لما تقدم.

١٣-تتبع جميع المناشط الخيرية صغيرها وكبيرها، فالثقة في أهداف هذه

المناشط والجهات الخيرية لا يمنع من المطالبة بحمايتها، وإجراء شيء من التجديد عليها، خاصة إذا علمنا أن أموال المحسنين قد تصرف في توجهات المؤسسين، كما قال صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز في تصريح له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالأموال التي ترسل إلى المحتاجين في البلاد الإسلامية أو بعض المنشآت الإسلامية قد تحوّلت أو تحوّل بعضها مع الأسف لعناصر من هؤلاء، وهنا لابد من أن يكون في هذه الأماكن أناس يؤمنون بهذا الفكر أكثر من إيمانهم بهذا الخير . . .) إلخ، فتلافي السلبيات في هذه الجهات أمر مطلوب، خاصة وأنّ بعض تلك الهيئات أصبحت حكراً على أناس معينين[١].

١٤-العمل على أن لا يتولى الإشراف والتوجيه الديني في المدارس الحكومية وغيرها إلا من عرف بحسن معتقده وسلامة منهجه وعدم تحزبه لأي جماعة حزبية، وأن تكون الأمور التي يطلب فيها التوجيه محدّدة وواضحة وتفصيلية بحيث لا يكون هناك مجال لإدخال توجهات ومناهج مخالفة للدعوة التي قامت عليها بلادنا.

هذا وبعد ما انتهيت من هذه المقترحات التي أرى أنها تساعد على الحل، وقفت على مقال رائع - كعادة مقالاته - للأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة نُشر بجريدة الوطن بعنوان، (من غيّب البسمة)، فوافق ما توصلت إليه:

يقول فيه بعد أن طرح عدة تساؤلات منها: «من حوّل ساحات المدارس والجامعات إلى معسكرات حركية جهادية؟!، ومن حوّل المخيمات الصيفية إلى معسكرات تدريب على الأسلحة؟، من أقنع الشباب السعودي بأنّ أقرب

(١) من مقال للأستاذ عبد الرحمن الشميم، نُشر بجريدة الجزيرة عدد (١١٥٦٥) وتاريخ الجمعة ٩ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ.

طريق إلى الجنة هو الانتحار، وقتل المواطنين والمقيمين ورجال الأمن وتفجير المجمعات السكنية؟، من فعل بنا هذا؟.

أعتقد أنّ كل من في هذه البلاد يعرف الفاعل المسؤول عن كل هذا، وما هي إلا عودة للكتب والمطويات والأشرطة التي وُزّعت بمئات الآلاف في المدارس والجامعات والمساجد والجمعيات الخيرية في السنوات العشرين الماضية، لنجد الأسماء مطبوعة عليها بكل وضوح؟؟!!.

ومواقع الأنترنت تكشف عن البقية، ولكن السؤال المهم الآن: هو من يستطيع أن يغيّر هذا الواقع الجديد المؤلم؟، ومن يعيد إلينا عقول أبنائنا التي اختطفها الضالون المضلون؟

الجواب: هو أنّ كل المجتمع مسؤول من الدولة إلى كبار العلماء، ثم كل فرد في المجتمع، وأخص ثلاث فئات:

أ- المعلم والمعلمة في جميع المدارس.

ب- الأستاذ - من الجنسين - في الجامعات.

ج- الأئمة والخطباء في المساجد والدعاة، أرجوكم أرجوكم أرجوكم، أعيدوا البسمة والبهجة والحياة لأبنائنا وبناتنا ووطننا وشكراً».

فإذا أضفنا هذا الكلام الواقعي العميق وهذا الفهم الدقيق من سموه الكريم، إذا أضفناه إلى ما قاله صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جماعة الإخوان المسلمين، وهو قوله: «أقولها دون تردد، مشكلاتنا وإفرازاتنا كلها وسمّها - ما شئت - جاءت من الإخوان المسلمين»[1]، أدركنا ولله الحمد أنّ قادتنا وولاة الأمر في بلدنا قد عرفوا المشكلة ووعوا أبعادها قبل غيرهم، وأنهم أقدر بحول الله وقوته على

(١) وقد تقدّم من النقول ما يدل على ذلك ويوضّحه ويؤكد صحة ما ذهب إليه سموه الكريم.

إيجاد الحل الأمثل، لكن الواجب علينا هو الإحساس بالمسؤولية وتقدير خطورة الأمر، والتعاون مع ولاة الأمر في القضاء على هذا الفكر الضال حماية لمجتمعنا، لتعود البسمة كما يريدها سموه الكريم للمجتمع السعودي الأبيّ الكريم، وتعود الألفة والمحبة والإجتماع على الحق والهدى.

نسأل الله أن يكلل مساعي ولاة الأمر بالنجاح والفلاح، وأن يعينهم، وأن يجزيهم عما يبذلونه لدينهم وأمتهم ومجتمعهم خير الجزاء.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

أ

١- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، فريد عبد الخالق، الناشر: دار الصحوة، ط١، ١٩٩٨م.

٢- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، تأليف: محمود عبد الحليم، الناشر: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٤- الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، تأليف فتحي يكن، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١٧، ١٩٩٥م.

٥- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، تأليف يوسف القرضاوي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

٦- احذروا الإيدز الحركي، تأليف فتحي يكن، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥م.

٧- الاعتصام، للإمام الشاطبي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن قيّم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩١م

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.

١٠- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى، لمحمد عبد الهادي المصري، الناشر: دار الإعلام الدولي، ١٩٩٢م.

١١- الإباضية بين الفرق الإسلامية، لعلي يحيى معمر، الناشر: دار الحكمة، ط١، ٢٠٠١م.

١٢- الإباضية في موكب التاريخ، لعلي يحيى معمر، الناشر: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٣م.

١٣- الأسس الأخلاقية، لأبي الأعلى المودودي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.

١٤- الإسلام والحزبية، شريط للشيخ سلمان بن فهد العودة.

ب

١٥- البرهان في فرق عقائد أهل الأديان، تأليف: أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي (ت ٦٨٣هـ)، تحقيق: بسام سلامة علي العموش، الناشر: مكتبة المنار -الاردن، ط٢، ١٤١٧ هـ.

ت

١٦- التاريخ الإسلامي في القرن العشرين دراسات نقدية في تفسير التاريخ، لفاروق عمر، الناشر: مؤسسة المطبوعات - بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

١٧- التنظيمات السياسية والإدارية، لعوض محمد خليفات.

١٨- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، لعلي عشماوي، الناشر: مركز ابن خلدون، ط١، ٢٠٠٦.

١٩- تصوّر الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، لعبد الفتاح محمد العويس.

٢٠- التصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق - القاهرة، ط١٧.

٢١- تنبيهات وتعقبات، لعبد الرحمن عبد الخالق، ط١، ١٩٩٤م.

٢٢- تاريخ الرسل، لابن جرير الطبري، الناشر: دار التراث - بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

٢٣- تذكرة دعاة الإسلام، لأبي الأعلى المودودي، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٤- تخليص العباد من وحشية أبي القتاد، لعبد المالك أحمد رمضاني، الناشر: دار مداد، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٥- التفسير القيّم، لابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي - حققه محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

٢٦- تفهيمات، لأبي الأعلى المودودي.

ث

٢٧- الثوابت والمتغيرات، للدكتور صلاح الصاوي، الناشر: دار الأندلس الخضراء-جدة، ط١، ٢٠٠٤م.

ج

٢٨- جريدة الاقتصادية.

٢٩- جريدة الحياة.

٣٠- جريدة الجزيرة.

٣١- جريدة الرياض.

٣٢- جريدة عكاظ.

٣٣- جريدة الشرق الأوسط.

٣٤- جريدة الوطن.

٣٥- جماعة المسلمين ومفهومها وكيفية لزومها، للدكتور صلاح الصاوي، الناشر: دار الصفوه-القاهرة، ١٤١٣ه.

ح

٣٦- حب الوطن من منظور شرعي، للدكتور زيد عبد الكريم الزيد. مكتبة الرشد الرياض.

٣٧- الحور العين، لأبي سعيد الحميري، تحقيق: كمال مصطفى، الناشر: دار آزال للطباعة والنشر - بيروت.

٣٨- حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه لجابر رزق، الناشر: دار الوفاء- المنصورة، ط٣، ١٤١٠هـ.

٣٩- حسن البنا مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، إعداد المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر.

خ

٤٠- خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية، لعبد الرحمن عبد الخالق، الناشر: الدار السلفية.

د

٤١- دراسات إسلامية، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق-القاهرة.

٤٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم، ط٦، ١٤١٦هـ.

٤٣- دور المسلم، لتوفيق الواعي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م.

ر

٤٤- الرقائق، محمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

ز

٤٥- زجر المتهاون، للدكتور حمد بن إبراهيم العثمان، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية.

٤٦- الزينة، لأبي حاتم الرازي، الناشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، تحقيق: حسين بن فضل الله الهمداني، ط١، ١٩٩٥ م.

٤٧- زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٩٩٤م.

س

٤٨- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت (بدون تاريخ).

٤٩- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ).

٥٠- سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

٥١- سنن الدارمي، للحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٢- سنن النسائي، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، ط٢، ١٩٨٦م.

٥٣- السنة، للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك، الناشر: المكتب الإسلامي.

٥٤- السنة، للحافظ محمد بن نصر المروزي.

٥٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: دار المعارف-الرياض.

٥٦- سلسلة رسائل العين، لمحمد بن أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٥٧- السيل الجرار، لمحمد بن علي الشوكاني. دار الكتب العلمية.

ش

٥٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي - دار طيبة الرياض.
٥٩- شرح القواعد السعدية، للشيخ عبد المحسن بن عبد الله الزامل.
٦٠- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي.
٦١- الشريعة، للإمام أبي بكر الآجري.
٦٢- الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، لعبد الرحمن عبد الخالق.

ص

٦٣- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير.
٦٤- صحيح الجامع، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي بيروت.
٦٥- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري. دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية بيروت.

ط

٦٨- طريق الوصول إلى العلم المأمول، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. دار المعارف الرياض.
٦٩- الطريق إلى جماعة المسلمين، لحسين بن محمد بن علي جابر. دار المجتمع جدة.

ظ

٧٠- ظلال الجنة في تخريج السنة، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

ع

٧١- عالم وطاغية، للدكتور يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة بيروت.

٧٢- العدالة الاجتماعية، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق.

٧٣- عقبات في طريق الدعاة، لعبد الله ناصح علوان، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر.

٧٤- عمر شهيد المحراب، لعمر التلمساني، الناشر: دار التويع والنشر الإسلامية.

٧٥- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم، للدكتور ربيع بن هادي المدخلي.

٧٦- العوائق، لمحمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة.

ف

٧٧- الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي. مكتبة الفرقان - الإمارات.

٧٨- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع وإعداد محمد بن فهد الحصين.

٧٩- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، جمع وترتيب محمد بن حسين بن سعد القحطاني.

٨٠- فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين: شريط تسجيلات منهاج السنة السمعية بالرياض.

٨١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الناشر: المكتبة السلفية-القاهرة.

٨٢- فتنة التكفير، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، تقريظ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وتعليق الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد علي بن حسين أبو لوز.

٨٣- الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي.

٨٤- الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً، للدكتور سعيد مراد.

٨٥- في ظلال القرآن، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق.

٨٦- في قافلة الإخوان المسلمين، لعباس السيسي.

٨٧- الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أَطَفيِّش، لعدون جهلان (١٢٣٦-١٣٣٢هـ).

ق

٨٨- قرة العيون في تصحيح تفسير ابن عباس لقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، رواية ورعاية للشيخ سليم الهلالي.

٨٩- كتب وشخصيات، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق.

٩٠- كيف الأمر إذا لك تكن جماعة دراسة حول الجماعة والجماعات، للدكتور عبد الحميد هنداوي.

٩١- كيف ندعو الناس، لعبد البديع صقر، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

ل

٩٢- لا إله إلا الله عقيدة ومنهجاً، لمحمد قطب، الناشر: دار الشروق.

٩٣- للدعاة فقط، لجاسم المهلهل.

٩٤- لماذا أعدموني، لسيد قطب، الناشر: الشركة السعودية للأبحاث-جدة، ط١، ١٩٩٠م.

م

٩٥- مجلة البيان، تصدر من لندن.

٩٦- مجلة البعث الإسلامي.

٩٧- المجلة السلفية.

٩٨- مجلة الدعوة.

٩٩- مجلة الأنصار.

١٠٠- مجلة البحوث الإسلامية.

١٠١- مجلة الحج.

١٠٢- مجلة المجتمع.

١٠٣- مجموعة فتاوى ومقالات الشيخ بن باز - رَحِمَهُ اللَّهُ - جمع وإشراف الدكتور محمد بن سعد الشويعر.

١٠٤- مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين. دار ابن الجوزي، الدمام.

١٠٥- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية. دار البحوث العلمية والإفتاء الرياض.

١٠٦- مجموعة رسائل حسن البنا. إعداد الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

١٠٧- مدى شرعية الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية، للدكتور صلاح الصاوي.

١٠٨-مذكرات الدعوة والدعاة، لحسن البنا، الناشر: دار التوزيع، ط١، ١٩٨٦م.

١٠٩- المسند، للإمام أحمد، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١١٠- المستدرك، للحاكم النيسابوري، الناشر: دار المعرفة-بيروت.

١١١- المصحف والسيف، مجموعة خطابات وكلمات ومذكرات الملك عبد العزيز، جمع وإعداد محي الدين التاجي.

١١٢- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة. للدكتور عبد السلام البرجس، الناشر: مكتبة الرشد.

١١٣- المعجم الكبير للإمام الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية-القاهرة.

١١٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، الناشر: المكتبة العصرية، ١٩٩٠م.

١١٥- من المذبحة إلى ساحة الدعوة، لعباس السيسي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م.

١١٦- الملل والنحل، للإمام الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

١١٧- معركة الإسلام والرأسمالية، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق-القاهرة.

١١٨- المنطلق، لمحمد أحمد الراشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٥م.

ن

١١٩- نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، تأليف الدكتور ربيع ابن هادي مدخلي.

١٢٠- نشاط الحركة الإباضية في المشرق العربي، لمحمد طالب، الناشر: دار الحكمة، ط١، ٢٠٠١م.

١٢١- النهاية، لابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، ١٩٧٩م.

١٢٢- نظرات في منهج جماعة الإخوان المسلمين، أحمد سلام.

هـ

١٢٣- هزيمة الفكر التكفيري للدكتور خالد العنبري. دار بلنسية.

١٢٤- هذه الجماعات من الاثنتين وسبعين فرقة، فتاوى للشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد، جمع فوزي الأثري.

١٢٥- وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم، الناشر: دار الراية-الرياض،ط١، ١٤١٥هـ.

و

١٢٦- واجب الشباب، لأبي الأعلى المودودي. دار الصحوة.

١٢٧- واقعنا المعاصر، لمحمد قطب، الناشر: دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٨م.

١٢٨- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٠، ١٩٩٩م.

* * *

فهرس الموضوعات التفصيلية

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	**٥**
المقدمة	**١١**
كمال دين الإسلام	١١
وجوب الاتباع و ورد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة	١٢
سبب منشأ فكر الإرهاب	١٤
جملة من النصوص الشرعية التي تحذر من التكفير	١٥
المنهج الذي سار عليه الصحابة والتابعون لهم هو عدم تكفير المسلم بغير حق	١٦
الخوارج هم أشهر من عرف بالتكفير والعنف قديماً	١٦
احتضان بعض الجماعات المعاصرة فكر الخوارج وتصديره للمسلمين	١٧
اسم هذه الدراسة وسبب الكتابة في هذا الموضوع	١٨
بيان أنّه لا يجوز السكوت بعد ما حصل في بلدنا من أحداث إرهابية، ولا يجوز التبرير لأصحابها ولا للجماعات الحزبية والبدعية المخالفة للحق أو كراهة الكلام فيهم	٢٣
● **المبحث الأول: وسطية الإسلام ومحاربته للغلو والتطرف والإرهاب**	**٢٥**
حقيقة الإرهاب	٢٥
أهل السنة والجماعة هم خير من يمثل الوسطية التي جاء بها الإسلام	٢٧
● **المبحث الثاني: واقع البلاد السعودية المشرق**	**٢٩**
بيان أنّ الجماعة الشرعية التي توافق ما جاء في الأحاديث الشريفة هي التي عليها المسلمون في هذه البلاد بولاتهم وعلمائهم	٢٩
تجربة المملكة في تطبيق الشريعة تجربة كلية رائدة	٣٢
احتضان الدولة السعودية في أدوارها المختلفة للدعوة السلفية	٣٤

ثناء العلماء على جهود المملكة العربية السعودية العظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين ٣٦
● **المبحث الثالث: لماذا نحب وطننا السعودية؟ ولماذا ندافع عنها؟ ٤١**
سبب طرح هذا السؤال ٤١
الجواب عن هذا السؤال ٤٣
الصهاينة وعلماء السوء هم الذين يعادون السعودية ٤٣
بيان أنّه لا يجوز لأحد من أبناء هذه البلاد أن يوجد حزباً أو ينشئ جماعة فيشق عصا الطاعة ويخالف الجماعة ٤٤
● **المبحث الرابع: براءة مناهجنا وما قامت عليه بلادنا من فكر الغلو والإرهاب والتطرف وبيان أنه فكر وافد علينا ٤٧**
من أقوال الملك عبد العزيز ٤٧
الأساس الذي سارت عليه المملكة منذ نشأتها هو اتباع الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح ٤٧
أهل السنة والجماعة السائرون على منهج السلف الصالح هم أبعد ما يكون عن الغلو والإرهاب والتطرف ٤٧
الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعهم إلى اليوم هو أنّ الأحكام الأصولية والفروعية لا تتم إلا بأمرين: وجود الشروط وانتفاء الموانع ٤٧
القول في التكفير مبني على أصلين عظيمين أحدهما: دلالة الكتاب والسنة على أنّ القول والفعل الصادر من المحكوم عليه موجوب للتكفير، وثانيهما: انطباق الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه وتنتفي الموانع ٤٨
وعلى هذا سار أئمة الإسلام من الصحابة وتابعيهم ٤٩
جملة من النصوص المنقولة عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التكفير

ترد فرية من قال بأن دعوته فيها تكفير للمسلمين ٥٠
جواب علماء العصر عن فكر الإرهاب والتكفير والتفجير ٥٣
جواب الشيخ العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني ٥٣
جواب الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز ٥٦
جواب الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين ٥٩
تحذير سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ من الدعوات التي تكفر المجتمعات المسلمة وتدعو للخروج ٦١
مقال للشيخ العلامة صالح الفوزان يشجب فيه الأعمال الإرهابية التي وقعت في بلادنا ٦٢
بيان هيئة كبار العلماء في التكفير والتفجير ٦٦
بيان أنّه لا علاقة إطلاقاً بين فكر الإرهاب وبين المناهج التي قامت عليها بلادنا وسار عليها علماؤنا ٧٢
● **المبحث الخامس: فكر الإرهاب والتكفير قديماً ٧٥**
أبرز من عُرف بذلك هو الخوارج ٧٥
من أبرز ضلالاتهم تكفيرهم مرتكب الكبيرة وحكمهم على مخالفيهم بالكفر والخروج على ولاة الأمر ومقاتلتهم للمسلمين ٧٦
وأنهم أول من استخدم الإرهاب الفكري في وجه مخالفيهم ثم مقاتلتهم ..٧٦
● **المبحث السادس: التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج ٧٩**
أولاً: مرحلة الظهور ٧٩
ثانياً: مرحلة الدفاع ٨١
ثالثاً: مرحلة الشراء ٨٢
رابعاً: مرحلة الكتمان ٨٥
تشكيل التنظيمات داخل المجتمع ٨٦
تطبيق الجماعات الحزبية المعاصرة لهذه المسالك ٨٨

● **المبحث السابع: فكر الإرهاب والتكفير حديثاً وتأثر بعض أبناء البلاد السعودية بذلك ٩١**
بعض أسباب هذا الفكر ٩١
جماعة الإخوان المسلمين هي أمّ التنظيمات الإسلامية الحزبية في العالم العربي وهي التي فرخت بقية التنظيمات ٩١
إنّ فكر هذه الجماعة يتضمن الخروج عن السنة والخروج على الجماعة .. ٩٢
● **المبحث الثامن: جماعة الإخوان المسلمين ٩٧**
أهم الملحوظات على هذه الجماعة بتوجهاتها الثلاث ٩٧
● **المبحث التاسع: التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين عموماً والقطبية خصوصاً ١٠٣**
● **المبحث العاشر: بعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة ١١١**
ويتضمن هذا المبحث سبعة عشر منهجاً وخطة منقولة من كتبهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم ١١٢
١- من طرق دعوتهم مدحهم وإطراؤهم لرؤوس الجماعة ورموزها ومن لهم شأن فيها، ودعوتهم الناس للدخول في تلك الجماعة، وتصويرها بأنها هي التي يجب تعليق الآمال عليها، وفيما يلي نقل لبعض كلامهم في ذلك ١١٢
٢- دعوتهم للتنظيم وإعطاء الطاعة والولاء للجماعة ١١٣
٣- اعتناؤهم بالتجميع ١١٤
٤- السبل التي تتبع في حال مواجهتهم للضغوط ١١٤
٥- اعتمادهم على القاعدة الشعبية وتغلغلهم في المجتمع وتكوين اللجان الدعوية المختصة ١١٦
٦- توزيع الأعمال وتقاسم المهام ١١٧
٧- وسائلهم الدعوية ١١٧
٨- الاعتماد على التخطيط الإداري ١١٨

٩- طرقهم في الإعداد التكويني للشباب وبرامج هذه المراحل ١١٨
١٠- دعوتهم أفراد الجماعة للتكيف حسب الظروف المحيطة بهم ثم التغلغل في المجتمع حسب هذه الظروف ١١٩
١١- وصفهم لمخالفهم بما ينفر عنهم ويشوه سمعتهم ١٢١
١٢- أنهم لا يرون غيرهم على الحق ولا يرون صحة البيعات الشرعية الموجودة في العالم الإسلامي ١٢٢
١٣- اعتمادهم على التعددية الفكرية والسياسة للوصول لأهدافهم ١٢٢
١٤- تركيزهم على المراكز التي تقام رسمياً من قبل الدولة ١٢٣
١٥- رؤيتهم أنّ المحذر من البدع يعتبر ساعياً في تعطيل أسباب النصر ..١٢٤
١٦- طعنهم في علماء الأمة بأوصاف التنقص تمهيداً لقبول الناس دعوتهم ١٢٤
١٧- أنّ لهم أكثر من وجه كل بما يناسبه ليضمنوا بقاء حزبهم أو جماعتهم حتى تحين ساعة الصفر ١٢٥
● **المبحث الحادي عشر: دراسة نقدية لبعض المؤلفات التي تؤصل للمنهج الإخواني ١٢٧**
أولاً: كتاب (كيف الأمر إذا لم تكن جماعة دراسات حول الجماعة والجماعات) ١٢٧
ثانياً: أنّ هناك كتباً أخرى لا تقل خطورة عن هذا الكتاب، وسلكت المسلك نفسه في كثير من الأمور منها على سبيل المثال لا الحصر ١٣٩
ثالثاً: ذكر بعض النقول من كتاب الثوابت والمتغيرات للدكتور الصاوي توضح ما سبق ذكره من عدم اعتبار شرعية الدول الإسلامية المعاصرة، ١٤٢
● **المبحث الثاني عشر: استعمال العنف إذا شعروا بالقوة أو لم يتحقق لهم ما خططوا له ١٥٣**
● **المبحث الثالث عشر: نماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري جماعة الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم ١٥٧**
١- حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ١٥٧
٢- أبو الأعلى المودودي ١٦٧
٣ - سيد قطب فكره وبعض رد ود العلماء عليه ١٦٩

٤ - محمد قطب ١٨٠
٥- محمد صلاح الصاوي ١٨٢
٦ - محمد أحمد الراشد ١٨٣
٧- محمد سرور بن نايف زين العابدين ١٨٤
٨- عبد الله ناصح علوان ١٨٧
٩- عبد الرحمن عبد الخالق ١٨٨
١٠- يوسف القرضاوي ١٩٠
١١- فتحي يكن ١٩٢
١٢- أبو قتادة الفلسطيني ١٩٥
١٣، ١٤ - أيمن الظواهري وأسامة بن لادن ١٩٩
● **المبحث الرابع عشر: تحذير العلماء من فكر أسامة وأمثاله ٢٠٥**
● **المبحث الخامس عشر: من أين جاء فكر الإرهاب والعنف إلى بلدنا؟ ٢١١**
● **المبحث السادس عشر: كيف نشأ وتغلغل فكر الإرهاب والتكفير أو قل فكر الإخوان في بلادنا؟ ٢١٣**
مقال للدكتور محمد العوين والتعليق عليه ٢١٣
كلام جيد للشيخ عبد المالك الجزائري ٢٢٤
● **المبحث السابع عشر: نماذج من كلام بعض مِن مَن يسمون دعاة الصحوة في بلادنا يتضح منه المشابهة لفكر الإخوان وأنّ ذلك كان من أسباب انتشار هذه الفكر في بلادنا ٢٢٧**
● **المبحث الثامن عشر: مصادر هذا الفكر ومنابعه في بلادنا وأسباب انتشاره ٢٣٧**
خطورة ما في مقرر الأدب للسنة الثالثة ثانوي كما في ص (٢٠ و٥٠) من المقرر ٢٤١
● **المبحث التاسع عشر: بعض الحلول المقترحة لمعالجة هذا الفكروالقضاء عليه .٢٤٧**
● **فهرس المصادر والمراجع ٢٥٥**
● **فهرس الموضوعات التفصيلية ٢٦٧**

تم بحمد الله